

المخادع الحقيقي رواية

العنوان الأصلي

THE TRUE DECEIVER

TOVE JANSSON

© Tove Jansson, 1982

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2016م

إبداعات عالمية - العدد 412

صدر العدد الأول في أكتوبر 1969م

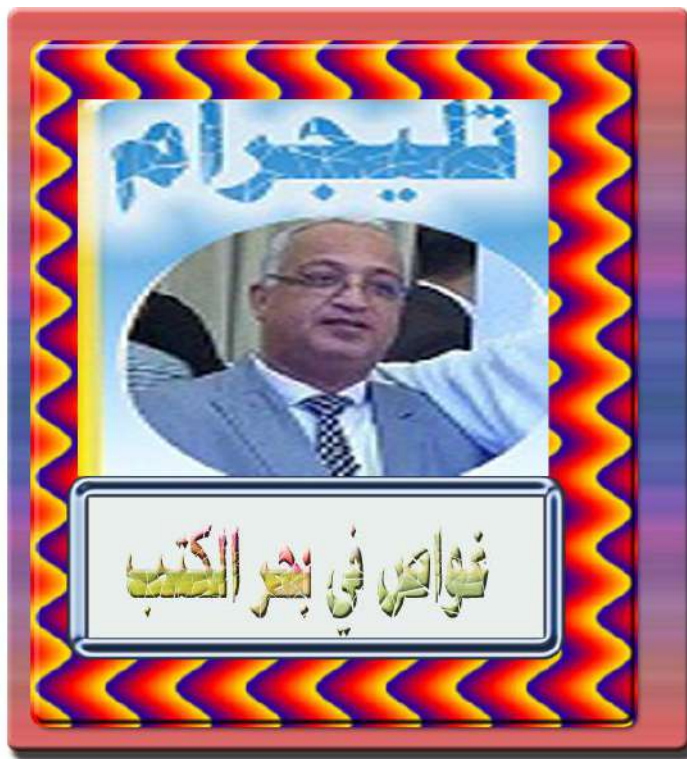
تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدواني

(1990 - 1923)



المخادع الحقيقي



المخادع الحقيقي

رواية

تأليف: توف جانسون

ترجمة وتقديم: أ. د. محمد فرغل

مراجعة: حنان عبدالحسن مظفر

إبداعات عالمية

تحت إشراف
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

المشرف العام:
م. علي حسين اليوحة

مستشار التحرير:
أ. وليد جاسم الرجيب

هيئة التحرير:
أ. د. سليمان علي الشطي
د. ليلى عثمان فضل
د. زبيدة علي أشكناني
د. علي عجيل الفزي
د. حنان عبدالمحسن مظفر

مديرة التحرير: لمياء خضر القبندي
سكرتير التحرير: جعفر حسين حيدر

التضيد والإخراج والتفيز: وحدة الإنتاج
في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
التدقيق اللفوي: وائل أحمد حمزة

www.nccal.gov.kw
ebdaat_alamia@nccal.gov.kw
ebdaat_alamia@yahoo.com

ISBN: 978-99906-0-488-7

التمهيد

بقلم، آلي سميث

نشرت توف جانسون في عام 1962 قصة للأطفال بعنوان «لحن الربيع، تضمّنت شخصية سنفكين، وهو الموسيقار المتجول في قصص المومينز. «إنه المساء المناسب للعزف، خطر بيال سنفكين. لحن جديد، جزء منه لما سيأتي، وجزءان للحزن، وما تبقى مجرد الاستمتاع بالتجول وحيدا والرغبة في ذلك». وحينما هيا نفسه للعزف، أزعجه مخلوق صغير، «زاحف، حفّ من بين الأعشاب وأعلن إعجابه بسنفكين الشهير، مستفسرا عن أشياء كثيرة وطالبا الانتباه والراحة. وفي تلك الأثناء اختفى اللحن الذي كان حتى تلك اللحظة يشكّل نفسه من أصوات الغابة والجدول وما يبوح به الربيع. وينبغي على سنفكين أن ينتظر ليعود اللحن من جديد.

ينبغي ألا نستهن أبدا بجانسون التي لا تستهين بقرائها أبدا، فهذه القصة للأطفال في سن الثامنة تعدّ خطابا ذا صلة وثيقة بالعلاقات بين الفن والطبيعة والشهرة والهوية، وهي نقاش لمكان الفنان ودوره ومنابع الإبداع الخفية. ويمكننا القول إن كل ما كتبه، بطريقة أو بأخرى، هو حول التفاعلات الإبداعية بين الفن والواقع أو بين الفن والطبيعة، وقد صادف أن تكون عبارة «الفن والطبيعة، عنوانا لقصة في مجموعة القصص القصيرة للكبار التي نشرتها عام 1978 بعنوان «منزل اللعبة، (وهو الكتاب الذي صدر قبيل روايتها «المخادع الحقيقي»).

تجد الشخصية المحورية في قصتها «الضن والطبيعة» - وهي قيمة عجوز مسؤولة عن معرض الضن الضخم برمته وعن الغابة أيضا - تجد نفسها حكما في نقاش حام بين زوج وزوجته في متنزه معتم للمنحوتات حول ما تمثله حقا لوحة ابتاعها للتو. ترى أن تلك اللوحة لا تزال ملفوفة بورقتها ورياطها. تقترح عليهما، لإنهاء الاختلاف، أن يبقيها داخل الورقة التي تلفها هكذا، «إن العنصر الخفي هو المهم، المهم جدا بطريقة ما». بكل هذه البساطة، ثم تخرجهما من المتنزه وتذهب للنوم.

لقد ولدت توف جانسون كطفلة مبدعة لفنانين بوهيميين فنلنديين، فوالدتها، سبغني هامارستين، كانت واحدة من أشهر فناني فنلندا ورساميها، وكان والدها، فيكتور جانسون، نحّاتا مشهورا، وقد أصبحت جانسون نفسها مشهورة في الثلاثينيات من عمرها بعد نشرها قصص المومينز ورسوماتهم، والتي أكسبتها أخيرا شهرة عالمية. ولأنها كانت وما زالت تتمتع بالشهرة في أدب الأطفال، لم تحظ كتاباتها للكبار التي بدأتها في بداية الخمسينيات من عمرها (توفيت عام 2001 عن عمر يناهز السادسة والثمانين) باهتمام يذكر، ولكن خلال ثلاثة العقود الأخيرة من حياتها - وهي مدة لا يستهان بها من حياة الفنان - كانت الكتب الأحد عشر التي ألفتها جميعها للكبار.

لقد شكّلت إعادة نشر كتاب الصيف (1971) عام 2003، والذي تبعته مجموعة مختارة من قصصها القصيرة، وكتاب الشتاء عام 2006، والطبعة الإنجليزية الأولى لروايتها الأخيرة اللعبة العادلة عام 2007 في المملكة المتحدة.. شكّلت مدخلا كاشفا لها عند القراء الناطقين بالإنجليزية. فاكشف عمل

لجانسون لم يترجم بعد هو من الغرابة بمكان ولحظة سعادة غامرة على حد سواء كالوصول إلى كنز مدفون في كل مرة يسعفنا الحظ لقراءة كتاب آخر من كتبها لأول مرة باللغة الإنجليزية، وبخاصة عندما يكون المترجم مناسباً لأسلوبها الدقيق بصداه العميق، ألا وهو توماس قيل (وهو المترجم الأول أيضاً لكتاب الصيف في السبعينيات).

رواية المخادع الحقيقي هي الأولى بمحض المصادفة، وهي عمل متواضع غير متوقع ويمتاز بالقوة. إذا كان المومينز الإرث الساطع الذي تركته جانسون، وهم مجتمع مكون من مخلوقات بأنوف ضخمة تمتاز بالإبداع والطيبة وقادرة على النجاة مرة تلو الأخرى من العواصف والخيارات التي تخص وجودها في الشتاء الإسكندنافي المظلم هكذا من خلال طبيبتها ولطفها وكمالها وفلسفتها، فماذا سيحدث عندما يوضع مجتمع حقيقي مكانها؟ ماذا ستكون النتيجة عندما تعالج جانسون بطريقة واقعية حياة قرية صغيرة في طبيعة يلفها شتاء مظلم بكل ضرورها وتقلباتها الاعتيادية؟ في كتاب يقترب كثيراً من واقع حياة محلية جعلت الطبعة السويدية الأصلية تنوه إلى أن مسرح الرواية لا يشير إلى أي مكان حقيقي، وأن شخصيتها لا يمثلون أي أناس حقيقيين البتة؟

وإذ تعالج هذه الرواية الحقيقة والخداع وخداع الذات والصدق في السرد المتخيل، فهي تمتاز بالحياد الشديد في وضوحها وبساطتها الظاهرية. لا غرابة إذا أن تكون هذه الرواية في جوهرها واحدة من أكثر أعمالها غموضاً وبراعة. كانت ثالث رواية لها للكبار تحديداً، وتم نشرها لأول مرة عام 1982.

وقد قال كاتب سيرتها، بويل ويستين، إن هذه الرواية كانت الأكثر تعقيدا بالنسبة له. «فنظرتها الثاقبة للحياة»، يقول ويستين: «هي في الحقيقة عنصر مميز في كتبها للكبار». وقد تحدثت جانسون نفسها عن الجهد المضني الذي خبرته أثناء كتابتها، وكيف أنها عملت على إنجازها «بعناد ومكابدة». وليس ثمة شك بالظروف القاسية التي ينبغي على شخصها العيش بها والعمل من خلالها. «عصفت الرياح، دفعت بالثلج إلى النوافذ هامسا بقوة اعتاد عليها سكان القرية منذ زمن بعيد، بعيد جدا، وبين الهبات الثلجية، كان الصمت سيد الموقف».

تبدأ الرواية ببساطة صارخة تميز الكتاب برمته: «كان صباحا شتويا عاديا والثلج ما زال يتساقط»، ثمة ظلمة، تكاد تكون مألوفة، في قلب الجملة الأولى في الرواية. في كتاب عن الظلمة، عن مكان مظلم «لم يكن ثمة نور في أي من نوافذ القرية»، حيث يشكل الثلج ضريبا من الخوف من الأماكن المظلمة، حيث «تملأ الثلوج الطرق مباشرة بعد جرفها»، حيث «يصحو الناس متأخرين من نومهم إذ لم يعد ثمة صباح يقيسون عليه». لم يعد ثمة صباح، إذ تحول الواقع المألوف إلى سراب، ويحلول الفقرة الثانية في الرواية يستقر الانطباع عن حياة مجتمع القرية الصغير، وهو انطباع قد يرتبط بذلك المناخ القاسي. «لا يزال الثلج يتساقط، وها هي تخرج مرة أخرى»، يتحدث الراوي مجهول الهوية عن كاتري، وهي إحدى بطلتي الرواية، ومن الواضح أن كاتري وشقيقتها غير محبوبين في القرية، فهو «ساذج»، ولون عينيها مزعج، والأدهى من ذلك، أن الشقيق وشقيقته لا ينتميان للقرية أصلا.

إن صوت الرواية سهل وواضح على شكل تقرير يتغير، بسلاسة وعلى نحو مفاجئ، إلى صوت كاتري نفسها، مما يجعل هوية الراوي غير واضحة البتة ومشوشاً لكل جوانب الموضوعية. ومع نهاية الفصل الأول، نجد أنفسنا أمام صورة مشوشة، وأمام معرفتنا أن هذا الكتاب، الذي يعالج المكان والمال والشتاء والبرية والأعراف الاجتماعية والسلطة، سيكون أيضاً عما إذا كان ثمة شيء نسميه «الموضوعية»، فالموضوعية والحقيقة هما من هواجس كاتري التي لا تفارقها، فرفضها الدخول في المجاملات الاجتماعية وصدقها وصمتها وجراتها جعلت القرويين غير مرتاحين وعدائيين للغاية تجاهها، ولكن ذلك ولّد ثقة غير عادية بها ومنحها درجة عالية من القوة في تلك القرية.

الكتاب أيضاً يعالج إلى حدّ كبير كيف ينظر المرء إلى الأمور؛ وازدواجية دلالة عبارة مثل «الطريقة التي تنظر بها»: الطريقة التي تفهم أنت الأمور بها أم الطريقة التي يفهمك غيرك بها؟ إنه عن الصداقة والتجارة والود وماهية المال الحقيقي. يقال إن للمال رائحة كريهة، وهذا ليس صحيحاً، فتلك الرائحة تأتي من الناس أنفسهم. إنه حول الهمجية الطبيعية التي تسم شيئاً أساسياً كرائحة الإنسان نفسها بضرب من المال. لا بد أن الكلاب ترى من خلالنا، وتمتلك بصيرة نافذة تحكمها آلاف السنين من الطاعة.. إلى متى قد يظل ما كان حيواناً برياً ذات يوم شيئاً غير ذلك؟. فكاتري، المكسوة بالثلج ككلبها، تعد نفسها في طبقة الكلاب اجتماعياً؛ فهل هذا الكتاب أيضاً عن الطبقات الاجتماعية؟ وفي نهاية الفصل تقف كاتري ناظرة إلى المنزل الكبير في القرية الذي يشبه وهمياً وجه أرنب ضخم وتملكه

الفنانة أنا إميلين، التي تقيم «وحدها، وحيدة مع مالها». ودوافع كاتري واضحة لها وغير مخفية عنا، فهي وشقيقها، ماتس، سينتقلان إلى ذلك المنزل.

كل هذا في خمس صفحات قصيرة. يبدأ الكتاب بالمواجهة المتوقعة، كلب مقابل أرنب؛ «وهي القصة الحقيقية لأنا وكاتري»، أو بكلمات أخرى، المواجهة بين «الواقع، والخيال». في جوهرها تعد الرواية بمعركة حامية الوطيس. «أتمنى لو أن القرية بكاملها تغطى وتمحى، وأخيرا تصبح نظيفة». فكاتري تريد نقاء ماحيا؛ إنها تمثل قسوة الشتاء. أما غريمته، أنا إميلين، فلا موطن قدم لها في الشتاء؛ إنها ترتبط بالربيع على وجه الخصوص. «لقد حل الشتاء، وهي لم تعمل قط حتى تبدأ الأرض المكشوفة بالظهور». ففنها يعتمد على الربيع، وأحيانا تشعر تقريبا أن الربيع قد يكون معتمدا على فنها. وهي أيضا شخص ينأى بنفسه عن القرية عمليا، فهي عانس تعيش في متحف مهيب على ذكرى والديها، وفنانة مشهورة ترسم أرضية الغابة بصور معروفة بأصالتها في جميع أنحاء العالم، ومن ثم تأخذ هذه الصور «الواقعية بصرامة» وتضيف إليها الكثير من الأرناب الوردية المصطنعة، والتي أكسبتها أيضا شهرة عالمية، خاصة بين الأطفال.

من المخادع الحقيقي هنا؟ وكيف يرتبط الخداع بالحقيقة؟ فالرواية بقريتها التي تعج بالمحتالين والدجالين هي مواجهة فلسفية بين عقليتين: عقلية كاتري الساخرة وعقلية أنا بحساسيتها الجمالية. هل ثمة شيء يدعى «الود»؟ أو هل هناك فقط تلك «الآلية الضبابية والمثيرة للاشمئزاز التي يعتمد عليها

الناس مسلحين بحصانة في جميع الأوقات والأماكن لتساعدهم بالحصول على ما يريدونه؛ قد يكون ذلك مصلحة أو حتى غير ذلك، غالباً لأن الأمر يأتي بهذه الطريقة، ليس إلا، وذلك بإظهار الود قدر المستطاع والتخلص من ورطة ما.. ما المقصود بالأرانب الوردية (أو، قد نضيف، المومينز)؟

هل أنا هي المحقة بقولها إن الاهتمام بما يحتاج إليه الآخرون على الرغم من أنه «شيء نادر للغاية»، هو جزء طبيعي وجدي من كون الإنسان إنساناً؟ فهي تعرف المتوقع منها وتقوم به، تماماً كما تعرف كذبتها وتجدّها متعبة. ولكن «الأشياء ليست دائماً بتلك البساطة». كاتري، في المقابل، تعرف تماماً دلالة كلمة «بسيط»، لقد رأت وحطمت المجسمات الثلجية التي صنعها أطفال القرية في تشبيه لاذع لها ولشقيقها «البسيط»، أكثر من اللازم. وهي تعرف حتى بدرجة أعلى من الوضوح أن تمثيل الواقع مفهوم يحمل الكثير من الدلالات للجميع، بمعزل عن كون المرء فناناً كما يُعتقد.

«ماتس لا يملك أسراراً. وهذا ما يجعله شخصاً غامضاً للغاية». إن نصوص جانسون، وهي أعمال قد تدفع سهولتها الظاهرية إلى دفعها جانباً، يتم حبكها دائماً إلى حد الكمال، وتنطوي على خفة خادعة، وسهولة سطحية، كطبقة جليد رقيقة تغطي بحيرة ما، إذ تتيح لك منفذاً نادراً إلى ما هو أخطر وأعمق. «نادراً ما تعطي الكتب انطباعات واضحة كذاك الذي تعطيه كتبك مما يجعلها قد نضجت إلى درجة الحتمية»، كتب محرر جانسون في بونيرز (ناشرها السويدي) لها حينما كانت تجهد في عملها الشاق. تعد رواية المخادع الحقيقي كتاباً حول

النضج الفني والنضج العمري عند الإنسان من زوايا مختلفة. كبقية كتاباتها، إنها مقارنة بين الحالات المتجمدة وتلك التي تكتنفها السيولة في الربيع. فثمة نقاش حول تقنيات الأدب التخيل مبنّي ببراعة كجزء لا يتجزأ في قاعدة هذه الرواية الأساسية، فكاتري هي الشريرة في الحكاية الخيالية، أو الذئب الضخم الشرير، ويوازيها حضور قصص الأطفال المبسطة التي يحبها ماتس وأنا، قصص ساذجة عن استكشاف العالم. ولكن هذه الرواية ليست حكاية خيالية؛ إن بحث كاتري الحقيقي والخفي لا يتصف بالأنانية في عالم دنيوي أناني، فهي تريد أن تؤمن منزلا لماتس، وفي الوقت نفسه أن تتم صناعة القارب الذي صممه ليأخذ مكانه في العالم الحقيقي، وهذا القارب الحقيقي، بإمكانية إبحاره الحقيقية، هو الأكثر أملا وتوافقا كرمز في هذه الرواية.

هل هذه صورة لسيرة ذاتية؟ قالت جانسون بشيء من الصراحة عندما نُشرت رواية المخادع الحقيقي لأول مرة في طبعتها السويدية إن «كل كتاب جاد هو نوع من الصورة الذاتية». وقد أثار هذا فضول المراجعين الذين قرروا أن ينظروا إلى الكتاب، وهو عمل يمتاز بالبراعة والحكمة، من منظور بسيط الأمور ويختزلها كما تفعل السير الذاتية في أغلب الأحيان. لكن أنا إميلين ببراءتها المفردة وعجزها الكامل عن مواكبة الفوائد التجارية العرضية من أرباحها الوردية وحاجتها الماسة إلى من يقوم عاداتها الإدارية هي في منأى عن العين الناقبة وجانسون الحكيمة التي تستطيع الكتابة بأسلوب لاذع ومرح (كما فعلت في قصتها «الرسائل») عن موجة من الطلبات المجنونة التي

جاءت من شركات وأفراد فيما يتعلق «بمنتجها» (طالبة، على سبيل المثال، «رسوما للمومينز على ورق الحمام بظلال ملونة، أو حاملات أطباق عليها صور للمومينز أقوم بتصميمها بنفسي وأصنعها في المطبخ دون أي مساعدة مأجورة»).

كانت جانسون تدرك مسؤولية أنا الثقيلة وسريالية موقفها، موقف قد يأتي بطلب كذاك الذي جاء من شركة أرادت أن تستخدم قوامها البائس الصغير على «فوطاة صحية صغيرة داخلية» (ردت أنا بالنفي القاطع) مباشرة. وآخر من قارئ يطلب صورة لسنفكين «يمكنه وشمها على ذراعه كرمز للحرية»، كانت تدرك أن مسؤوليات الفنان ضخمة، وأن موقف الفنان قوي سرياليا، وهي توحى أيضا بأن كل شخص فنان إلى حد ما، بمسؤوليات وإمكانات متشابهة. فمثلا، كاتري تختار وتحرر كلماتها بدقة مثلها مثل أي كاتب.

يلاحظ ويستين في سيرتها الذاتية كيف أن جانسون تقحم حياتها في أدبها المتخيل، «أحيانا بوضوح وحرية وصراحة، وأحيانا خفية من خلف أسماء وأقنعة متنوعة.. فأثار توف جونسون تظهر هنا وهناك في جميع نصوصها وصورها، والأنماط التي تشكلها جديدة باستمرار». والعبارة ذات الدلالة هنا هي «جديدة باستمرار». في المخادع الحقيقي تعلم المخادعان كيف يعيدا إنتاج نفسيهما.

تعالج هذه الرواية عن الفن والرفاهية وعن مكان الأدب في الظلمة إلى حد كبير حقيقة أن للكلمات دلالات مختلفة، فهي تعمل كالأشعة السينية عبر الصغائر كافة. إنها عمل شاعري في العمق، وصورها كالكلب الذي أصابه الجنون أخيرا

أو كوم القمامة الذي تُرك على سطح البحيرة المتجمدة؛ ما تكوّم وقتياً في حياة أنا إميلين، والذي سيفرق عندما يذوب الجليد ويأتي الربيع، كل تلك الصور منتشرة في الرواية. من فوق السطح، هذا الكتاب يدور إلى حدّ كبير حول القدرة على البقاء، كما يعالج ما يطفو إلى السطح في الحياة بمرور الوقت.

من المؤكد أن إحدى اللحظات الأكثر تأثيراً لحظة عالجت فيها جانسون قوة الفن الكامنة حين كانت أنا تتفحص رزما هائلة من مراسلات والديها القديمة محاولة أن تجد لنفسها صورة، صورة الفنان، كطفلة يافعة، واكتشفت أنها لم تذكر في تلك المراسلات، وأنها «لم تكن موجودة». هذا عندما أدركت، على سبيل المفارقة، أنها أصبحت «رَسامة لأرضية الغابة، فقط بعد أن توفي والداها ودُفنا فيها.

إن رواية المخادع الحقيقي هي نقيض ما ينعت بـ «الساحر»، وهي كذلك عن قصد. ولكن تقديم الرواية لنفسها كعمل فاس وغامض هو شيء يمكن أن نسميه ضرباً من الخداع في صلبه. «إن الصراع بين الحيوان المتوحش.. والأرنب لا يصل إلى نتيجة حقيقية، يقول بويل ويستين، «فليس ثمة إجابات عما هو صواب وعما هو خطأ».

هذه قراءة محتملة للرواية، ولكن انظر إلى فهم الرواية لطبقات أعماق سريرية الإنسان وحزنه، وإلى رؤية جانسون الاعتيادية إلى الصفات الملحمية التي تلتصق بصغائر الأمور كافة. وعلى الرغم من أنها ترفض العاطفية بعناية شديدة، فهي تقدم، مع كل تلك القسوة في القرية، ثروة من أشكال الود

الصغيرة والحقيقية. والأكثر من ذلك، أن بطلتي الرواية، أنا وكاتري، وهما النقيضان في «القصة الحقيقية»، تعلمتا في النهاية أن تغيرا مواقفهما.

هذا التغيير لا يأتي دون انكسار، فالجليد سينكسر أثناء النويان، ومع كل ذلك، ففي نهاية هذه الرواية الذكية والغامضة، غيّرت هاتان المرأتان لحنيهما القديمين بلحنين جديدين. إنها واحدة من كتابات جونسون الأكثر إدهاشا وهدوءا خادعا.

المقدمة

توف جانسون كاتبة فنلندية من أصل سويدي، وتكتب باللغة السويدية.

ولدت في العاصمة الفنلندية هلسنكي في 9 أغسطس 1914، وتوفيت فيها في 22 يونيو 2001.

نشأت في عائلة فنية، إذ كان والدها نحّاتاً ووالدتها مصممة جرافيك ورسّامة.

درست الفنون الجميلة بأنواعها في ستوكهولم (1930-1933) وفي هلسنكي (1933-1937) وفي باريس (1938).

اشتهرت في بداياتها ككاتبة ورسّامة للأطفال من خلال أعمالها التي توجّتها بسلسلة المومينز (رسومات لمخلوقات في هيئات غريبة تعيش في أماكن مختلفة وتتناول قضايا متنوعة للأطفال) في الفترة من 1945 إلى 1970. وعلى الرغم من أن أعمالها كانت موجهة للأطفال، لكنها امتازت بالتنوع والعمق، وحتى بعض التعقيد.

اشتهرت رسوماتها الكاريكاتيرية في جميع أنحاء العالم، وحازت جائزة هانز كريستين أندرسون الفنلندية في العام 1966 عن آخر عمل لها في أدب الطفل. كما حازت فيما بعد (1994) جائزة الأكاديمية السويدية.

بدأت رحلتها في الكتابة للكبار عام 1968 في كتابها «ابنة النحّات»، الذي ينحو منحى السيرة الذاتية، تلتها خمس روايات؛ إحداها المخادع الحقيقي 1982، وهي الرواية التي نحن بصدد تقديمها للقارئ العربي.

ترجم هذه الرواية من السويدية إلى الإنجليزية توماس تيل، وحازت جائزة أفضل كتاب مترجم في العام 2011.

بداية، نقلنا هذه الرواية إلى الحياة في الدول الإسكندنافية بأدق تفاصيلها؛ إلى قرية سويدية حيث الناس يقضون حاجاتهم اليومية البسيطة في جوٍّ يلفّه البرد والثلج والظلمة، وحيث يتطلع الجميع إلى قدوم فصل الربيع لتختفي الظلمة وتسطع الشمس وتظهر الطرقات التي تثن تحت وطأة الثلج من جديد. لكن الربيع يبقى حلما في هذه الرواية، إذ تسدل توف جانسون الستار على قصتها مع أول ظهور لأرض الغابة بعد ذوبان الجليد.

يفتح الراوي هذه الرواية بالقول: «كان صباحا عاديا مظلما في يوم شتوي والثلج لا يزال يتساقط. لم يظهر أي نور خلال نوافذ القرية»، ويستمر في سرده: «لقد ظل الثلج يتساقط على امتداد الساحل طوال شهر كامل. وحسبما يتذكر سكان تلك القرية، لم يتساقط الثلج بهذا القدر منذ زمن بعيد وبهذا الكم الثابت الذي يتراكم أمام الأبواب والنوافذ ويثقل الأسطح بلا توقف ولو حتى لساعة واحدة. ولم يكد الثلج يُجرف من الطرقات حتى كان يعود ليملاها من جديد».

في هذا الجو القارس الذي تخيم عليه الظلمة والكآبة تنسج توف جانسون صراعا إنسانيا من الطراز الأول، بسردية تمتاز بالبساطة والانسيابية، وتغوص في أعماق النفس البشرية لتناقش قضايا في غاية الأهمية: علاقة الإنسان بالطبيعة (الغابة والبحر)، وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وعلاقة الإنسان بالحيوان، وعلاقة الطبيعة بالفضن، وعلاقة الصدق والصرامة

بالكياسة والمجاملة، وغيرها من الموضوعات المهمة.

للوهلة الأولى، يظن القارئ أنه في حضرة رواية بوليسية مثيرة، ولكن سرعان ما يكتشف أن لهذا العمل وجهة أخرى، وجهة تركز على التوتر الذي ينتاب العلاقات الإنسانية أثناء مناقشة أمور أساسية دون الوصول إلى العنف أو إراقة الدماء، وهو ما يجعل القارئ منجذبا إلى قراءتها حتى النهاية.

تدور أحداث الرواية في جُلّها حول شخصيتين رئيسيتين؛ هما كاتري كلينغ وأنا إميلين، تجمعهما العزلة وتفرقهما المكانة الاجتماعية والنظرة إلى الحياة. تعيش كاتري منعزلة مع شقيقها وكلبها في علبة منحها لها صاحب المتجر فوق دكانه مقابل قيامها بعملية التنظيف في المكان، وهي مكروهة من جميع أهالي القرية بمن فيهم صاحب المتجر بسبب عدم رغبتها بالتفاعل الاجتماعي معهم بأي شكل من الأشكال. إنها تعيش حقا في عالم مصغر لا يهتمها في حياتها سوى العناية بشقيقها (الذي وضعت نُصب عينيها تحقيق مستقبل جيد له) وكلبها الضخم الذي ياتمر بأمرها في كل صغيرة وكبيرة. وهذه العزلة تجمعها وأنا (الرّسامة الثرية) التي تقيم وحيدة في فيلا فخمة ورثتها عن والديها تقع في أعلى التل بجوار الغابة، ويسمّي أهل القرية تلك الفيلا ببيت الأرانب، إشارة إلى صور الأرانب الوردية التي تقحمها في تصويرها لأرض الغابة.

لأنا مهابة خاصة عند أهل القرية، إذ إنها لا تظهر في الأماكن العامة إلا نادرا، وهي الآن تشعر بالكآبة والوحدة في شتاء قارس طويل؛ توقفت فيه كليا عن الرسم منتظرة حلول الربيع من جديد، وهو الموسم الذي تجد فيه نفسها وتخرج

بريشتها وألوانها المائية لتصوير أرض الغابة بأدق تفاصيلها .
تشكل الثروة المدخل للعلاقة المتوترة التي تنشأ بين كاتري وأنا، والتي تأخذ مساحة كبيرة في سير أحداث هذه الرواية، فقد وضعت كاتري هدفا محددا لها وهو الانتقال إلى بيت الأرانب مع شقيقها وكلبها للعيش مع أنا، وتولي أمور منزلها، بما في ذلك الدخل التي يأتيها من ناشري أعمالها الفنية، مستغلة حاجة أنا لكسر الوحدة التي تلتفها . وقد قادها هذا الهدف إلى الخروج عن مبدأ الصراحة والصدق الذي تلتزم به بصرامة حين قامت بعملية سطو صورية على منزل أنا كي تبرز الحاجة الماسة إلى وجود أناس آخرين معها في المنزل، وكانت هي المرشحة الأولى وكلبها الضخم الذي يمكنه القيام بالحراسة، وهذا ما حدث بالضبط . بررت كاتري خروجها عن مبدئها بأنها قامت بذلك من أجل شقيقها وليس من أجلها هي، وهو تناقض ينم عن خداع الذات الذي يمثل مغزى مهماً في هذه الرواية .

بدأ الارتياح يشوب العلاقة بين كاتري وأنا في المنزل منذ اللحظة الأولى، حيث أعطت كاتري لنفسها الحرية بالتصرف في أمور خاصة بالمنزل دون استشارة أنا، ولكن سرعان ما كانت كاتري تقنعها بوجهة نظرها التي تعتمد على المنطق الصارم وتتجاهل العاطفة، فتقبلها أنا على مضض، وطبقا لذلك المنطق، انتهى الأمر بكم هائل من الأشياء في المنزل ملقاة خارجا في الغابة تنتظر ذوبان الجليد لتغرق وتُفريق معها الماضي الذي يكتنفها . ومن ثم بدأت لعبة الأرقام التي استطاعت كاتري من خلالها مضاعفة الدخل الذي تجنيه أنا من أعمالها التجارية مرات عدة، مخصصة في كل صفقة جزءا معيناً لماتس (شقيقها) بعلم

ورضى أنا. وهنا تبرز الأرقام التي تبرع كاتري بالتعامل معها كموضوع مهم في الرواية.

بالنسبة لكاتري، لا وجود للعاطفة والكياسة في التعاملات اليومية بين الناس، فالحياة مجرد أرقام، وهذا يغاير نظرة أنا، وهي الفنانة ذات الأحاسيس المرهفة، التي تعودت على رؤية الحياة من منظار آخر؛ منظار العاطفة الذي تحكمه المجاملة الاجتماعية لا المنطق، وقد ظل هذا التوتر في النظرة إلى الحياة بين مدّ وجزر حتى آخر الرواية: «انحنت أنا من فوق الطاولة وقالت: (يا كاتري، ثمة شيء فيك يتجاوز الحدود) .. كانت تبحث عن الكلمة المناسبة .. شيء مطلق، (وهو لا يقودك إلى أي وجهة)». وعلى النقيض من كاتري، وجدت أنا في مائس شخصا يشاظرها اهتمامها بقراءة قصص المغامرة، إذ كانا يجلسان ساعات طويلة في المطبخ لقراءة تلك القصص ويتبادلان أطراف الحديث حول موضوعاتها، على الرغم من محدودية التواصل الاجتماعي بينهما خارج ذلك النطاق.

وثمة شيء آخر غيّرت كاتري من خلاله مسار حياة أنا، ألا وهو إقناعها بأنها تتعرض للغش والخداع من جميع من تتعامل معهم، مستخدمة الأرقام أيضا. فبدل التخلص من الوحدة الضيقة التي كانت أنا تعيشها في المنزل قبل أن تلج كاتري حياتها، غدت تعيش وحدة أوسع نطاقا تتوجس فيها من جميع معارفها، إذ لم تعد تثق بأحد. وعندما اكتشفت كاتري مع نهاية الرواية أنها أفسدت حياة أنا من خلال ذلك الطرح، وحاولت إصلاح الوضع بإخبارها أن كل ما قالت له كان مجرد أكاذيب، سخرت منها أنا: «أنت شخص غريب جدا»، قالت

أنا «تقدمين حساباتك وبراھینك، تجدین الشرف في الجميع، وتقنعینني بذلك، ثم تأتین إليّ لتقولی، تجرّئین علی أن تأتي إليّ لتخبریني بأن كل ذلك غير حقيقي؟ لماذا تفعلین هذا؟». في الحقيقة لم تكذب كاتري علی أنا، وإنما كانت تأخذ الأمور بمنطق الأرقام، وهو ما لا يتماشى مع العلاقات الإنسانية التي يحكمها الود والمجاملة، وليس حكم المنطق الصارم الذي يفسدها كما هو حال كاتري في علاقاتها مع أهالي القرية، وكما حدث مع أنا بسبب كاتري.

والسؤال الذي يبقى حاضرا في ذهن القارئ هو: من يخدع من في هذه الرواية؟ إن الإجابة علی هذا السؤال في غاية الصعوبة، إذ إنها تتلمس أطرافا مختلفة؛ فظاهريا ثمة أناس يمارسون الخداع بعضهم علی بعض سعيا وراء مصالحهم الخاصة، سواء مادية كانت أم نفسية. ولكن قراءة متعمقة تكشف عن حقيقة أن الخداع الذي يمارسه الإنسان في جُلّه موجّه نحو الذات، فكاتري تخدع نفسها، وتتخلى عن إنسانيتها عندما تقمع العاطفة، وتتبني منطقا صارما في تعاملها مع الآخرين. وأنا تخدع نفسها من خلال فنّها بإقحامها الأرناب الوردية في تصويرها لأرض الغابة من أجل رواج أعمالها، وكذلك من خلال مجاملاتها الاجتماعية المضرطة في تعاملها مع الآخرين.

أين يكمن الحل، إذا؟

لا تطرح هذه الرواية حلا لمسألة الخداع في العلاقات الإنسانية المتشابكة، وإنما تضعنا أمام فسيفساء نستطيع من خلالها أن نتأمل نماذج مختلفة من الخداع قد توصلنا إلى تحقيق التصالح مع الذات أولا ومع الآخرين ثانيا.

وثمة سؤال مهم آخر تحاول الرواية الإجابة عليه: هل يمكن تغيير نظرة المرء، أو حتى الحيوان، إلى الحياة التي يعيشها، ومن ثمّ عكسها؟

تقدم الكاتبة أنا كمثال صارخ على عدم إمكانية الجزء الأول من السؤال، وربما استحالة الجزء الثاني، فقد استطاعت كاتري بمنطقها السليم الذي لا يشوبه لبس أن تغيّر إلى حدّ كبير نظرة أنا الرومانسية للحياة على الرغم من مقاومة أنا المترددة لذلك التغيير، ولكن أنا فشلت بالعودة إلى ما كانت عليه من قبل بعد أن اتضحت لها الأمور، إذ نجدها عاجزة عن الرسم من جديد في آخر مشهد في الرواية: (جلست أنا بانتظار أن تنقش غشاوة الصباح عبر الغابة. كان السكون الذي تحتاج إليه تاماً، وحينما اختفت جميع العناصر الدخيلة، ظهرت أرضية الغابة، رطبة داكنة وعلى أهبة الاستعداد لتنفجر بكل ما تختزن من نباتات. كانت فكرة إقحام الأرناب الوردية في أرضية الغابة ضرباً من المحال).

أكان هذا فشلاً عاماً في ممارسة الفن من جديد أم فشلاً جزئياً يتعلق بممارسة الخداع في ذلك الفن، والمتمثل في إقحام الأرناب الوردية في تصويرها لأرض الغابة؟

ذلك تساؤل لا نعرف له إجابة على وجه اليقين، فالأرناب الوردية هي المسوغ الأول لشهرتها بين الأطفال وعنوان تهالك الناشرين عليها، فهل سيبقى الفن الخالص (تصوير أرض الغابة كما هي) دون خدعة الأرناب الوردية؟ هذا سؤال برسم الإجابة! وهناك مثال آخر يتمثل بعلاقة كاتري بكلبها، وهي علاقة تكتنف سيطرة تامة لها على تصرفاته، فهو يفعل ما تأمره به ولو

بإيماء بسيطة هكذا دون أي اعتراض أو تذمر، ولا يتلقى أوامر من أي شخص آخر، حتى ولو كان شقيقها الذي نذرت حياتها كلها من أجل إسعاده وتحقيق حلمه بامتلاك القارب الذي يحلم به. لكنها طالما تأملت فيما يتفاعل في داخل ذلك الكلب وفي نظرتة إلى السلوك البشري من حوله. وبعد انتقالها للعيش في بيت الأرناب، اكتشفت متأخرة أن أنا، التي لم تكن تطيق ذلك الكلب، قد استطاعت التقرب منه وجعله يطيع أوامرها. استشاطت غضبا وحاولت أن تعيد تصرفات الكلب إلى سابق عهدها، ولكن دون جدوى، فقد جنّ ذلك الكلب ولجأ إلى البرية، بل إنه هاجمها مرة وحاول قتلها؛ لقد تحول من حمل وديع إلى ذئب مفترس دون رجعة.

من الناحية الفنية قدّمت توف جانسون نثرا خالصا بامتيان، بعيدا عن اللغة الشعرية التي قد تثقل الكثير من الأعمال؛ أرادت لشخصيتها أن تعبّر عن أحاسيسها بلغة عفوية بسيطة تسبر أغوار النفس البشرية دون تكلف أو تقعر في اللغة: «هل تعرفين، يا كاتري؟ قالت أنا، وقد استدارت «نوعا ما، فإنني أستهويك أكثر عندما تضحكين مقارنة بك عندما تبتممين. هذا الفطاء قطعة رائعة، ولكن اللون الأخضر ليس في مكانه المناسب، الأخضر لون صعب للغاية، والآن اظن أن القيام بنزهة في محله. لم لا تأتين بالكلب تبدي وتمتّعينه بشيء من الهواء الطلق؟. تنساب اللغة على هذا المنوال في الحوار الذي يغطي مساحة واسعة من بداية الرواية حتى نهايتها، ثم يأتي دور الراوي الذي يتحدث بصيغة الغائب بصفة عامة، وفي حالات قليلة جدا بصفة المتكلم، مستخدما ذات اللغة السلسة التي تنأى

بنفسها عن التعقيد: دخل الشتاء مرحلة جديدة، كان الشاطئ ساكنا، في الخارج على الجليد، حضرت الرياح بقعا بلورية بين قطاعات الثلج الممتدة، كان هناك الكثير من الصيد عبر الجليد، وكانت تظهر العربة الثلجية لإيميل من جزيرة هوشلوم أحيانا متوجهة إلى الحفر الجليدية البعيدة، وزوجته على مزلاج من خلفه، تقلصت الأجراف الثلجية وأصبحت هشة، ولكن الجليد ما زال قويا، حتى في الخليج وحول الرؤوس البحرية، ويوما بعد يوم، بدأ الجو يعتدل.

ختاما، تفتح هذه الرواية للقارئ العربي نافذة على الأدب الإسكندنافي، وعلى حياة الناس في تلك المنطقة من العالم. ويعيدا عن التنظير والجدل، لقد استطاعت توف جانسون أن تقدم صورة رائعة لنمط حياة روتينية في قرية سويدية يلفها الثلج والظلمة في شتاء قارس، وهي صورة يحتاج القارئ العربي إلى التأمل بها، لكونها غريبة عن بيئته وخياله؛ إنها صورة للطبيعة بتجلياتها المتنوعة: البحر والثلج والغابة، وتفاعل الإنسان الإسكندنافي بمكوناته المختلفة معها. ومن المؤكد أن من يبدأ بقراءة هذه الرواية فلن يتركها قبل أن ينهيها، فهي تفعل فعل المغناطيس عند اقترابه من المعدن.

كان صباحا عاديا مظلمًا في يوم شتوي والثلج لا يزال يتساقط، لم يظهر أي نور خلال نوافذ القرية. غطت كاتري المصباح كي لا توقظ شقيقها وهي تحضر القهوة، ووضعت الوعاء الحافظ بجوار سريرها، كانت الغرفة باردة جدا، وكان الكلب الضخم مستلقيا بالقرب من الباب ينظر إليها وأنفه يظهر من بين قدميه، منتظرا إياها لتأخذه إلى الخارج.

لقد ظل الثلج يتساقط على امتداد الساحل طوال شهر كامل، وحسبما يتذكر سكان تلك القرية، لم يتساقط الثلج بهذا القدر منذ زمن بعيد وبهذا الكمّ الثابت الذي يتراكم أمام الأبواب والنوافذ ويثقل الأسطح بلا توقف ولو حتى لساعة واحدة. ولم يكد الثلج يُجرف من الطرقات حتى كان يعود ليملاها من جديد. وجعل البرد العمل في أسطح القوارب مستحيلا. وكان السكان يستيقظون متأخرين، إذ لم يعد هناك نهار، لقد بقيت القرية ساكنة تحت الثلج الذي لم يُمس حتى خرج الأطفال ليحفروا الأنفاق والكهوف ويصرخوا مطلقين العنان لأنفسهم، وقاموا برمي كرات الثلج على نافذة كاتري كلينغ رغم أنه تم منعهم من ذلك. لقد كانت تسكن في العلية فوق دكان صاحب المتجر مع أخيها ماتس وكلبها الضخم الذي لا يحمل اسما. وقد كانت

تخرج قبل الفجر لتمشي مع الكلب في شارع القرية تجاه المنارة على الرأس البحري، وحيث إنها كانت تفعل ذلك كل صباح، أخذ الناس يقولون عند استيقاظهم: ها هي تذهب ثانية مع كلبها والثلج لا يزال يتساقط، مرتدية ياقة مصنوعة من جلد الذئب. من غير الطبيعي ألا يحمل كلبك اسما، إذ ينبغي أن يكون لكل كلب اسم.

يقول الناس عن كاتري إنها لا تكثر سوى بالأرقام وبشقيقها، وقد تساءلوا عن سرّ عينيها الصفراوين، فعينا ماتس بزرقة عيني والدتهما، أما والدهما فلا أحد يتذكر هيئته بعد أن غادر شمالا منذ زمن بعيد لشراء شحنة من الخشب ولم يعد قط، فهو لم يكن من السكان المحليين. لقد اعتاد الناس على أن تكون أعين الجميع أكثر أو أقل زرقة، ولكنّ عيني كاتري كانتا باصفار عيني كلبها تقريبا. كانت تنظر للعالم من حولها بعينين تضيقان وكأنهما شقان، إذ نادرا ما كان الناس يكتشفون لونهما الغريب الأقرب إلى اللون الأصفر منه إلى الرمادي، لكن شعورها الدائم بالارتياح الذي يسهل استثارته قد يجعلها تفتح عينيها محدقة فجأة ومباشرة بانعكاس معين يجعلهما صفراوين حقا، فيشعر الناس بانزعاج شديد، فقد شعروا بأن كاتري كلينغ لا تثق أو تهتم بأحد غير نفسها وشقيقها الذي ربّته وحمته مذ كان في السادسة من عمره. وهذا أبقى الناس بعيدين عنها، وهم الذين لم يروا كلبها غير المسمى بهز ذيله قط، هذا علاوة على أن ابنة كلينغ وكلبها لم يقبلا البتة أي تودد من أحد.

لقد تولت كاتري بعد وفاة والدتها أمر المساعدة في المتجر، حيث قامت أيضا بإدارة الحسابات، فقد كانت ذكية جدا، لكنها

تركت العمل في أكتوبر، وكان أغلب الظن أن صاحب المتجر أرادها أن تغادر المكان ولكنه لم يجزؤ على إخبارها بذلك. أما الفتى ماتس فلم يكن في الحسبان، إذ كان في الخامسة عشرة، أي أنه أصغر بعشر سنوات من شقيقته، وكان فارغ الطول وقوي البنية، وكان يُنظر إليه على أنه ساذج نوعاً ما، حيث يقوم بأعمال غريبة في القرية، ولكنه غالباً ما كان يذهب إلى الإخوة ليليبيري في ورشة القوارب في الأوقات التي لم يكن العمل فيها متوقفاً بسبب البرد، فقد كانوا يعطونه مهاماً صغيرة ليست بتلك الأهمية. لم يذهب أحد لصيد السمك في فاستري منذ وقت طويل، فذلك لم يكن مجدياً، كان هناك ثلاث ورش لصنع القوارب تُدخل إحداها القوارب شتاء على مزالق للتخزين والترميم، وكان الإخوة ليليبيري هم أفضل صنّاع للقوارب؛ كانوا أربعة وكلهم غير متزوجين، كان إدوارد أكبرهم سناً، وهو من كان يصمم القوارب، يقود خلال فترات عمله عربة نقل البريد إلى المدينة حيث المتاجر التي يشتري منها البضائع والسلع لصاحب المتجر الذي كان يملك هذه العربة، وهي الوحيدة في القرية.

كان صنّاع القوارب في فاستري يفخرون بأنفسهم، ويوقعون كل قارب بحرف (و) وكان اسم قرينهم ما زال واستري المهابة كما في الأيام الخوالي. كما أن النساء كن يحكّن أغطية الأسرة بأنماط قديمة قوية ويوقعنها أيضاً بحرف (و)، وحينما يصل المصطافون في شهر يونيو يشترون القوارب وأغطية الأسرة، ويقضون حياة الصيف المريحة ما دام الجو دافئاً، وتعود الأمور إلى طبيعتها لتهدأ من جديد باقتراب نهاية أغسطس، ليحل الشتاء شيئاً فشيئاً.

تحول غسق النهار الآن إلى اللون الأزرق الداكن، وبدأ الثلج باللمعان، وأضاء الناس مصابيحهم في المطابخ، وسمحوا لأطفالهم بالخروج. ظل ماتس نائما بسكينة رغم أن أولى كرات الثلج أصابت النافذة.

أنا، كاتري كلينغ، أستلقي عادة مستيقظة ليلا مستغرقة بالتفكير، وتعد أفكارى، مقارنة بأفكار المساء التقليدية، أفكارا عملية بشكل غير اعتيادي، غالبا ما أفكر في النقود، الكثير من النقود وكيف أحصل عليها بسرعة وأجنيها بحكمة وأمانة، أفكر بمبالغ كبيرة تتيح لي ألا أعود للتفكير في النقود قط، مبالغ سأسدها فيما بعد، سيحصل بها ماتس أولا على قارب كبير صالح للإبحار بمقصورة ومحرك داخلي، سيكون أفضل قارب تم صنعه في هذه القرية البائسة لولا وجود ذلك القارب. أستمع كل ليلة لهمس الثلج الناعم يتساقط على النافذة قادما من البحر، وهذا جيد لأنني أتمنى أن تُغطى وتُحمى القرية بأكملها لتفدو نظيفة أخيرا.. فلا شيء يُضاهي هدوء وديمومة ظلمة شتاء طويل يستمر وكأنك تعيش في نفق تستغرق فيه الظلمة لتصبح ليلا أحيانا أو تخف لتفدو غسقا، وتظل أنت مغطى ومحما من كل شيء، وحيدا أكثر من المعتاد، تظل تنتظر وتختبئ كشجرة، يقولون إن للنقود رائحة كريهة، ولكن ذلك غير صحيح، فالمال نقي كالأرقام، الناس هم من تصدر عنهم الروائح الكريهة، فكل واحد منهم نتانة خفية تزداد حدة عندما يشعرون بالخزي أو الخوف، يشمها الكلب ويعرفها على الفور، فلو كنتُ كلبا لعرفتُ الكثير. ماتس وحده ليست له رائحة كريهة، فهو نقي كالثلج. إن كلبي كبير وجميل ومطيع، ومع أنه لا يحبني، فنحن نحترم

بعضنا، أنا أحترم غموض الكلاب والبرية الطبيعية الكامنة التي تلازم الكلاب الضخمة، ولكنني لا أثق بها، فكيف للمرء أن يثق بكلب ضخمة يقظ؟ يمنح الناس صفات آدمية تقريبا لحيواناتهم ويعنون بذلك صفات نبيلة وجذابة. الكلاب صامتة ومطبعة ولكنها تراقبنا وتعرفنا وتشتم كم نحن بائسون، لذا ينبغي أن يدهشنا، ويؤثر فينا، ويغمرنا كيف أن كلابنا تستمر في اتباعنا وطاعتنا بشكل لا يُصدق، ربما هي تحتقرنا، ربما هي تسامحننا، أو ربما هي تفضل عدم تحمل أي مسؤولية، لن نعرف الحقيقة أبدا، قد تكون ترانا كنوع من سلالات تعيسة مفرطة النمو تنتمي لكائنات غريبة شبيهة بخفافس بليدة ضخمة، لا كآلهة، لابد أن الكلاب ترى من خلالنا، وتمتلك بصيرة نافذة تقيدها آلاف السنين من الطاعة. لماذا لا يخاف الناس من كلابهم؟ إلى متى قد يظل ما كان حيوانا برياً ذات يوم ناكرا لطبيعته البرية؟ يعتبر الناس حيواناتهم مثالية، ويتفاضون في نفس الوقت أثناء رعايتهم لها عن حياة الكلب الطبيعية، بما في ذلك صيد البراغيث ودفن العظام القذرة والتمرغ في القمامة ونهش شجرة جوفاء طوال الليل.. ولكن ما الذي تفعله بأنفسها؟ تدفن أشياء ستعفن في الخفاء، ومن ثم تبشها وتعيد دفنها وتأخذ بالنباح والهيجان تحت الأشجار الميتة، وتلك الأشياء التي تتدحرج فيها لا، فأنا وكلبي نحتقرها، نظل مختبئين في حياتنا السرية، متوارين في برّيتنا الدفينة.

كان الكلب واقفا ينتظر عند الباب، ثم نزلا السلم وعبرا من داخل المتجر، ارتدت كاتري حذاءها في الردهة، في حين ظل عقلها يطحن أفكار المساء المشؤومة دون إحياء خارجي لهذه

الأفكار، وعندما خرجت في البرد ووقفت ساكنة، تتنفس نقاء الشتاء، بدت كَنُصْبٍ أسود عال، والكلب المرعب إلى جانبها وكأنهما أصبحا شيئاً واحداً، فهو لم يُقَدِّ برسن قطً.

هدأ الأطفال وساروا بعيداً عبر الثلج، وبوصلهم لزاوية أول منزل، أخذوا يطلقون صيحاتهم ثانية وبدؤوا في الشجار. مضت كاتري نحو المنارة، وكان ليليبيري قد أوصل بعض علب الغاز للمنارة أمس فقط، ولكن آثار قدميه قد غطاها الثلج تقريبا، وهبت الرياح الشمالية الغربية من البحر مباشرة بالقرب من الرأس البحري حيث الطريق الجانبي المؤدي إلى التل الذي يقع عليه منزل الأنسة إميلين. توقفت كاتري وتوقف كلبها كذلك على الفور، لقد حوَّلَهُمَا الثلج القادم مع مسار الرياح إلى اللون الأبيض، وقد أخذ بالذوبان على الفرو الذي يغطيها.

نظرت كاتري إلى المنزل بتمعن كما اعتادت أن تفعل لبعض الوقت كل صباح وهي في طريقها إلى المنارة، تعيش في هذا المنزل أنا وإميلين وحدها، هي وثروتها المالية لا غير، ولا تخرج أبداً تقريبا طيلة الشتاء البارد بكامله، فالمتجر يُرسل لها كل ما تحتاج وتأتي فرو سنببلوم مرة في الأسبوع للتنظيف، ولكن مع بدايات كل ربيع يظهر معطف أنا وإميلين الباهت على أطراف الغابة وهي تتمشى ببطء بين الأشجار، فقد عاش والداها حياة طويلة ولم يسمحا لأحدٍ بقطع أي أشجار من غاباتهم، لقد كانا ثريين ككائنات خرافية عند وفاتهما، وما زالت الغابات كما كانت لم يمسها أحد، وشيئاً فشيئاً صار اختراقها شبه مستحيل، حيث وقفت كالجدار خلف «منزل الأرانب» كما كانوا يسمونه في القرية، وكان عبارة عن فيلاً مكسوة بخشب رمادي اللون،

وبنوافذ ذات إطارات بيضاء منحوتة، وبدا بياضها الرمادي كلون غابة مغطاة بستر طويل من الثلج، لقد كان المبنى يشبه بالفعل أرنباً ضخماً رابضاً بأسنان أمامية مربعة تشبه ستائر الشرفة البيضاء، والنوافذ المضحكة الناتئة تحت حاجبين من الثلج، والمداخل التي تمثل أذنين متيقظتين، كانت كل النوافذ مظلمة، ولم يكن الثلج قد جُرفَ عن الطريق إلى أعلى التل.

إنها تسكن في ذلك المنزل، سنسكن أنا وماتس هناك أيضاً، ولكن يجب أن أنتظر، يجب أن أفكر بحذر قبل أن أمنح أنا إميلين هذه مكانة مهمة في حياتي.

ربما كان السبب الذي يجعل الناس يعتبرون أنا إميلين ودودة هو أنه لم يسبق أن حدث ما قد يدعوها لإظهار أي حقد، ولأنها تمتلك قدرة غير عادية على نسيان الأمور المزعجة، إنها ببساطة تتخلص منها وتمضي بأسلوبها الخاص الغامض والعنيد .

في الواقع، إن نزعتها المفرطة إلى الخير مثيرة للريبة، ولكن لم يملك أحد وقتا كافيا ليلحظ ذلك، وكانت تتخلص من زوارها ممن يأتون نادرا إلى بيت الأرانب سريعا بلطف شارد الذهن يجعلهم يشعرون وكأنهم أدوا واجب الاحترام نحو نُصب صغير نوعا ما .

لم يكن الأمر أن أنا كانت تحمي نفسها بهذا السلوك، كما لا نستطيع القول إنها كانت تخفي وجهها الحقيقي، الأمر ببساطة أنها كانت تشعر حقا بأنها على قيد الحياة فقط حينما كانت تكرر نفسها لقدرتها المميزة على الرسم، وكانت دائما وحيدة بطبيعة الحال عندما ترسم .

لقد كانت أنا إميلين تمتلك قوة عظيمة ومقنعة في الانغماس بعمل واحد، تستطيع من خلاله أن ترى وتتبنى فكرة واحدة وتهتم بشيء واحد فقط، وقد كان ذلك الشيء الوحيد هو أرض الغابة، كانت أنا إميلين قادرة على عرض أرض الغابة بوفاء لكل

التفاصيل الصغيرة، دون أن تفوتها حتى أصغر إبرة، تستخدم ألوانها المائية الدقيقة والطبيعية للغاية، وكانت هذه الألوان بجمال الثوب الربيعي من الطحالب والنباتات الرقيقة جداً، لدرجة أن المرء قد يمر عبر غابة كثيفة، ولكن نادراً ما يلحظها فعلاً، لكن أنا إميلين جعلت الناس تلاحظها، فصاروا يرون ويتذكرون روح الغابة ويعيشون للحظة حيناً غامضاً يُشعرهم بالسعادة والأمل، ولكن كان من المؤسف أن تُفسد أنا رسوماتها بإقحام الأرناب فيها، وذلك برسم ذكر وأنثى وأرنب صغير، والأكثر من ذلك، فقد بددت الكثير من لغز الغابة الدفين برسمها زهوراً صغيرة على الأرناب. انتقدت صفحة كُتّاب الأطفال الأرناب في بضع مناسبات، وهذا أزعج أنا وهزّ من ثقّتها، ولكن ماذا عساها أن تفعل؟ كان عليها أن تظهر الأرناب فيها من أجل الأطفال والناشر، فكل عامين تقريباً يصدر كتاب صغير جديد، حيث يقوم الناشر بكتابة النص، وكانت أنا ترغب أحياناً في أن ترسم الأرض فقط بنباتاتها القصيرة وجذور أشجارها بمزيد من الدقة وعلى مقياس أكثر صغراً وعمقاً وقرباً من الطحالب ليبدو عالمها الصغير باللونين البني والأخضر وكأنه غابة ضخمة كثيفة تسكنها الحشرات، كان بإمكانها أن تتخيل عائلة من النمل بدلاً من الأرناب، ولكن الألوان قد فُتت الآن بالطبع. ربّيت أنا الصورة الذهنية للمنظر الطبيعي الخاوي والمتحرر لديها، كان فصل الشتاء مخيماً، وهي لم تكن لترسم قبل أن تبدأ الأرض الجرداء بالظهور، وخلال انتظارها، كانت تكتب رسائل لأطفال صغار جداً أرادوا أن يعرفوا كيف أمكن الأرناب الحصول على فرو بالورود.

ولكن أنا لم تكتب أي رسائل في اليوم الذي بدأت فيه القصة الحقيقية لأننا وكاتري، جلست في ردهتها تقرأ كتابا ممتعا للغاية، وهو مغامرات جيمي في إفريقيا، كان قد ذهب إلى ألاسكا في المغامرة الماضية.

بدأت غرف أنا الطويلة الواسعة جميلة في الضوء المنعكس من الثلج؛ بأفرانها ذات القرميد الأزرق والأبيض والأثاث ذي الألوان الزاهية الموزع على امتداد الجدران والمنعكس على أرضيات الخشب المزخرف التي تقوم فرو سندبلوم بتلميعها مرة كل أسبوع، لقد كان والد أنا رجلا ضخما جدا، لذا فقد أراد دائما مساحة من حوله، وقد أحب الأزرق، الأزرق بدرجته المعتدلة الذي بدا في كافة أرجاء المنزل، وكان يبهت شيئا فشيئا بمضي السنين، وقد خيَّمت على منزل الأرناب سكون عميقة ومسحة من الانتقائية بين عناصره.

وضعت أنا كتابها جانبا، وقررت أنه ينبغي عليها الاتصال بالمتجر، وهو شيء تكره فعله، كان الخط مشغولا، فجلست تنتظر بجوار النافذة المطلة على الشرفة، وكان خارج الشرفة الصيفية ركام ضخمة من الثلج حملته الرياح الشمالية الغربية بانحناء صارخ، يجمع في طياته التلاعب والقسوة، ودارت هبة خفيفة شفافة من الثلج فوق الحافة الحادة للجبل، ويسلك هذا التدفق للثلج نفس المسار كل شتاء، ويكون دوما بنفس الجمال، ولكن لم يتسنَّ لأننا أن تلاحظه بسبب حجمه الكبير وبساطته المتناهية، اتصلت ثانية وأجاب صاحب المتجر، هل عاد ليليبيري؟ لقد نسيت أن تذكر له الزبدة وحساء البازلاء؛ ليست تلك الكبيرة، بل العلبة الصغيرة، لم يتمكن صاحب المتجر من سماع ما قالت، وأخبرها

بأن الثلج لم يُجرف بعد من الطريق، وبالتالي لم تتمكن عربة البريد من أن تصل، لكن ليليبيري تزلج إلى المدينة، وسيحضر البريد وقليلًا من الكبد الطازجة.

صرخت آنا إميلين: «لا أسمعك! الكرب؟ هل حصل شيء ما؟».

كرر صاحب المتجر: «الكبد، سيحضر ليليبيري قليلًا من الكبد الطازجة معه، وسأضع البعض منها جانبًا لك خصيصًا آنسة أميلين، قطعة جيدة من الكبد...»، ومن ثم تلاشى صوته في العاصفة الثلجية بسبب مشكلة أخرى في خط الهاتف، أسدلت آنا الستارة بينها وبين العالم الخارجي، وعادت ثانية إلى كتابها، وقد بدا عليها الارتياح، وفي حقيقة الأمر أنها لم تكثر حقًا بحساء البازلاء، أو بالبريد.

حينما عاد إدوارد ليليبيري من المدينة، قام بخلع مزلاجيه، وأنزل حقيبة الظهر على عتبة المتجر، فقد ألمه ظهره، ولم يكن في مزاج ليتحدث مع أحد، ألقى بمؤن صاحب المتجر في صندوق كرتوني وحملها إلى داخل المتجر وهو لا يزال مبللًا بفعل الثلج. «لقد استغرق هذا وقتًا طويلاً»، قال صاحب المتجر، وقد كان مسترخيًا خلف المنضدة وهو في مزاج سيئ لفقده مساعدته في المحل، لم يُجب ليليبيري، ولكنه عاد إلى الطاولة الموجودة في الشرفة المسيجة ليفرز البريد، وأنه كاتري كلينغ من نافذتها وهو يتزلج نحو المبنى، وصارت الآن مباشرة في الشرفة تنظر من فوق كتفه، وسيجارتها في فمها كالعادة متفحصة البريد عبر الدخان، «هذا بريد الأنسة إميلين»، خاطبته قائلة، من السهل معرفته، فأغلب رسائلها كانت مزينة بالورود والعناوين مكتوبة

بخط أطفال صفار جدًا، أضافت كاتري: «هل كنت ستوصله إليها حالاً؟».

«أليس باستطاعة المرء أن يلتقط أنفاسه؟» قال ليليبيري: «إن عمل ساعي البريد في هذه القرية ليس مريحاً بتاتا».

كان بإمكانها وبسهولة أن تعلق على صعوبة التزلج في هذا الجو، أو أن تسأله كيف استطاع أن يرى الطريق أمامه أو أن تشتكي من عدم إرسال الجرافات من المدينة؛ أي شيء على الإطلاق لتظهر اهتمامها أو تتظاهر بذلك، كما يفعل الناس عادة ليلطفوا الأجواء، ولكن لا، ليس كاتري كلينغ، وقفت هناك تجول بعينها من خلال دخان سيجارتها وشعرها الأسود يغطي وجهها كعُرف وهي تتحني فوق الطاولة، وكانت تلف نفسها ببطانية من البرد، وتمسك بها بقوة بقبضة يديها، خطر ببال إدوارد ليليبيري أنها تبدو كساحرة.

«أستطيع أخذ البريد للأنسة إميلين»، قالت كاتري.

«لا أستطيع أن أدعك تفعلين هذا، فتوصيل البريد هي وظيفة ساعي البريد، وهو منصب مبني على الثقة».

رفعت كاتري رأسها وفتحت عينها، وقد بدتا صفراوين حقا تحت ضوء الشرفة القوي، «الثقة»، قالت: «ألا تثق بي؟» توقفت ثم كررت: «أستطيع أن أوصل البريد للأنسة إميلين، إنه أمر مهم بالنسبة لي».

«هل تحاولين تقديم المساعدة؟».

«أنت تعرف أنني لا أفعل ذلك»، ردت كاتري: «كل ما أفعله هو لمصلحتي تماما، هل تثق بي أم لا؟».

خلص ليليبيري بعد ذلك إلى أنها قد تكون قالت ذلك بما أنها

كانت ذاهبة مع كلبها في ذلك الاتجاه على أية حال، وبالتالي لن يسبب هذا لها أي عناء، لكن على الأقل كانت كاتري كلينغ صادقة؛ كان عليه أن يقر بذلك.

* * *

اتصلت أنا ثانية، «أستطيع سماعك الآن بشكل أفضل»، قال صاحب المتجر: «قلتِ علبة صغيرة من حساء البازلاء وزيد، أتى ليليبيري بالبريد وأحضر الكبد، إنها طازجة من البطن مباشرة، إن جاز لي القول لقد وضعت بعضاً منها جانباً لك خصيصاً آنستي، ولكن لن يحضره ليليبيري هذه المرة، بل الأنسة كلينغ، إنها في طريقها إليك.» «من؟»

«مساعدتي السابقة في المتجر، كاتري كلينغ، إنها من ستحضر لك الكبد، وهي في طريقها إليك.» «ولكن الكبد!»، اعترضت أنا ولكنها كانت متعبة للغاية: «منظر الكبد شنيع، وهي صعبة التحضير.. ولكن إن كنت بهذا الكرم لتضع بعضها جانباً.. هذه الأنسة.. قلت، كلينغ؟ هل تعرف أن عليها أن تدخل من باب المطبخ؟»

ثم بدأ خط الهاتف يصدر صفيراً مرة أخرى كما يفعل دائماً في الشتاء، توقفت أنا واستمعت لبرهة، ثم ذهبت إلى المطبخ لتحضر بعض القهوة.

كان ماتس عائداً إلى المنزل من ورشة القوارب بحلول المساء، يعمل الرجال شتاءً في فاستربي في الأجواء المعتدلة فقط لتوفير الوقود، وتُغلق ورشة القوارب أبوابها قبل حلول الظلام لتوفير الكهرباء، فقد كانوا مقتصدين للغاية، وكان ماتس دوماً آخر المغادرين.

«إذن، قد جعلوك تغادر الورشة»، قال صاحب المتجر: «أراهن أنك ستبقى وتسافر في الظلام لو سمحوا لك بذلك».

«إنني أعمل في التلويح الآن، هل لي بكوكاكولا على حسابنا؟»، أجاب ماتس.

«بالطبع، يا سيدي، وعلى الفور! كم هو مخجل أن شقيقتك لا تريد أن تخدمك هنا في المتجر بعد الآن، أمر سيئ للغاية، لقد كانت نشطة جدا في المتجر، التلويح إذا، حقا؟، أنت إذا تعمل في فرش الأرض بالخشب أيضا، من كان سيفكر بهذا؟».

أوما ماتس برأسه موافقا دون أن يصغي له وشرب الكوكاكولا على المنضدة ببطء، وقد بدا في الغرفة الصغيرة المكتظة ضخما جدا وطويلا، وكان شعره طويلا، تجاوز طوله كل الحدود، وهو أسود فاحم كشعر شقيقته، ليس كشعر سكان المنطقة، بدا وكأنه قد نسي أنه لم يكن وحيدا، ولكن عندما نزلت كاتري على السلم استدار وتبادل الأخوان إيماءة لا تكاد تُرى كإشارة تضامن صغيرة تخصهما فقط، وقد استلقى الكلب ينتظر بجوار الباب.

قال صاحب المتجر: «لقد سمعت أنك ستوصلين البريد إلى فيلا الأرانب، ها هي الحاجيات، وانتبهي كي لا يسيل شيء من الكبد».

«إنها لا تحب الكبد»، قالت كاتري: «أنت تعرف جيدا، لقد أعطت مهلبية الدم لفرس سندلوم».

«الكبد ليس مهلبية الدم، هي من طلبتها على كل حال، وتذكري أن تدخلني من المطبخ، الأنسة إميلين دقيقة للغاية بشأن زوارها».

كان ذلك الحوار هادئا وعدائيا كدوران حيوانين متيقظين تحفزا لبدء الهجوم.

صاحب المتجر، صفير القوام هذا، لا ينسى أبداً، وهو لم يسامحني منذ ذلك الحين، كانت شهوانيته مدعاة للضحك، وقد جعلته يدرك ذلك، لم أتحل بالموضوعية، والأمور تخرج عن سيطرتي كلما فقدت موضوعيتي، عليّ أن أذهب بعيداً من هنا.

* * *

بدا الثلج شديد الزرقة في بدايات الفسق، أشارت كاتري للكلب أن ينتظر عند الطريق الفرعي وصعدت التل والريح تعصف خلفها، لم يجرف أحد الثلج بعد.

فتحت أنا إميلين باب المطبخ قائلة: «آنسة كلينغ، كم أنت لطيفة، وفي هذا الجو، لم يكن هناك داع...».

كانت المرأة التي دخلت المنزل فارعةً الطول وترتدي معطفاً من الفراء الأشعث نوعاً ما، ولم تبسّم عندما قالت مرحباً.

كان الموقف ينبئ بعدم الأمان، لقد ظل هذا المنزل هادئاً لوقت طويل جداً، وهي تبدو بمظهرها كما تخيلتها؛ كالأرنب.

كررت أنا: «نعم، إنه لطفٌ منك.. أعني، يهمني وصول بريدي، ولكن...»، توقفت أنا للحظة تنتظر رداً، ثم أكملت: «لقد حضّرت

بعض القهوة، أنت تشربين القهوة، أليس كذلك؟».

«لا»، أجابت كاتري بلطف: «أنا لا أشرب القهوة».

تراجعت أنا وشعرت بالدهشة أكثر من شعورها بالإهانة، الجميع يشرب القهوة عند تقديمها، إنه نوع من المجاملة، ليس إلا، وتفعله إكراماً للمضيفة: «ربما الشاي؟»، أضافت قائلة.

«لا، شكراً لك»، ردّت كاتري كلينغ.

«آنسة كلينغ»، قالت أنا فجأة: «يمكنك وضع حذائك بجوار

الباب، سيتلف الماء السجاد».

تعجبني الآن أكثر، فلتكن خصما، ولأصارع ضد مقاومتها، أمين.

دخلنا إلى الردهة.

كان عليّ أن أحضر أحد كتبها، لا، لم يكن عليّ فعل ذلك، إذ سيكون الأمر مخادعا.

«أحيانا»، قالت أنا إميلين: «أحيانا أظن أنه قد يكون جيدا أن أضع سجادة تغطي الأرضية بأكملها هنا، نوعٌ خفيف وناعم جدا، ألا توافقين آنسة كلينغ؟».

«كلا، هذا يفسد أرضية جميلة كهذه».

بالطبع إنها تريد أرضية مخملية، بسجاد أو من دونه، فالمكان هنا مخملي برمته على كل حال؛ حار ومخملي، قد يكون الطابق العلوي أكثر هواء، سيكون علينا فتح النوافذ ليلا، وإلا فلن نستطيع ماتس النوم.

كانت نظارة أنا إميلين معلقة حول رقبتها بسلسلة رفيعة، وقامت الآن برفعها، وزفرت على عدساتها، وبدأت بفركهما بزاوية مفرش الطاولة، فريما كانتا مغطاتين بالرداذ.

«آنسة إميلين، هل كان عندك أرانب من قبل؟».

«عفوا».

«هل كان عندك أرانب؟».

«لا، ماذا تقصدين؟ عائلة ليليبيري تربّي الأرانب، ولكنني أدرك أنها حيوانات متعبة جدا...»، أجابت أنا بتلقائية وبطريقتها الفامضة ونبرة صوتها التي لا تُتْهى أي جملة تقولها، ثم تحركت باتجاه إناء القهوة وتذكرت؛ هذه الضيفة لا تشرب القهوة، وفجأة سألت بحدة: «ولماذا يا آنسة كلينغ سيكون لديّ أرانب؟ هل لديك

أنتِ أَرَانب؟».

«لا، لديّ كلب، كلب من فصيلة الراعي الألماني».

«كلب؟ بدأ تركيز أنا يتشتت في اتجاه مختلف، فالكلاب يصعب تصنيفها..

أزعجت القهوة التي لم تُمسّ المضيفة، وقفت وأشارت إلى أنهما بحاجة إلى مزيد من الإنارة، لقد حلّ الظلام، فأنارت مصابيح مظلمة تظليلاً خفيفاً، الواحد تلو الآخر، ثم اقترحت أن تأخذ كاتري معها مخطوطة بتوقيعها الشخصي، كانت أنا تتمتع بخطّ جميل، وبعدها وقعت اسمها، بدأت ترسم أرنباً كالعادة مبتدئة بالأذنين، ثم توقفت، وأخذت ورقة جديدة. كانت كاتري قد ذهبت إلى المطبخ ووضعت البريد على الطاولة والمؤن على المنضدة، وقد سرى سائل زهري من صرة الكبد.

«يا لبشاعة ذلك»، قالت أنا من خلفها: «أهذا دم؟ لا أستطيع تحمل منظر الدم..».

«دعيه، سأضعه في مكانه».

ولكن أنا قامت بفتح الصرة، وكانت الكبد في داخلها مكشوفة بلون أحمر مائل إلى البني، ومنفخة بالدم وطبقات بيضاء تسري خلال اللحم. غدت أنا شاحبة اللون.

«سأطعمه لكلبي يا آنسة إميلين، وسأخذه بعيداً من هنا، أنا ذاهبة الآن».

بدأت أنا في الشرح سريعاً، لطالما كانت تخاف جداً من أي شيء قد تصدر عنه رائحة كريهة؛ تضعين الأشياء في أماكنها وتتسعين أمرها وتبدأ رائحتها تفوح، فتبدئين بالقلق من أنها فسدت وينبغي التخلص منها.. «وأنتِ لا تستطيعين أن ترمي

الطعام، إذا ما نظرنا إلى وضع العالم هذه الأيام...».

«أفهم ذلك»، قالت كاتري: «تخفين الأشياء ومن ثم تبدأ رائحتها تفوح، فلم لا نتوقف عن شراء ما قد تصدر عنه رائحة كريهة؟ إذا كنت تمقتين لحوم الأعضاء، فقولني هذا، لماذا طلبت الكبد؟».

«لم أطلبها، إنه هو! لقد كان لطيفا ليضع لي قليلا منها جانبا...».

«صاحب المتجر» قالت كاتري بروية: «صاحب المتجر -تذكري هذا- إنه ليس رجلا لطيفا، إنه خبيث للغاية، وهو يعرف أنك تخافين من الكبد».

في الفناء الخلفي، أشعلت كاتري سيجارة، لقد بدأ الظلام يحل سريعا.

أسرعت أنا إميلين إلى النافذة المطلة على الشرفة تراقب ضيفتها وهي تنزل التل، بهيئتها الطويلة المعتمدة، ولاح على الطريق خيالان، وكأن ذئبا ضخما خرج من الفسق لينضم إليها، وقد سارا جنبا إلى جنب عائدتين إلى القرية، وظلت أنا تراقب على النافذة في قلق محير. قد يكون فتجان من القهوة في مكانه الآن.. ولكنها فجأة لم تعد تريد القهوة، كانت تلك معلومة جديدة، صغيرة ولكنها قاطعة، فهي لم تحب القهوة، وفي حقيقة الأمر، لم تحبها قط.

حينما عادت كاتري إلى المنزل، جلست على السرير مرتدية معطفها، وكانت متعبة جدا، ما المكاسب؟ وما الخسائر؟ كان أول لقاء مهما للغاية، أغضت كاتري عينيها وحاولت تخيل صورة واضحة عما جرى، ولكنها لم تستطع ذلك، ظلت الصورة تفلت منها بخفة وتشتت أشبه ما تكون بآنا إميلين نفسها، هي ومصاييحها المظلمة وغرفتها الغامضة المتناغمة جيدا والطريقة المريبة التي تحدثنا بها مع بعضهما، ولكن الكبد على منضدة المطبخ كانت حقيقة وأمرًا ملموسًا، هل أحضرتها معي لأجلها؟ كلاً، أكان ذلك من أجلي، لتسجيل النقاط؟ كلاً، كلاً، لا أظن ذلك، لقد كان تصرفاً عملياً بحثاً، كان هناك ذلك الشيء الدموي الذي أخافها، وتوجبت إزالته، لم أكن أتصرف بخداع أو غش، ولكن المرء لا يستطيع أن يعرف أو يتأكد تماماً أبداً إن كان قد حاول أن يتحجب لأحدٍ بطريقة كريمة أو متملقة أو أي صفة جرداء تدرج تحت كل ما في المنظومة القذرة والمقرزة التي ينتهجها الناس متحصنين بها طوال الوقت وفي كل مكان لتساعدهم في الوصول إلى ما يريدون، قد تكون مصلحة أو حتى غير ذلك، وغالباً ما تأخذ الأمور مسارها هكذا، بأن يكون المرء لطيفاً قدر الإمكان ليخلص نفسه من المشكلات... لا، لا أظن أنني كنت

لطيفة على وجه الخصوص، لقد أضعت هذه الفرصة، لكنني على الأقل لعبت لعبة شريفة.

قام ماتس ببعض الرسومات الجديدة، وكانت موضوعة على الطاولة كالعادة، لم يتحدث قط عن تصاميمه للقوارب، لكنه أراد أن تراها كاتري، كانت الرسومات دائما على الورق الأزرق المربع نفسه، مما سهل عملية خلق التوازن، وكان القارب عينه؛ كبيرا بعض الشيء مع محرك داخلي وقمرة. لاحظت كاتري أنه غير انحناء هيكل القارب وجعل القمرة أكثر انخفاضا، تفحصت ملاحظاته بدقة؛ تكلفة الخشب، المحرك، أجور العمل.. أمور عليها التحقق منها للتأكد من أنه لم يتعرض للفشل، كانت الرسومات جميلة للغاية، لم تكن مجرد أحلام صبيانية بقارب؛ كانت عملا متقنا، تدرك كاتري أنها نتاج ملاحظة طويلة وصبورة، الحب والاهتمام الذي يكرسه المرء لشيء واحد وفكرة واحدة مهيمنة. استعارت كاتري لماتس كتبا من المدينة، كل ما كان في المكتبة عن القوارب وصناعاتها وقصص عن مغامرات البحر، غالبا ما كانت كتبا للفتيان، حاولت كاتري في الوقت نفسه، بمسحة معذرة تقريبا، جعله يقرأ ما تسميه أدبا.

«أنا أقرأ الكتب الأدبية فعليا»، قال ماتس: «ولكنني لا أستفيد منها شيئا، ليس فيها الكثير من الأحداث، أدرك أنها جيدة جدا، ولكنها تصيبني بالحزن، فهي عادة ما تكون عن أناس يعانون من بعض المشكلات».

«ولكن ماذا عن البحارة، أولئك البحارة التي تتحطم سفنهم؟ أليس لديهم مشكلات؟».

هز ماتس رأسه وابتسم: «ذلك شيء مختلف»، وقال موضحا:

«على أية حال، هم لا يتحدثون عنها كثيرا جدا».

ولكن كاتري استمرت بالحديث، فإذا كان ماتس يقرأ أربعة من كتبه، توجب عليه أن يقرأ واحدا من كتبها، واحدا فقط، لقد خشيت أن يفقد شقيقها ذاته في عالم تستتر فيه بشاعة الحياة خلف مقامرات أبطال خارقين زائفين، قرأ ماتس كتب كاتري ليرضيها، ولكنه لم يتحدث عنها، كانت تسأل في البداية، فيجيب فقط: «نعم كان ذلك جيدا للغاية»، لذا، توقفت عن السؤال. نادرا ما يتحدثان مع بعضهما، كانا يملكان سوية سكوتا هادئا وصريحا.

كان الظلام قد حلّ لبعض الوقت حين عاد ماتس إلى المنزل، ربما كان مع عائلة ليليبيري، وهذا لم يعجب كاتري، كان دائما ما يتسكع من حولهم على أمل أن يتحدثوا عن القوارب، كانوا ودودين مع ماتس كما يفعل الناس مع حيوان يربونه في منازلهم، فقد تركوه يدور بجوارهم دون أن يحسبوا له أي حساب، لم يكن لشقيقها أي اعتبار، وضعت كاتري الطعام وتناولاه كالعادة، وفي يد كل منهما كتاب.

كانت وجبات القراءة تلك دائما أكثر أوقات اليوم سكونا، يلفها هدوء تام ومُرض، ولكن في هذه الليلة، لم تستطع كاتري القراءة، كانت تعود لبيت آنا إميلين مرارا وتكرارا، وكانت تتركه مهزومة مرة تلو الأخرى، لقد دمّرت مستقبل ماتس، أشاحت كاتري بنظرها عن الكتاب الذي لم تعد تفهم منه شيئا، ونظرت إلى شقيقها، انكسر ظلّ المصباح الذي يفصل بينهما، وانعكس النور على وجهه في تمازج بين النور والظل، مما جعلها تفكر في الظل المبرقش للأوراق تحت الأشجار أو انعكاس الشمس

على أرضية رمالية، لم يستطع أحد سوى كاتري أن يرى كم هو وسيم، وفجأة غمرتها رغبة جامحة في أن تحدث شقيقها عن الهدف العنيد الذي لا يغادر فكرها، رغبة في أن تشرح فكرتها عن الشرف وتدافع عن نفسها. لا، لا أن تدافع بل تشرح فحسب، نتحدث معه هكذا عن كل شيء لم يكن من الممكن التحدث به مع أي أحد خلا ماتس.

لكنني لا أستطيع ذلك، فماتس لا يحفظ سرا، وهذا ما يجعله غامضا جدا، ويجب ألا يزعجه أحد، إذ علينا تركه وشأنه في عالمه النقي البسيط، وقد لا يفهم الأمر، بل يقلق فقط من أن لدي بعض المشكلات، وماذا سأشرح له فعليا؟ لكنني أعرف ما عليّ فعله، عليّ فقط أن أنفذ ما أنوي تنفيذه تماما وبوضوح، وأن أحارب بشرف قدر ما أستطيع. نظر ماتس من فوق كتابه: «ماذا هناك؟»، خاطبها قائلا.

«لا شيء، هل ذلك كتاب جيد؟».

«إنه رائع»، أجاب قائلا: «لقد وصلت إلى بداية المعركة البحرية».

كانت الليالي في القرية هادئة جدا فيما عدا نباح كلب أو كلبين هجينين، فقد كان الجميع في منازلهم يتناولون العشاء، وبدأت الأضواء في كل النواهد، كان الثلج يتساقط كالعادة، وكانت الأسقف مثقلة بأحمال الثلج، وابتضت الدروب التي خطتها الأقدام خلال النهار من جديد، وأخذت الضفاف المتجمدة على الجانبين تعلو أكثر فأكثر، وبدأ داخل ضفاف الثلج أنفاق عميقة وضيقة، حيث كان الأطفال قد حفروا مخابئ لهم خلال ذوبان الثلج، وانتصبت في الخارج تماثيلهم لرجال الثلج، وأحصنة الثلج، وأشكال غير مفهومة بأسنان وأعين وقطع من المعدن والفحم، وعندما كانت تحل حالة التجمد الشديد التالية، كانوا يصبون الماء على هذه المنحوتات لتتصلب وتتصلب جليداً.

في أحد الأيام توقفت كاتري أمام أحد هذه الأشكال، ورأت فيه شبيهاً منها، فقد استخدم الأطفال قطعتين من الزجاج الأصفر لعينيها وألبسوها قبعة قديمة من الفرو، وقاموا بتمثيل فهمها الصغير وقامتها الصلبة المستقيمة، وقد ألحقوا بهذه المرأة الثلجية كلباً ضخماً من الثلج، لم يكن متقناً، ولكنها استطاعت أن ترى أنهم قد قصدوا به كلباً، بل كلباً مربعاً، وجثمت عند حافة

ردائها قامة صغيرة لقزم يضع قفاز قرن أحمر على رأسه. عادة ما كان ماتس يرتدي قبعة صوفية حمراء في الشتاء. ركلت كاتري ذلك التمثال الثلجي محطمة إياه، وعند عودتها إلى المنزل ألقت بقبعة شقيقها في الموقد، وحاكت له قبعة زرقاء جديدة، ولاحقاً احتفظت كاتري بتذكاري واحد فقط ذي قيمة كبيرة من تمثال الأطفال الكاريكاتوري، ألا وهو الورقة التي ملأوها بالأرقام وغرسوها في قلب امرأة الثلج بوتد خشبي، لقد كانت تلك الورقة، على الرغم من كل شيء، رمزاً للاحترام الذي يكنّه لها أهل القرية. لقد استمع الأطفال لحديث أهاليهم، وعرفوا أنها كانت بارعة في الرياضيات، وعرفوا كذلك أن الأرقام كانت تتغلغل في قلبها.

ظل الناس لأعوام يلجؤون لكاتري طالبين مساعدتها في حساب المبالغ التي عجزوا عن حسابها بأنفسهم، فهي تقوم بالحسابات الصعبة والنسب المثوية بمنتهى السهولة، وكانت أجوبتها دائماً صحيحة وفي محلها. بدأ الأمر عندما كانت كاتري تقوم بمتابعة الطلبات ودفع فواتير صاحب المتجر، وعُرف عنها بعد ذلك أنها بارعة وذكية وتجيد التعامل مع الأرقام، كما أنها اكتشفت أن تجاراً عدة في المدينة كانوا يفشون في معاملاتهم، واكتشفت فيما بعد أيضاً أن صاحب المتجر في القرية كان يفعل الشيء ذاته ولكن دون علم أحد. كان لكاتري كولينغ كذلك حس لا يخطئ في كيفية توزيع المبالغ بإنصاف، بدءاً بالحلول الواضحة ووصولاً إلى المشكلات المعقدة التي تتطلب نوعاً مختلفاً من الحساب. أخذ سكان القرية يتوافدون إليها مع بياناتهم الضريبية أو ليناقشوا معها فواتير الشراء والوصايا والحدود بين الأراضي

الملوكة، كان هناك بالطبع مُحام في المدينة، ولكنهم كانوا أكثر وثوقا بها، ولم يروا حاجة لهدر المآل على مُحام.
قالت كاتري: «أعطهم المرج، لأنك لن تستطيع فعل شيء به على أية حال، فهو ليس حتى مرعى جيدا، ولكن أضف بندا يفيد بأنه غير خاضع للتطوير، وإلا فسيقطنون بجوارك عاجلا أم آجلا، وأنت لا تطيقهم».

ثم أخبرت الطرف الثاني أن المرج عديم الفائدة، ولكنهم يستطيعون الاستفادة منه في سبيل راحة البال بوضع سياج عليه علامة «ممنوع التجاوز» حتى لا يضطروا دائما لتحمل الإزعاج من أطفال الجيران، كانت نصيحة كاتري محل نقاش واسعا في القرية، وفاجأت الناس بصحتها وحكمتها البيئة، وقد يكون ما جعل تلك النصيحة فعالة للغاية هو أنها استندت إلى فرضية أن الجيران بطبيعتهم يكونون العداوة بعضهم لبعض، وعادة ما كان يتبع جلسات الأهالي مع كاتري شعور غريب بالخجل، من الصعب تفسيره، لأن الإنصاف كان عنوانها دائما، لتأخذ مثلا حالة عائلتين ظلتا تزدريان بعضهما لسنين، ساعدت كاتري الطرفين في حفظ ماء وجهيهما، ولكنها أيضا بينت لهما أصول عداوتهما، وبذلك ثبتت تلك العداوة إلى الأبد. كما أنها ساعدت الأهالي في أن يكتشفوا أنهم كانوا يتعرضون للغش، وقد ساعد الجميع كثيرا بقرار كاتري في قضية إميل من بلدة هشولم، فقد أصيب بعدوى تسمم حاد في الدم كلفه الكثير من المال ومنعه من العمل لوقت ليس بقصير، فقالت كاتري إنها إصابة عمل وطالبت بتعويض للعامل، وتوجب على صاحب العمل أن يتقدم بطلب التعويض لمكتب التشغيل نيابة عنه.

«حسنا، لكن ليس هذا ما حدث تماما»، اعترض إميل قائلاً:
 «لم يحدث ذلك عندما كنت أصنع قاريا، كنت فقط أقوم بتنظيف
 بعض السمك».

ردت كاتري: «متى ستتعلمون؟ العمل عمل، إن كان سمك أو
 استخدام عتلة، الكل سواء، كان أبوك صيادا، أليس كذلك؟ وعمل
 في المسمكة، أليس كذلك؟ كم مرة جرح نفسه خلال عمله؟»
 «بين الحين والآخر».

«بالطبع، ولم يحصل على أي تعويض، إذن، لقد غشته الحكومة
 أكثر مما كان يعلم، وبهذا تكون الأمور قد عادت إلى نصابها».
 كان الناس يستشهدون بأمثلة كثيرة على فطنة كاتري كلينغ،
 فقد بدت قادرة على إعادة كل الأمور إلى نصابها، وإذا ما راود
 الأهالي الشك بها، كانوا يستطيعون دائما أن يُطلعوا المحامي في
 البلدة على أوراقهم المهمة، ولكنه لم يُشكك قط حتى الآن في
 أحكام كاتري: «من هي تلك الساحرة العجوز الحكيمة في هذا
 المكان؟ وأين تعلمت كل هذا؟».

في البداية، أراد الأهالي أن يدفعوا أجرا لكاتري لقاء
 خدماتها، ولكن عندما قابلت ذلك ببرود شديد، توقفوا عن ذكر
 الأجور، لقد بدا غريبا كيف أن شخصا يفهم الكثير عن مشكلات
 الآخرين في مواقف استثنائية كان عاجزا عن التعامل مع هؤلاء
 الناس أنفسهم، فقد أزعج صمت كاتري الآخرين جميعا، لقد
 كانت تجيب عن الأسئلة التي تتعلق بالحقائق، ولكنها لم تكن
 تتحدث إليهم، والأمر من ذلك، أنها لم تكن تبسم عند لقاء
 الأهالي، ولم تكن تشجعهم أو تساعدهم أو تختلط بهم.

«ولكن لماذا تذهبون إليها؟» سألت السيدة نيفارد المتقدمة

في السن: «صحيح أنها تعيد الأمور إلى نصابها، ولكنكم تفقدون الثقة بالجميع وتتغيرون عندما تعودون من عندها، إنكم مختلفون، دعوها وشأنها وحاولوا التودد لشقيقها».

كان الناس يسألون عن ماتس أحيانا بالفعل، ولكن حتى هذا لم يجعلها أكثر لطفاً، فقد كانت تنظر إليهم عبر شِقِّي عينيها الصفراوين قائلة: «بخير، شكرا لكم»، وعندما كانوا يمضون في طريقهم، كان ينتابهم شعور بالتملق ويستصغرون أنفسهم، لذا، كان الأهالي يأتون إليها بمشكلاتهم، ومن ثمَّ ينسَلُون من المكان بأسرع ما يمكن.

أتى تساقط الثلوج المستمر بظلمةٍ مبهمةٍ تتراوح بين وقت الفسق وبزوغ الفجر، وقد أصابت الناس بالاكئاب، فما كان مجرد أشياء يمكن الاستمتاع بأدائها أصبحت أشياء لا بد من فعلها، وقد أصاب اكتئاب الشتاء إدوارد ليليبيري، عندما ينتهي العمل في ورشة القوارب، لم يتبق للإخوة سوى العودة للمنزل، فيعودون أربعتهم إلى المنزل، ويُعدّون وجبة العشاء، ثم يستمعون للمذياع، وقد كانت تلك الليالي طويلة جدا، فقرر إدوارد ليليبيري أن يقوم بصيانة شاملة للشاحنة، وهو عمل عادة ما كان يرفع من روحه المعنوية، فلا ضير من أن يكون المحرك في حالة جيدة عندما تعمل البلدية على جرف الثلوج أخيرا.

قبل سنوات عدة، كان إدوارد يوصل طلبة المدارس إلى المدينة، ويتقاضى أجرته بالجنيه السويسري، أما الآن فكان في القرية مدرسة للمرحلة الابتدائية، وكان الطلبة الأكبر سنا يستأجرون غرفا في المدينة، ولم يكن ثمة الكثير منهم في هذه الأيام، وعلى الرغم من ذلك، فإن صاحب المتجر لم يكن يخسر المال بتولّيه أمر الشاحنة، فقد كانت الحكومة تدفع رسوم نقل حاويات الغاز من القرية وإلى المنارة، بالإضافة إلى نقل البريد، وكانت تدفع فوق هذا كله تكلفة البنزين، ومع ذلك، فقد حرص صاحب المتجر

كلما قام بدفع راتب ليليبيري على أن يتحدث عن العبد الذي يتحملة للقيام بكل هذه الخدمات للمجتمع، ولكن ليليبيري كان يعتبر الشاحنة ملكا له، كانت خضراء من نوع فلوكسفاجن، وهي المركبة الوحيدة في فاستريي.

أضاء النور، وعدّل قبعته إلى أسفل لتغطي أذنيه، كان البرد في الداخل أشد منه في الخارج، وكانت صيانة الشاحنة أمرا خاصا لا شأن لأحد به سواء، لكن ها هو الفتى ثانية يقف في الباب تماما يظل منتظرا ومحدقا بليلبيري، مسببا له تأنيب الضمير. هل هذا توجس من الفتى أو من شقيقته؟ ماذا فعلنا في هذه القرية لنستحق هذين الاثنين؟ ما الذنب الذي اقترفناه حتى لا تكون الأمور طبيعية؟ استدار ليليبيري وخاطبه قائلا: «أنت هنا ثانية؟ أنت لن تتعلم أبدا ولو شيئا واحدا بسيطا عن المحركات؟»

«لا»، أجاب ماتس: «لا أعرف».

«هل صادف أن ذهبت إلى منجرة نيفارد وقمت بقص الخشب؟»
«نعم».

«ماذا تريد؟ أن تقدم المساعدة؟»

لم يجب ماتس، كان الشيء ذاته يحدث دائما، فالفتى يتسلل إلى المرآب، ويتسكع في المكان صامتا هكذا، يراقب حتى يبدأ الشعر خلف رقبة ليليبيري بالوقوف على نهاياته، ويفقد قدرته على التركيز، لكن ليليبيري لم يشأ أن يكون لثيما مع الفتى على الرغم من أن الأمر كان مزعجا حقا، لذا، لم يقل سوى «هذا صعب، هذا الجزء بالذات، فأنا لا أستطيع الحديث الآن».

أوما ماتس كلينغ برأسه ولم يتحرك، كان يشبه شقيقته تماما؛ الوجه المسطح نفسه، على الرغم من أن عينيه كانتا زرقاوين، بطريقة ما بدت الشقيقة دائما في الجوار، وبدا شقيقها من خلفها، كان أمرا لا يُحتمل وقد أتعب إدوارد ليليبيري كثيرا. أخيرا خاطبه قائلاً: «بإمكانك أن ترتب المكان قليلا إن أردت، أصبحت الحركة صعبة هنا».

أخذ الفتى يرتب ببطء مستفز، بدأ بطريقة منتظمة من الركن البعيد، وأخذ يتقدم وهو يحرك الأغراض ويمسح ويرتب بصمت تقريبا، ولكن ليس بالكامل، كان الوضع أشبه بوجود جرد خلف الحائط، يصدر خشخشة ثم يصمت، ويتقدم متثاقلا ثم يصمت ثانية، مما جعل ليليبيري يستدير ويصرخ قائلاً: «انس الأمرا تعال هنا، قف هنا حيث يمكن أن أراك، حسنا، إنني أقوم بتصليح شاحنتي، راقب ما أفعل، ولكنك لن تتعلمه أبدا، وأنا لن أشرح شيئا، لذا، لا تتكلم معي».

أوما ماتس برأسه، وشيئا فشيئا، هدا ليليبيري، ونسي وجود ذلك الفتى، وصفح عن تطفله، وأصلح المحرك بنجاح في نهاية الأمر.

* * *

عندما يكون ماتس في ورشة القوارب، فإنه يعمل ببطء بائس، ولكن هذا البطء انطوى على قدر كبير من الاهتمام والصبر، كان بوسعهم أن يوكلوا إليه مهمات صغيرة واثقين تماما من أنه سينجز أي أمر يعهد إليه، وغالبا ما كانوا ينسون أنه في المكان، كان الإخوة ليليبيري يعطون ماتس مهمات مملة كتلميع أو شحذ رؤوس البراغي، وكان ماتس يختفي فجأة دون أن يلحظ أحد

متى غادر، ربما يكون قد وعد بإصلاح شيء ما لجار، أو أنه ذهب للغابة هكذا دون مبرر، لم تتسنى معرفة السبب قط، لم يكن ماتس كلينغ ساعات عمل محددة، ولكنه كان يأتي ويذهب متى شاء، مما جعل دفع أجر له بالساعة أمرا مستحيلا. من حين لآخر، ويداعي الشهامة، كان الإخوة يدفعون له الأجر؛ ولكن ليس بالكثير، بدا الأمر لهم وكأنه رأى العمل غالبا كتعويض من اللعب، ولم تكد ثمة حاجة لدفع أجر لأحد مقابل اللعب، ومن وقت لآخر، كان ماتس يغيب لفترات أطول، ولم يكن أحد يعرف أو يكثرث إلى أين ذهب.

وإذا ما أصبح الجو باردا جدا، لم يكن من المعقول الاستمرار في العمل؛ لم تكن الورشة معزولة، ولم يكد الموقد يعمل على تدفئتها بما يكفي لحماية أيديهم من التيبس، فكانوا يفلقونها ويعودون لمنازلهم، ولكن في الجهة المطلة على البحر حيث تتطلق القوارب، كانت الأبواب مغلقة بمزلاج يسهل فتحه، فكان ماتس يأتي سيرا فوق الثلج حاملا سنارة لصيد السمك ويدخل إلى ورشة القوارب حين يتوارى الجميع عن الأنظار، أحيانا كان يكمل عمله بتفاصيل طفيفة جدا لا يلحظها أحد، ولكن وفي أغلب الأحيان كان يجلس بهدوء هكذا في ضوء الثلج الباعث على الطمأنينة، لم يكن يشعر بالبرد قط.

في المرة التالية التي تزلج بها إدوارد ليليبيري إلى القرية وعاد بالبريد والحاجيات، كانت كاتري كلينغ بانتظاره مرة أخرى لتسلم بريد أنا إميلين، وهي لم تستفسر ولم تعلق، أرادت أخذ البريد، لا غير، كشقيقتها، وقفت هكذا وانتظرته حتى سلمها البريد.

«حسنًا، إذا»، خاطبها قائلاً: «ها هو، ولكن تذكري، من الآن فصاعدا عليك توخي الدقة في أي شيء له علاقة بالأمور المالية، ينبغي عدم وضع أي قصاصة ورق بغض النظر عن حجمها في غير مكانها، وعند توقيعها من الآنسة إميلين وبوجود شهود عيان، فإنه أنا من سيسحب المال من المصرف، وعند وصوله، ستحصل على كل قرش منه».

«أنت تدهشني»، أجابت كاتري، وكان صوتها باردا للغاية: «متى كنت غير دقيقة بالأرقام؟».

صمت ليليبيري لبرهة، ثم قال: «لقد تسرعت بالحديث، لم أفكر مليًا، في الحقيقة إنه ليس ثمة شخص آخر أثق به فيما يتعلق بهذا الأمر»، وأضاف قائلاً: «يمكن للمرء أن يقول الكثير عنك، ولكنك محل ثقة على الأقل».

ذهبت كاتري إلى المتجر وواجهت كراهية صاحبه: «أنا هنا لتسلم بريد الأنسة إميلين، هل اتصلت لطلب شيء آخر يمكن أن أحضره؟».

«لا، فالآنسة إميلين تأكل المخلبات ولا تستطيع الطهي، لكن ليليبيري أتى ببعض الكلى».

«كلها أنت»، قالت كاتري: «كُل كل الكلى والكبد والثرثا، ولكن توقف عن الإساءة لامرأة لا تستطيع الدفاع عن نفسها».

«أنا لا أسيء لها»، انفجر قائلاً، وقد جُرحت مشاعره حقاً: «أنا أتعامل مع القرية بأكملها، ولم يقل لي أحد قط مثل ذلك...». قاطعته كاتري: «كيس من المكرونة، ومكعب مرق، وعلبتا حساء البازلاء صغيرتان، وكيلو من السكر، سأخذها معي، أضفها إلى حسابها».

أجابها صاحب المتجر، بصوت خافت: «أنت من يسيء للآخرين».

تقدمت كاتري في الممر: «أرز»، قالت: «ذلك النوع سهل الطبخ»، ثم أضافت: «لا تجعل من نفسك أضحوكة»، لقد كانت تلك ذات الملاحظة غير المبالية والعارضة التي حوّلت شهوته لها إلى كراهية فيما مضى، فقد بدت كما لو أنها تعطي أمراً للكلب ما.

عندما عادت كاتري إلى بيت الأرناب للمرة الثانية، أمرت الكلب أن ينتظر في الباحة الخلفية، وقد رأتها أنا إميلين وهي تصعد التل وفتحت الباب فوراً، وبعد التحيّات اللاهثة غدت هادئة ومتوازنة، خلعت كاتري حذاءها وأخذت الأغراض إلى المطبخ.

«لم أحضر لحما طازجا»، قالت كاتري: «فقط بعض المعلبات، أشياء يسهل طبخها، لقد أتى البريد بعد ظهر اليوم مع ليليبيري».

«يا للروعة»، صاحت آنا، ولم تكن مظاهر الارتياح التي بدت عليها بسبب البريد أو المعلبات، ولكن بسبب أن هذه الإنسانية غريبة الطباع قد قالت أخيرا شيئا يمكن استخدامه في حوار طبيعي: «يا للروعة.. إن المعلبات مناسبة جدا، وبخاصة إن كانت صغيرة الحجم، فهي لا تفسد.. هل أخبرتك من قبل أن اللحم النيء يسبب لي القلق؟ كما تعلمين، فهو يفسد سريعا، إنه مثل النباتات المنزلية، بحاجة للمتابعة المستمرة، أليس كذلك؟ إما أنك لا تروينها بما يكفي وإما تتجاوزين الحدود في ريتها، فأنت لن تعرفي أبدا..».

«لا، لن تعرفي أبدا، لكن الجو تجاوز الحدود في دفئه هنا، والنباتات المنزلية لا تحب هذا الجو الحار».

«لا، لا، ربما يكون الأمر كذلك»، قالت آنا بغموض: «لا أعرف لماذا يتوقع الناس مني دائما أن أحتفظ بنباتات منزلية...».

«أفهم ذلك، النباتات، والأطفال، والكلاب».

«عفوا؟».

«يفترض أن تحبي النباتات المنزلية والأطفال والكلاب، ولكنني لا أظن ذلك صحيحا بالنسبة لك».

نظرت آنا إلى أعلى، نظرة قاسية، ولكن الوجه المريض الهادئ أمامها لم يعبر عن أي شيء: «آنسة كلينغ، يا لها من ملاحظة غريبة، هلا ذهبنا إلى الشرفة؟ على الرغم من أنك لا تحبين القهوة».

ذهبنا إلى الشرفة، حيث ذات الإضاءة الخافتة، وذات الشعور بالفراغ والروتين والجو الحالم، والحركة البطيئة القسرية، جلست أنا ولاذت بالصمت.

«يا آنسة إميلين»، قالت كاتري سريعا: «أنت تعاملينني بلطف لا أستحقّه»، وفجأة، دون سبب عقلاني، أرادت كاتري الخروج من بيت الأرناب، وضعت البريد أمام أنا، وذكرت لها أن هناك حوالة بريدية تحتاج إلى توقيعها، رفعت أنا نظارتها، ثم نظرت وقالت: «أرى أن ثمة شهادة عليها، ولكن من يكون هذا الشخص؟ يا له من اسم غريب، هل جاء إلى القرية شخص لا نعرفه؟».

«لا، لقد ابتدعت هذا الاسم، إنه اسم غريب للغاية، أليس كذلك؟».

«لا أفهم ذلك»، أجابت أنا: «من المؤكد أن هذا الإجراء غير طبيعي».

«فعلت ذلك لتوفير الوقت».

«ولكن هناك العديد منها، وكل واحدة ستحمل ذات الاسم الغريب!».

ابتسمت كاتري ابتسامة سريعة ومخيفة نوعا ما، ابتسامة توهجت كمصباح واختفت فجأة: «يا آنسة إميلين، أنا أتقن القيام بالتواقيع، الناس يأتون إليّ بأوراقهم وفي بعض الأحيان يطلبون مني أن أوقع لهم أسماءهم، إن كان هذا يروق لك، فسأوقع اسمك أيضا».

وقد وقعت كاتري كلينغ اسم أنا إميلين، قلّدت بدقة متناهية من التذكار الذي كان قد أعطي لها.

«شيء لا يصدق»، قالت أنا: «يا لك من بارعة! أتستطيعين الرسم، أيضا؟».

«لا أعتقد ذلك، فأنا لم أحاول قط».

عصفت الرياح، ودفعت بالثلوج نحو النوافذ، وهي تهمس بقوة، وهو شيء قد غشي أهالي القرية منذ فترة طويلة، طويلة جدا، وكان الصمت يخيم بين هبة عاصفة وأخرى.

قالت كاتري: «سأذهب الآن».

عندما فتحت أنا باب المطبخ، لمحت الكلب، كان فروه مغطى بحبات الثلج، وكان يشهق دخانا ثلجيا عبر فمه المفتوح، صرخت أنا وحاولت دفع الباب من خلفها.

«إنه ليس خطيرا»، قالت كاتري: «فهو كلب حسن السلوك للغاية».

«لكنه كلب ضخمة على غير العادة! كان فمه مفتوحا...».

«إنه ليس خطيرا، إنه كلب عادي من فصيلة الراعي الألماني».

نزلت المرأة مع الكلب أسفل التل، كلاهما رمادي ومكسو بالفرو، راقبتهما أنا وهما ينزلان التل، كانت لا تزال ترتعد من الخوف، ولكن اهتياجها امتزج بمسحة من الفضول، جال بخاطرها أن كاتري كلينغ امرأة مفامرة، ليس كفيها، ولكن بمن تذكرني يا ترى، خاصة عندما تبتسم؟.. ليس بأحد من معارف أنا، أولئك المعارف الذين كانوا لديها فيما مضى؛ لا، إنها تذكرها بصورة، شيء رأته في كتاب، وفجأة بدأت أنا تضحك مع نفسها، في الحقيقة، ذكرتها كاتري المبتسمة وهي ترتدي قبعاتها المكسوة بالفرو بالذئب الضخم الشرير في قصص ليلي والذئب.

* * *

كان يُنشر لآنا إميلين كتاب مصور كل سنتين تقريبا، كتاب صغير لأطفال صغار جدا، كان الناشر يزود الصور بالنصوص، وقد أرسل لها الآن بيانا بحصتها من المبيعات، ومقرونة بعبارات الاعتذار والتحيّات الحارة، أرفق مراجعتين قديمتين للكتاب من السنة الماضية، واللّتان، لسوء الحظ، وُضعتا في المكان الخطأ، فتحت آنا الأوراق وارتدت نظارتها.

ها هي آنا إميلين تدهشنا مرة أخرى بمعاملتها الصادقة والحميمية تقريبا للعالم الصغير الذي يعد ملكها فقط؛ أرض الغابة، فقد أصابنا تصوير كل صغيرة بدقة متناهية بصدمة من الإدراك والاكتشاف في آن معا، فهي تعلمنا أن نرى ونلاحظ حقا، والنص المصاحب ما هو في الواقع إلا تعليق للأطفال الذين لم يكادوا يتعلمون القراءة، ولا يتغير كثيرا من كتاب صغير لآخر، لكن لوحات الأنسة إميلين المائتة متجددة على الدوام، فمنظورها الثاقب، ببساطته وكماله معا، يصوّر جوهر الغابة، وصمتها، وظلها، فالذي أمامنا هو غابة عذراء لم تمس، وأصغر القراء فقط هو من يجرؤ على أن يدوس على طحالبها، برفقة الأرناب أو من دونها، فنحن مقتنعون أن كل طفل..

كانت آنا تتوقف عن القراءة دائما عندما يذكر المراجعون الأرناب، احتوت المراجعة الأخرى على صورة، تلك التي طالما استخدموها في مراجعاتهم، كان الرسم الساخر وديا، ولكن الفنان كان معنيا «بالأرناب» أكثر مما كان معنيا بـ «آنا»، فقد صب جلّ اهتمامه على أسنانها الأمامية، إذ كانت مربعة مع فجوات صغيرة بينها، وعلى العموم بدت مكسوة بالزغب، وبيضاء، وخاوية. والآن ينبغي ألا أكون سخيفة، خطر ذلك ببالها، فعلى

كل حال، لا يحصل الجميع على فرصة وضع صورة لهم في الصحف، ولكن عليّ أن أتذكر في المرة القادمة ألا أظهر أسناني الأمامية وأن أرفع ذقني، هذا إذا لم يصروا على ابتسامة دائما. إن كتب أنا إميلين الصغيرة والأنيقة بأغلفتها المقاومة للماء تُستقبل بحفاوة دائما، فقد تمت ترجمتها للغات عدة، ويركز موضوع هذه السنة في جلّه على جمع التوت البري، فمع كامل الاحترام الواجب لتصوير الأنسة إميلين المقنع والأسر للغابة الإسكندنافية، ينبغي على المرء أن يتساءل إذا ما كانت أرائبها النمطية نوعا ما..

بلى، بلى، تحدثت أنا مع نفسها، إن الأشياء ليست بتلك البساطة دائما؛ ليست بتلك البساطة لي، ولا لأيّ كان..

وكان على رسائل الأطفال أن تنتظر لوقت آخر، أمانة في غرفتها. رفعت أنا غطاء سريرها وأضاءت المصباح وقد انجلى ضوء النهار، وفتحت الكتاب في الموضع المؤشر عليه وأخذت تقرأ، وحالما بدأت تقرأ حول مغامرات جيمي في أفريقيا، عادت إليها السكينة، كما كانت قد أملت.

أصبح الجو باردا للغاية، ومرة تلو الأخرى اضطر ليليبيري إلى جرف الثلج عن الطريق المؤدي إلى منزل الأنسة إميلين كي تتمكن السيدة سندبلوم من صعود التل بساقيها البائستين لتتطيف المنزل، لقد كانت تذهب مرة في الأسبوع، وكان الطابق العلوي مغلقا منذ سنوات، ولكن، مع ذلك، كان هذا العمل شاقا لسيدة كبيرة بالسن، وغالبا ما كانت السيدة سندبلوم تندب حظها.

«لكنك تكسبين جيدا من حَبِّكَ الأغطية»، قالت السيدة نيفارد: «أخبري الأنسة إميلين أن التنظيف لم يعد سهلا، ثمة نساء أصغر سنا يستطعن تولي الأمر، لقد استقالت كاتري كلينغ من عملها في المتجر، وهي من توصل البريد إلى بيت الأرانب، أخبريها عن فرصة العمل هناك».

«أخبرها!» قالت السيدة سندبلوم متعجبة: «أنتِ بنفسك تعلمين أنه لا يمكن التحدث مع كاتري كلينغ هكذا، على الأقل، لا أستطيع فعل ذلك، فلدي مبادئ».

قالت السيدة نيفارد: «ماذا تعنين؟».

ولكن لم يبدُ أن السيدة سندبلوم كانت مصفية، فقد كانت تنظر متجهمة عبر النافذة، وقالت ما اعتادت قوله عن الثلج، ومن ثم ذهبت إلى منزلها على عجل. عندما كان الناس يأتون

لزيرة السيدة نيفارد، دائما ما كانت تعرض عليهم الجلوس في الكرسي الهزاز، لكن السيدة سندبلوم كانت مضطربة ومستاءة للغاية، فلا تتحمل الجلوس والهز في ذلك الكرسي، وكانت تجلس دائما على السرير (الأريكة) بجانب الباب، وربما كانت هي الشخص الوحيد الذي لم يدرك الشعور بالهدوء غير العادي في المطبخ الواسع، على الرغم من الأجيال التي تعاقبت عليه؛ لقد كان هدوءا مطمئنا ينسي الناس صفة الاستعجال.

غالبا ما كانت السيدة نيفارد تحوم حول الموقد الضخم أو تجلس على كرسيها بجانب الموقد ويدها مطويتان في حجرها قليلا، وقد أزال كل من في القرية هذه المواقد لأنها كانت تأخذ مساحة كبيرة جدا، والآن غدت مطابخهم كثيفة وتقتصر إلى قلب نابض، ولكن مطبخ السيدة نيفارد ظل كما كان على مدى الأيام، وعندما كانت البنات والكُنات ينشغلن بالحبك، كن يستخدمن تصميماتها والألوان التي اختارتها جدتها، كانت أغطية نيفارد الأحسن مبيعا. وذات مرة، جرى حديث حول فتح متجر في سوق المدينة لبيع تلك الأغطية، وكالعادة لجأ الناس لكاتري كلينغ طلبا للنصيحة، ولكنها نصحت قائلة: «لا، لا للوسطاء، فهم يأخذون عمولة تتجاوز الحدود، ستخسرون المال في هذا المشروع، دعوا الناس تأت إلى قريتنا، لنجعلهم يتكفون عناء المجيء إلى هنا، لنجعلهم يبحثون عن أغطيتهم، يذهبون في صيدها».

كانت كاتري تحب كبقية أهل القرية، ولكنها كانت تستخدم الألوان الصارخة للغاية؛ والكثير من اللون الأسود.

ظل الثلج يتساقط ولم يسمموا ولو كلمة واحدة حول عملية جرفه، لذا استمر ليليبيري بالتزلج إلى المدينة رغم أنه لم يرق

له الأمر، ولكونه رجلا طيب القلب، كان يأخذ عمولة خاصة، شريطة أن تكون المبالغ زهيدة؛ كان يحضر الدواء على سبيل المثال، وربما الملابس الداخلية أو سماد النباتات المنزلية، أو الصوف إذا نفذ تماما لدى بعض النساء، لم يكن لديه الكثير من المكان في حقيبته ومزلاجه، وكان عليه أن يعطي الأولوية للبريد والأطعمة الطازجة لصاحب المتجر، كان الأهالي يرتبون طلباتهم على شرفة صاحب المتجر، ولكن ليليبيري رفض بشكل قاطع طلب كاتري بالذهاب إلى المكتبة، أخبرها بأنه يمكنها استعارة الكتب لماتس من الأنسة إميلين التي لديها رفوف طويلة مليئة بالكتب، لقد رآها بنفسه.

ولكن كاتري لم ترغب بالحديث مع آنا إميلين حول الكتب، فهي لم تعد تخلع حذاءها عند إحضار البريد إلى بيت الأرناب؛ كانت تلقي تحية عابرة وبعض الكلمات الضرورية فقط، ومن ثم تذهب في طريقها وكتبها، لقد استسلمت كاتري، إذ أدركت أنه ليس بإمكانها أن تستخدم كياسة لا تمتلكها أصلا. ودّ بسيط كان سيقربها من آنا إميلين، ولكنه بعيد المنال خارج الحدود التي رسمتها كاتري لنفسها، في ظل بقائها في نطاق اكتفائها الذاتي.

* * *

اتصلت السيدة نيفارد بآنا وسألتها عما إذا كانت ترغب في أن تأتي لتناول القهوة، لم يكن المكان بعيدا على الإطلاق، وكان يمكن لأحد الفتیان أن يأتي لإحضارها.

«يا للطفلك!»، قالت آنا، التي أحبت السيدة نيفارد كثيرا: «ولكن الجو غدا شديد البرودة، وكما تعلمين، إنه من الصعب للغاية المغامرة بالخروج..».

«نعم، أفهم ذلك، يخرج المرء غالبا عندما يكون مضطرا لذلك فقط، أو عندما يريد أن يكون في الهواء الطلق، ليس إلا، دعينا ننتظر ونَرَ كيف ستسير الأمور، كيف حالك؟ هل كل شيء على ما يرام؟».

«أجل، شكرا لك»، أجابت أنا: «شكرا على اتصالك».

صمتت السيدة نيفارد للحظة ثم أضافت: «غالبا ما كان والدك يتجول في شوارع القرية، أتذكره جيدا، كانت لحيته جميلة جدا».

أحضرت كاتري البريد في ذلك اليوم.

«لا تذهبي بهذه السرعة»، ترجمتها أنا: «ليس مباشرة، يا آنسة كلينغ، لقد كنتِ خدومة للغاية، وأتوق إلى أن أريك منزل والدي ووالدتي».

تجوّلنا عبر المنزل معا، من غرفة إلى أخرى، كل منها بترتيب خاص لا يضاهي، لم ترَ كاتري فرقا كبيرا بين الغرف، كلها بلون أزرق باهت وكأبة يكتنفها الغموض، استمرت أنا بالشرح: «وهنا كرسي والدي حيث كان يقرأ الصحف، كان هو الشخص الوحيد الذي يسمح له بإحضار الصحف من المتجر، وكان يقرأها دائما بالترتيب، على الرغم من أنها ما كانت تصل إلا نادرا.. وهنا مصباح والدتي؛ كانت تطرز الستائر بنفسها، وهذه الصورة التقطت في بلدة هانكو..».

كانت كاتري هادئة جدا فيما عدا تلفظها بتعليق فظّ أحيانا، وأخيرا تم اصطحابها إلى الطابق الثاني حيث كان البرد شديدا: «هذا الطابق دائم البرودة»، وضّحت أنا: «ولكن لم يسكن هنا سوى الخادمة، دائما ما كانت غرف الضيوف خالية تقريبا، فوالدي

لم يحبّذ وجود الضيوف، إذ كانوا مصدر إزعاج لروتينه اليومي، كما تعلمين.. ولكنه كان يكتب الكثير من الرسائل ويرسلها بنفسه في المتجر.. أتعلمين يا آنسة كلينغ، على الرغم من أن والدي لم يكذب يعرف أحدا في القرية، كان الجميع يرفعون قبعاتهم له عند مروره، بعفوية هكذا..

«حقاً؟» قالت كاتري: «وكان يرفع قبعته لهم؟»

«قبعته؟» كررت أنا، محتارة: «هذا إذا كان حتى لديه قبعة.. يا للغرابة! لا أستطيع أن أتذكر قبعته..». واستمرت بحديثها. أدركت كاتري أن أنا في غاية الإثارة، كانت تتحدث أكثر من اللازم، والآن جاء دور والدتها، التي كانت تذهب إلى الفقراء في القرية وتوزع الخبز الأبيض عليهم في عيد الميلاد.

«لم يشعروا بالإهانة؟» سألت كاتري.

نظرت أنا إلى أعلى سريعا، ثم أشاحت بنظرها مرة أخرى، وعادت بشجاعة الحديث حول ألبوم الطوايع الذي احتفظ به والدها، وكتاب والدتها في فنون الطبخ، ووسادة الكلب تيدي، والتقويم السنوي لوالدها الذي احتوى على ملاحظاته حول العقود الجيدة والسيئة التي ينبغي مراجعتها بالكامل في ليلة رأس السنة، تجوّلت أنا دون قيود عبر منزل والديها، كاشفة عن كل شيء فيه وهكذا، ولأول مرة، ألقت بظلال من الشك على قيمته وسحره، واستمرت بالحديث، غير قادرة على التوقف، وقد تملكّتها حرية شعور خبيث لتخطيم المحرمات، مجبرة بذلك ضيقها المترددة على رؤية المزيد والمزيد، وسماع المزيد والمزيد من نوادر والدها. حكايات قصيرة فقدت دلالتها حتى من قبل أن تقتحم بها صمت كاتري، كان الأمر كمن يقهقه في الكنيسة،

لقد فُتح باب المحرمات لتلقّي هجوم كبير وغادر، وقد سمحت أنا بحدوثه، ارتفع صوت أنا وغدا حادا، وتعثرت بالعتبات إلى أن أمسكت كاتري ذراعها بلباقة وقالت: «يا آنسة إميلين، عليّ الذهاب الآن حقا»، غدت أنا هادئة جدا، أضافت كاتري بلطف: «لا بد أن والدك كانا فردين مميزين».

خارجا في الباحة، أشعلت كاتري سيجارة، وانضم إليها الكلب، ونزلا عبر الطريق، وعاد إليها الشك، مرارا وتكرارا، متسائلة: لماذا قلت ذلك؟ من أجلها كي لا تشعر بأنها قد خانت مثليها الأعلىين؟ كلا! أقلت ذلك من أجلي؟ كلا! يصاب شخص بدوار ولا بد من كبجه، هذا كل ما في الأمر؛ شخص يتجاوز الحدود ولا بد من إيقافه.

بعدما غادرت كاتري، شعرت أنا بالبرد، وفجأة بدا المنزل برمته وكأنه مليء بالناس، اجتاحتها رغبة جامحة للاتصال بشخص ما، أي شخص على الإطلاق، ولكن ما عساها تقول؟ قد لا يكون لديها أكثر من ذلك، بل إنها قالت أكثر من اللازم.. على أية حال، خطر ببالها، ثمة شيء واحد لم أكشف سره، فأنا لم أرها أعمالي.

رغم أن ذلك لا يمت بصلة لوالدي ووالدتي.

* * *

وفي يوم الأربعاء، يوم التنظيف، حين كانت السيدة سندبلوم هي طريقها عائدة من بيت الأرانب، التقت بكاتري وكلبها وهما يصعدان التل، فتوقفت وقالت: «قد لا يكون هذا أمرا مهما، لم تتناول الآنسة إميلين طعاما طازجا منذ أسابيع، وكنت أنا من أحضر لها ذلك عادة».

«إن الأنسة إميلين لا تحب اللحم الطازج».

«وكيف لك معرفة ذلك؟».

«لقد قالت ذلك بنفسها».

«ولماذا أعدت ترتيب الثلاجة؟».

«لقد كانت تعج بالقاذورات».

احمر وجه السيدة سندبلوم ببطء، وبدت كما لو أنها تتنفخ وتملأ الطريق وهي ترد على كاتري: «يا أنسة كلينغ، إن التنظيف وظيفتي، وأنا أنظف بالطريقة التي طالما نظّفت بها، ولا أحب الناس الذين يحشرون أنوفهم في عملي».

ابتسمت كاتري دون ردّ، ابتسامة الذئب التي يمكنها زعزعة كيان أي شخص، وصرخت السيدة سندبلوم: «حسنًا! أتفهم الأمر! أظن أنني أعرف عندما يحاول بعض الناس استمالة تلك العجوز لأغراضهم الخاصة لأنها بدأت تفقد سيطرتها»، وانسلت تلك السيدة الضخمة في طريقها نازلة التل.

عندما دخلت كاتري إلى بيت الأرانب، وضعت حقيبتها على الأرض في الردهة، وقالت إنها لا تستطيع البقاء هناك.

«أليس لديك بعض الوقت؟ ولا حتى برهة قصيرة؟».

«أجل، لديّ بعض الوقت، ولكنني لا أستطيع البقاء هنا».

«يا أنسة كلينغ، ألا تودين البقاء؟».

«كلا»، أجابت كاتري.

ابتسمت أنا، ومن دون ظهور أي أثر لحيرتها المعهودة، قالت: «أتعرفين يا أنسة كلينغ، أنت شخص غير عادي جداً، لم يسبق لي قط أن التقيت شخصاً بمثل هذا الصدق الفظيع؛ وأنا استخدم هنا كلمة «فظيع» بمعنى «مخيف»، أريدك أن

تصفي إليّ، الآن، لأنني أعتقد أن ما سأقوله مهم، أنت شابة، وقد لا تعرفين الكثير عن الحياة، ولكن صدّقيني، تقريبا كل شخص يلعب دورا ما، والجميع يحاول أن يكونوا على غير ما هم عليه»، فكّرت أنا للحظة: «ولكن ليس السيدة نيفارد، تلك مسألة أخرى.. اتعلمين، إنني ألاحظ أكثر مما يدرك الآخرون، لا تسيئين فهمي؛ بالطبع لديهم نية حسنة، فأنا لم ألق سوى اللطف في حياتي، ومع ذلك.. أنت، يا آنسة كلينغ، تتصرفين دائما بطبيعتك، وهذا يعطي شعورا...»، ترددت للحظة: «مختلفا، إنني أثق بك».

نظرت كاتري إلى أنا التي، بشكل عابر تماما ووُدّية تخلو من الهزل، كانت قد أعطتها الضوء الأخضر رسميًا للسيطرة على بيت الأرانب.

واستمرت أنا بالحديث: «لا تفهميني خطأ، يا آنسة كلينغ، ولكنني أجد طريقتك في قول ما لا يتوقعه المرء منك، أجدها جذابة بطريقة ما، لا أجد فيك، واعذريني لقول هذا، أي أثر لما يُطلق عليه الناس التأدب.. والتأدب في بعض الأحيان يمكن أن يكون تقريبا نوعا من الخداع، أليس كذلك؟ أتدركين ما أعنيه؟».

«نعم»، أجابت كاتري: «أدرك ذلك».

* * *

سارت كاتري تجاه الرأس البحري مصطحبة كلبها، وقد كوّن الثلج قشرة صلبة تتحمل السير عليها. كان الربيع قادمًا، ربيع تملكه كاتري كلينغ، كاتري التي فازت أخيرا بجولة في لعبة مفتوحة ونزيهة، كاتري التي كان كل ما تريد تحقيقه في متناول

يدها، وقد سرت في عروقها قوة جديدة، جرت مباشرة على
الأجراف الثلجية على الشاطئ، واخترقت القشرة، ثم توقفت،
غارقة في الثلج حتى ركبتها، ورفعت ذراعيها إلى أعلى وأخذت
تضحك. أصدر الكلب، وقد تأخر على طريق المنارة، دمدمة
تحذيرية بصوت منخفض وعميق من حنجرته، «اهدا» أمرته
كاتري، «اتبعني»، لقد كانت تعطي الأوامر لنفسها، فالمسألة
الآن مسألة تتعلق بضبط النفس والتركيز، لا غير، وقد تستمر
اللعبة، والآن يمكنها القتال بأسلحتها الخاصة؛ وهي أسلحة
كانت تؤمن بنقائها.

«هذه بعض الطلبات البريدية التي وقعتها وشهدت عليها، ولكن ينبغي عليك النظر فيها، يا آنسة إميلين، وها هو المال الذي أتى به ليليبيري في المرة السابقة».

«يا للطفك»، قالت أنا، وقد دفعت بالمظروف المليء بالنقود إلى داخل مكتبها.

«ولكن ألن تعدّي المبلغ؟».

«لماذا؟».

«للتأكد من صحته».

«يا عزيزتي آنسة كلينغ»، قالت أنا: «إني متأكدة من صحته، ألا يزال يتزلج إلى المدينة؟».

«أجل، إنه يقوم بذلك»، توقفت كاتري للحظة: «يا آنسة إميلين، ثمة موضوع أود أن أتحدث معك حوله، لقد تقاضى ليليبيري تكلفة أكثر مما يستحق مقابل جرف الثلج وتصليح المصرف؛ لكل من أتعاب العمل وتكلفة المواد، وقد ذكرت له ذلك وأعاد الفرق، وها هو بين يديك».

«ولكن لا يمكنك فعل ذلك»، قالت أنا متعجبة: «إنه أمر غير مقبول.. وكيف يمكنك التأكد من ذلك؟».

«تأكدتُ من السعر الجاري، ثم سألتَه عن المبلغ الذي تقاضاه،
بمنتهى البساطة».

«لا أصدق ذلك»، قالت آنا: «لا أصدقه إطلاقاً، فالإخوة
ليليبيري يحبونني، وأنا أعرف ذلك تماماً...».

«صدقيني، يا آنسة إميلين، يقلُّ حب الناس لك عندما
يستطيعون خداعك».

هزت آنا برأسها: «يا له من موقف بائس»، قالت: «وبخاصة
حين يبدأ للتو تسرب الثلج من نافذة العلية..».

«صدقيني» قالت كاتري مرة أخرى: «لا حرج في هذا الأمر،
سيأتي ليليبيري ويصلح النافذة في أي وقت يناسبك، وسيقوم
بعمله باحترام متجدد وبسعر مناسب».

لكن آنا لم تستطع أن تدع الموضوع يمر هكذا، وأصرت على
أن الحادثة بأكملها كانت مزعجة ولا مبرر لها، وأنها وليليبيري
لن يستطيعا معاملة بعضهما بشكل طبيعي، والأكثر من ذلك،
لم يكن للمال دائماً تلك الأهمية التي يعطيها له الناس.

«قد لا يكون لهذه الماركات والبنسات أهمية كبيرة»، ردّت
كاتري: «المهم هو أن يكون الشخص صادقاً وألا يمارس الغش،
حتى لو في بنسات زهيدة، إن المبرر الوحيد لأخذ مال شخص
آخر هو إذا كنت تستطيع أن تُثمي ذلك المال ومن ثم تعطي
صاحبه حقه من العوائد».

«يا عزيزتي، فجأة غدا لديك الكثير لتقوليه»، قالت آنا،
وأفكارها في مكان آخر.

فقدت كاتري اهتمامها، ونتيجة لانزعاجها من الحوار قالت:
«بما أننا نتحدث في هذا الموضوع، كم تدفعين للسيدة سندبلوم؟».

عدّلت أنا وقففتها وقالت، بجمود صارخ، وبذات النبوة في صوت والدها عندما كان يخاطب خدم المنزل من حين لآخر: «يا عزيزتي أنسة كلينغ، تلك صغيرة لا أستطيع تذكرها».

التقى ماتس كلينغ وليليبيري في شارع القرية.
«إذا أنت هنا تَمْشِي الكلب»، قال ليليبيري.

«نعم، سأصعد لزيارة الأنسة إميلين لأتحدث معها حول نافذة عليتها».

«سمعت أنك ستقوم بتصليحها، يقال إنها تسرب الثلج».
«وحوض المفصلة مسدود أيضا».

«نعم، تتولى شقيقتك زمام الأمور هناك، ولا بأس في ذلك، بما أن الثلج آخذ بالذوبان، فكرنا بالعودة للعمل في ورشة القوارب، ولدينا بعض الأعمال الصغيرة لك. بالمناسبة، لاحظت أنك تأتي من جهة البحر».

«ولكنك لم تخبر أحدا بذلك».

«لا، ولم أفعل ذلك؟ أرى أن البلدية جرفت الثلج من الشوارع أخيرا».

أوما ماتس برأسه.

«ستتوقف السيدة ساندبلوم عن التنظيف للأنسة إميلين»
استمر ليليبيري بالحديث: «يقولون إن انحدار التل الشديد لن يمكنها من الصعود بأرجلها المنهكة، ولكن يمتد البعض أن الأمر غير ذلك».

أوما ماتس برأسه مرة أخرى دون أن يصفي.

حيًا كل منهما الآخر، وذهب كل واحد في طريقه.

كانت أشجار التتوب قريبة جدا من بيت الأرانب، مما جعل الباحة الخلفية مظلمة بشكل دائم. هذا المكان موحش، خطر ببال ماتس، إنه منزل موحش جدا، ربما بسبب حجمه الضخم، استلقى الكلب في مكانه المعتاد عند عتبة المطبخ واضعا خطمه بين يديه.

«إذا أنت ماتس؟»، قالت آنا: «لطف منك أن تأتي، وأرى أنك قد أحضرت العدة، لكن النافذة ليست أمرا مستعجلا، اخلع حذاءك وادخل لبرهة»، نظرت إلى الكلب: «لَمْ لا تدعه يدخل ويحصل على بعض الدفء؟ شقيقتك لا تدعه يدخل أبدا».

أجاب ماتس بأن الكلب قد يكون أفضل حالا في الخارج. «ولكن ربما يشعر بالعطش؟ أو هل يلتهم الثلج؟». «لا أظن ذلك».

«كلب لطيف»، نظرت آنا نحو الكلب قائلة: «ما اسمه؟».

«أرجوك ألا تقلقي بشأنه، إنه بخير»، ثم خلع حذاءه.

تناولا القهوة في الشرفة، لم يحاول ماتس أن يتحدث إلى مضيفته، ولكنه كان يبتسم لها من حين لآخر، ويجول بنظره معجبا، مما جعلها تشعر بالرضى.

«إنه الضوء الصادر عن الثلج»، قالت آنا: «كل شيء يبدو جميلا في ضوء الثلج». أعجبت آنا بماتس كلينغ، من لحظة دخوله المنزل، شعرت بالارتياح معه، استغربت من اختلاف طبائع الأشقاء، على الرغم من أن أيا منهما لم يكن كثير الكلام.

«أتعلم»، قالت آنا: «في البداية كنت تقريبا خائفة قليلا من شقيقتك، إنه لأمر بمنتهى السخف مني».

«سخيف للغاية»، وافقها ماتس وابتسم مرة أخرى.

«نعم، ذات الطريقة التي قد تقلق بها من كلب ضخم وغريب، على الرغم من أنه واقف بلا حراك إطلاقا، هكذا. والآن أنا سعيدة للغاية بأن كاتري وعدتي أن تأتي وتساعدني في التنظيف».

مرّ ظل السيدة ساندبلوم الثقيل للحظة مشحونة بالغضب، نزعتها آنا من مخيلتها وتنفست الصعداء، ثم خيم الصمت على الغرفة مجددا.

قال ماتس: «يا آنسة، أرى أنك تقرئين مغامرات جيمي في أفريقيا، إنه كتاب جيد».

«إنه جيد بالفعل».

«أجل، لكن مغامرات جيمي في أستراليا أفضل حتى منه».

«حقا، هل ما يزال جاك معه؟».

«لا، بقي جاك في أمريكا الجنوبية».

«حقا!» قالت آنا: «هذا شيء مؤسف للغاية، أعني أنه

إذا بدأ صديقان بمغامرة فينبغي أن يستمرا معا، أو يكون الأمر غير منصف، ليس إلا»، ثم انتصبت: «تعال وألق نظرة على كتيبي»، خاطبته قائلة: «هل قرأت قصص فورستر البحرية؟».

«لا».

«وجاك لندن؟».

«استعاره شخص ما من المكتبة».

«يا صديقي العزيز»، صاحت أنا: «لا تتطرق بكلمة أخرى حتى تقرأ تلك الكتب، تتحدث عن المغامرات! وليس لديك أي فكرة عنها!».

ضحك ماتس، كانت مكتبة أنا عالية بيضاء مزخرفة بأعمدة منحوتة في الزوايا. تفحصنا معا الرفوف بكاملها، متلفظين بأسئلة وتعليقات يكرّسها الناس للأمور المهمة بهذا الشأن، كانت أرفف أنا مليئة بكتب المغامرات لا غير؛ في البر وفي البحر، في المناطيد وفي باطن الأرض، وفي أعماق البحار السحيقة، كانت معظم الكتب قديمة جدا، لقد جمعها والد أنا في مسيرة حياة طويلة كانت تخلو تماما في كل جوانبها من الخيال غير العقلاني، كانت أنا تفكر أحيانا أن من بين كل ما علمها والدها احترامه، كانت هذه المجموعة من الكتب هي الفضلى، ولكنها كانت فكرة خجولة، ولم تسمح لها بأن تطفئ على آرائه الأخرى. عندما عاد ماتس إلى المنزل وفي جعبته حزمة من الكتب، لم يتطرق إلى نافذة العلية، وعد بأن يأتي في اليوم التالي ومعه كتاب مغامرات جيمي في أستراليا، وقد تحدثت أنا لفترة طويلة بالهاتف مع مكتبة بيع الكتب في المدينة.

* * *

قام ماتس بتصليح النافذة والمصرف، وجرف الثلج وقطع الحطب وأوقد النار في مواقد القرميد الجميلة في منزل أنا، ولكنه عادة ما كان يأتي لاستعارة الكتب فقط، نشأت علاقة متحفظة ومتردة تقريبا بين أنا وماتس، لم يتحدثا إلا عن كتبهما، وفي القصص حيث تكرر الأبطال أنفسهم في كتاب تلو الآخر، استطاعا أن يتحدثا بطريقة مألوفة عن جاك أو توم أو

جين، والأفعال المختلفة التي قاما بها حديثاً، كما لو كانا يتحدثان عرضياً وبودّ عن معارفهما، كانا ينتقدان ويمتدحان ويشعران بالرعب، ويناقشان بالتفصيل النهاية السعيدة وتقسيمها النصف للورثة وعن الزفاف وعن الشرير وعقوبته العادلة.

قرأت أنا كتبها من جديد، وبدا فجأة كما لو كان لديها حلقة واسعة من الأصدقاء، جميعهم يعيشون حياة مفامرة إلى حد ما، غدت أكثر سعادة، وعندما يأتي ماتس في المساء، كانا يشريان الشاي في المطبخ، وهما يقرأان الكتب ويتحدثان عنها، وإذا ما جاءت كاتري، كانا يلوذان بالصمت بانتظار رحيلها، وما إن ينغلق الباب الخلفي حتى تتواري كاتري عن الأنظار.

«هل تقرأ شقيقتك كتبنا؟» أرادت أنا أن تعرف الجواب.

«لا، إنها تقرأ الأدب».

«إنها امرأة استثنائية»، علّقت أنا: «والأكثر من ذلك، أنها

بارعة في الرياضيات».

اندفعت أول عاصفة ربيعية من البحر، بريح قوية ودافئة،
 لقد غدا الثلج ثقيلا وهشا، وفي الغابة بسبب العاصفة سقطت
 أحمال ضخمة من الثلج من فوق الأغصان، وانكسر العديد
 منها في لحظة تحررها، وكانت الغابة بأكملها تعج بالحركة.
 في المساء تجوّلت أنا تحت الأشجار خلف المنزل، وتوقفت
 مصغية لوقت طويل، وكالعادة، كان ينتابها جو من القلق عندما
 تتأهب الأرض لاستقبال الربيع، قلق كانت تدركه وترحب
 به، ومع إصغائها، تغير وجهها الأرنبى وازداد توترا، وتحلى
 بدرجة من القسوة، أحدث اندفاع الريح نحو الأشجار أصواتا
 وموسيقى وصيحات بعيدة، أومأت أنا برأسها، فصل الربيع
 الطويل بدأ للتو.

ستستطيع قريبا أن تدنو من أرض الغابة.

* * *

استمرت العاصفة في اليوم التالي، عادت كاتري إلى المنزل
 وأزاحت الثلج من فوق الدرج، كان المتجر مليئا بالناس، ونفخت
 منه رائحة كريهة من العرق والتوتر، وعبر الصمت المفاجئ، قالت
 السيدة سندبلوم: «مساء الخير؟ كيف حال الأنسة إميلين اليوم؟
 أهناك تواقيع تذكارية جديدة؟».

ضحك صاحب المتجر، سارت كاتري وقد تجاوزتهما تجاه الدرج.

«حسنا، كما قلت من قبل»، قال إميل من هوشولم: «هذه أوقات عصيبة ومن الأفضل أن نتوخى الحذر، فقد يأتون إلى هنا أيضا، المكان ليس بعيدا، وسنضطر قريبا جدا إلى إقفال أبوابنا ليلا».

«ماذا قال قائد الشرطة؟» سأله ليليبيري.

«وما عساه أن يقول؟ سيتجول في القرية ويطرح الأسئلة، ثم يعود لمنزله ويكتب تقريرا، وقد سمعت أنهم أخذوا حتى الحبل المثبط للتيار الكهربائي أيضا».

«كان الله في عوننا»، صاحت السيدة ساندلوم متعجبة: «والآنسة إميلين، التي لا تمتلك قفلا جيدا على أي من أبوابها! يجب عليها أن تتوخى الحذر».

توقفت كاتري على الدرج.

«ألم يرَ أي شيء، ذلك المسكين؟» سأل ليليبيري.

«لا شيء، لقد سمع حركة في المنزل، وذهب ليستطلع الأمر، وقبل أن يعرف ما كان يجري، ضربوه على رأسه، وهذا هو أسلوبهم».

كان ماتس يقرأ مستلقيا على سريرته: «مرحبا»، حيّاها: «أسمعت عن اقتحام كشك العبارة؟».

«أجل، سمعت عن ذلك»، ردّت كاتري، وهي تعلق معطفها. «ولكن أليس الموضوع مثيرا؟».

«نعم، مثير جدا»، أجابت كاتري، ومن فوق الطاولة بجانب النافذة، وهي تدير ظهرها نحو ماتس، فتحت كاتري أحد كتبه

عشوائيا، مما جعل الغرفة تنعم بالهدوء من جديد، لم تدرك كاتري قط أن الكتاب الذي أخضت أفكارها خلفه كان عنوانه «كارل يخدع الشرطة»، وربما كان ذلك أفضل لها، فهي لم تكن لترى الفكاهة في ذلك.

وخلال تخطيط كاتري لاقتحام بيت الأرناب الافتراضي، لم تشعر ولو للحظة واحدة بأن المشروع كان صبيانيا إلى حد ما، فكل ما كانت تدركه هو أن لديها فرصة سانحة يجب أن تستغلها قبل أن تغيّر الرياح اتجاهها وتهدأ الإثارة في القرية.

كان الوقت متأخرا ليلا عندما أشارت كاتري للكلب أن يتبعها، أخذت مصباحا يدويا وقفازها وكيسا للبساطا وخرجت في العاصفة الثلجية، عصفت الرياح عبر الساحل كما لو كانت تعصف في قصة مغامرة جيدة حقا، وواجهت كاتري صعوبة في إيجاد طريقها، لم يكن للمصباح فائدة كبيرة، ومرة تلو الأخرى، كانت تتعثر في الجروف الثلجية على جانب الطريق وتضطر للتراجع، كان التقدم بطيئا، وقد فاتها الطريق الجانبي، واضطرت للتراجع متتبعه آثار قدميها. انتظر الكلب في مكانه المعتاد خارج باب المطبخ، ولكن كاتري لم تخلع حذاءها، على العكس من ذلك، فقد سحبت بحذائها أكبر قدر ممكن من الثلج على السجاد، وفي الداخل، بدت العاصفة أكثر قريبا، وعصفت الرياح بعنف كما لو كانت قوة تنفذ هجوما مخططا. وضعت كاتري المصباح على الخوان حيث كانت فضيئات العائلة تقف مصفوفة - كانت كاتري قد لمعتها بنفسها - وتحت شعاع رفيع من النور وضعت كل الفضيات في كيس البساطا: إبريق القهوة، وإناء السكر، وإبريق الكريمة، وإناء الشاي، ووعاء الحلوى، ثم سحبت

أدراجا عدة من الخوان بعناية شديدة، وأفرغت محتوياتها على الأرض، وتركت باب المطبخ مشرعا عند رحيلها.

كانت عملية بسيطة للغاية، وقد اعتبرتها كاتري أمرا عمليا بحثا دون أي أثر درامي أو مخالفة أخلاقية، اعتبرتها مجرد حركة لحجر في لعبة النقود، ولم تكن أنا بالنسبة لها إلا خصما يواجهه حركة جديدة في هذه اللعبة.

وأثناء نزولها في الطريق، قذفت كاتري بكيس البطاطا في جرف ثلجي وعادت إلى منزلها، ولأول مرة منذ زمن بعيد، نامت كاتري في مهد أحلام وديعة خلت من الكآبة والقلق.

تقبّلت أنا عملية السرقة بهدوء مدهش، ولكن أهالي القرية كانوا منزعجين للغاية، لم يكونوا على معرفة بآنا إميلين، ولم يكد يعرف معظمهم ملامحها، إذ كانت نادرا ما تظهر في شوارع القرية، ولكنها كانت تشكل مفهوما، كمعلم قديم موجود منذ الأزل، لقد كان اقتحام فيلا أنا إميلين عملا بائسا، كالسطو على معبد أو ضريح تقريبا. وجاء الجيران واحدا تلو الآخر ليعربوا عن تضامنهم، وقد أتاحت هذه الحادثة الفرصة لكل من لم يدخل فيلا الأرناب القيام بذلك الآن. ظلت أدراج الخوان مبعثرة على الأرض كما كانت، ولم يسمح لأحد بلمسها، أو تحريك أي شيء آخر إلى أن يأتي قائد الشرطة، وبررت أنا ذلك باحتمالية وجود بصمات للأصابع، وكان كيس البطاطا الممتلئ بالفضيات منتصبا في باب المطبخ، ومُنِعَ لمسه أيضا. صنع العديد من الزائرين أقراصا من الكيك، وأحضرت عائلة ليليبيري زجاجة من النبيذ. استمتعت أنا جدا بلقائهما مع قائد الشرطة في القرية، أعطت إفادتها، وحاولت قدر المستطاع أن تساعد في إعادة تركيب

عناصر تلك الجريمة، أعدت كاتري القهوة للجميع، وتلقت أنا كمّا هائلا من النصائح الجيدة يفوق طاقتها على الاستذكار. كانت السيدة نيفارد هي الشخص الذي لخص رأي الجميع: طالما كانت المنطقة غير آمنة، لا يمكن لأنا إميلين العيش بمفردها. وبكل بساطة، لا يمكن للقرية أن تتحمل مسؤولية تبعات هذا الأمر. اقترحت السيدة نيفارد بأن تقوم كاتري كليغ بالحماية مؤقتا، وأضافت أن من الأفضل أن يبقى الكلب بجانب الباب لبعض الوقت، كان ينظر للسيدة نيفارد كسيدة متقدمة في السن وذات خبرة واسعة، فحتى قائد الشرطة أوصى باقتراحها. وبعد تناول القهوة، عاد قائد الشرطة إلى القرية ليكتب تقريره، وذهب القرويون كل لشأنه، وأخيرا لم يبق إلا أنا وكاتري وحدهما في الشرفة.

«حسنا، حسنا»، قالت أنا: «لقد غدا الأمر مسرحية هزلية، ولكن لا أفهم لماذا لم يأخذ قائد الشرطة بصمات الأصابع، فهم يفعلون ذلك عادة، ولا أحد يستطيع أن يفسّر لماذا رمى السارق الكيس في الجرف، يا ترى من أرمعه؟» لا يوجد أحد البتة في هذا المكان ليلا، قد يكون كلبا ما؟ فمن غير المعقول أن يعود ذلك لصحوة في ضميمه.. أتظنين أن كلبا ما كان في المكان الليلة الماضية؟»

«هذا ما أظنه»، ردّت كاتري.

جلست أنا وفكرت لبعض الوقت، ثم سألت فجأة إن كانت كاتري تقرأ الروايات البوليسية.

«أنا لا أقرأها».

«ونحن لا نقرأها كذلك.. أجلس هنا وأفكر فيما قالته السيدة

نيفارد .. إنه ليس من الصعب على المرء أن يكون واثقا جدا من نفسه في الصباح، ولكن هذا الشعور يتغير عند الفسق، لقد كان لطف منك أن تعدي بالمجيء مصطحبة كلبك، ولكن لبضع ليال فقط، ومن ثم قد أكون نسيت الموضوع برمته، فأنا أنسى بسهولة هكذا...».

دخلت كاتري إلى بيت الأرناب، وأخذ الكلب مكانه في الممر بجانب باب المطبخ، كانت كاتري في حالة عصبية في اليوم الأول، إذ بدت أبسط المهام فوق طاقتها، كانت على يقين من شيء واحد؛ ينبغي أن تتحرك بهدوء شديد وتتوارى عن الأنظار قدر الإمكان، شبح لا يتعدى بأي شكل من الأشكال على حياة أنا المدللة والمصونة منذ زمن بعيد، كان الوقت قصيرا، إذ كان لكل ساعة أهميتها الخاصة، لم يكن لديها سوى بضعة أيام لتستولي على المنزل وتُقنع أنا بأن الاستقلالية ممكنة حتى وإن لم تكن وحدها، ولكن أنا جلست بجوار الموقد بلا حراك، شعرت بالبرد أكثر من أي وقت مضى، وتساءلت لماذا لم يبدُ منزلها خاويا ومهجورا لهذه الدرجة من قبل؟

دخلت عليها كاتري لتتمنى لها ليلة سعيدة: «لا أعتقد»، قالت بحذر: «لا أعتقد بأن للقفل تلك الأهمية..».

«ماذا؟» قفزت أنا واقفة على قدميها: «أي قفل؟».

«أعني، ليس ثمة قفل جيد على الباب، ولكن إن كنت تتوین حبس نفسك الآن، فسيكون ذلك أمرا آخر يستدعي اهتمامنا، أعني، هما جديدا».

كانت أنا غاضبة: «عمّ تتحدثين؟ ولماذا أحبس نفسي؟ فالمكان مُغلق بما فيد الكفاية أصلا، اهدئي واذهبي للنوم».

* * *

في الصباح، وضعت كاتري المتوارية صينية الإفطار بجوار سرير أنا، وأشعلت النار في موقد القرميد، ووضعت إناء من الزهور، وأصلحت حاشية ثوب أنا، كما وضعت كتابا مفتوحا على آخر صفحة وصلت إليها أنا بجوار طبقها، قامت بالكثير من الأشياء الصغيرة في كل أرجاء المنزل طوال اليوم، ولكن واصلت كاتري تواريتها عن الأنظار، ازداد قلق أنا أكثر فأكثر، وكأن ثمة روحا كانت تتجول في المنزل، جنّة مسحورة من تلك الجنّيات المستعبدة والمطوعة التي تتردد على القلاع كما في حكايات الجن، مخلوقات متفانية، وحاضرة في أي وقت، ولكنها تتلاشى هكذا دائما، فحين تلمح حركة ما وتستدير لاستكشاف الأمر، لا تجد شيئا سوى باب ينغلق بهدوء. وللمرة الأولى في حياتها المنعزلة، لاحظت أنا الصمت الذي يسود المنزل، مما أثار القشعريرة في جسدها، بحلول المساء، خرجت أنا عن طورها وذهبت إلى المطبخ، ملتفة حول الكلب بحذر، كان المطبخ خاليا، فصعدت أعلى الدرج ونادت من وراء باب كاتري: «أنسة كلينغ، هل أنت في الداخل، أو أين أنت بحق السماء؟».

فتحت كاتري الباب: «ماذا هناك؟»، أجابت قائلة: «ماذا حدث؟».

«لا شيء»، أجابت أنا: «لا شيء البتة، تقومين بالتسلل في المكان ولا أعلم أين أنت أبدا، وكأن ثمة فئراناً في داخل الجدران!».

* * *

قامت كاتري بتغيير تكتيكاتها، كانت خطواتها الخبيثة تُسمع في كل مكان، وكانت تحرّك الأطباق بطريقة مسموعة، وبدأت تضرب السجاد في الساحة، وغالبا ما كانت تأتي لطلب النصيح من آنا في أشياء مختلفة، وأخيرا قالت آنا: «ولكن يا عزيزتي آنسة كلينغ، لماذا تقومين بسؤالني عن أشياء تستطيعين اتخاذ القرارات بشأنها دون الرجوع إليّ؟ أنتِ لم تعودتي كما أنتِ، أود طمأنتك أنه ليس هناك من حاجة للتوتر أو داع للقلق».

«يا آنسة إميلين، لا أفهم ما تعنين».

«أتحدث عن الاقتحام، بالطبع»، أجابت آنا بفارغ الصبر: «اللس الذي سرقناه؟».

بدأت كاتري بالضحك، لم تمتّ ضحكتها بصلة لابتسامتها المرعبة، وكان وجهها كله يضحك بمرح لا تشوبه شائبة، بأسنان جميلة للغاية.

حدّقت آنا بها باهتمام وقالت: «لم أرك قطّ تضحكين، ألا تضحكين عادة؟».

«لا، ليس كثيرا».

«وما الشيء المسلي جدا في الأمر؟ السرقة التي تعرّضنا لها؟».

أومأت كاتري برأسها بالإيجاب.

«حسنا، إنه أمرٌ مسلي للغاية، ومع ذلك، فأنتِ لم تعودتي كما أنتِ، مهما كان السبب، لقد كنتِ أكثر لطفا في البداية».

في الساعة الثالثة، رنّ جرس الهاتف، وأجابت كاتري.

«أوه، هذه أنتِ!!»، قال صاحب المتجر: «لم تعد الأنسة إميلين ترد على هاتقها الخاص؟ أخبريها بأن الشرطة ألقت القبض على اللصوص، لقد قاموا بافتحام منزل آخر، كيف حال الحراسة عندكم؟».

«ضع لنا جانباً زجاجتين من الحليب وبعض الخميرة وسجلها على الحساب»، قالت كاتري.
«أتخزين الآن أيضاً؟ يبدو أن بيت الأرناب يتحول إلى مؤسسة حقيقية».

«حسناً، هذا كل شيء، سأتصل إذا احتجت شيئاً آخر»، أغلقت كاتري سماعة الهاتف وهمت بالعودة إلى المطبخ.
«لماذا اتصل صاحب المتجر؟» سألت آنا من ورائها: «فهو لم يتصل بنا من قبل؟».

«لقد طلبتُ بعض الخميرة، لدينا دقيق»، وقفت كاتري في الباب نصف المغلق، ونظرت إلى آنا مباشرة، وأخيراً قالت سريعاً: «لقد أمسكوا بهم».
«ماذا قلت؟».

«أعني اللصوص، لقد زال الخطر».
«حسناً، تلك أخبار جيدة»، قالت آنا: «ذلك يفاجئني، إذ لم أعتقد أن مدير الشرطة بدأ كفواً لهذا الحد، بالمناسبة، وقبل أن أنسى، هلا طلبت من ماتس أن يلقي نظرة على الموقد في غرفتك؟ إنه لا يسحب الدخان، ولم يفعل من قبل، إذا استمر الجو على ما هو عليه، فسوف تصابين بالبرد أو شيء من هذا القبيل»، أضافت باستخفاف وعادت إلى متابعة قراءة كتابها.

* * *

ومع اقتراب المساء، أحضرت كاتري الحطب لإشعال النار في الردهة: «إنه مبلل جدا»، قالت كاتري: «ينبغي أن يوجد سقف فوق كومة الحطب، سقيفة ما».

«لا يمكن فعل ذلك، لو كان حياً، لرفض والدي وجود سقيفة للحطب».

«ولكن سيكون لدينا الكثير من الأمطار».

«عزیزتي آنسة كلينغ»، قالت أنا: «لطالما كان الحطب بجوار المنزل، وسيفسد بناء سقيفة تصميم المنزل».

ابتسمت كاتري ابتسامتها المتجهمه وقالت: «حسنًا، هذا المنزل ليس بذلك الجمال، على الرغم من أنني رأيت ما هو أسوأ منه من الفترة الزمنية نفسها».

عندما بدأ الحطب أخيراً بالاشتعال، جلست أنا أمام الموقد وقالت: «من الرائع الجلوس أمام الموقد»، وأضافت عرضياً: «ومن الرائع أيضاً أنه يبدو أنك بدأت تعودين إلى طبيعتك».

وفي اليوم التالي، أعلنت أنا عزمها إقامة حفلة بسيطة لثلاثتهم، كان على كاتري ألا تأكل في المطبخ اليوم، فهم سيستخدمون الفضيات ويحتسون النبيذ على ضوء الشموع.

أشرفت أنا بعناية على طاولة الطعام، وقامت ببعض التغييرات في ترتيبات صغيرة ومفصلة؛ لم يكن لشخص من جيل كاتري وخلفيتها أن يتعلمها بحكم الروتين. وصل ماتس في الموعد المحدد، ظريفاً وخجولاً بعض الشيء، أخذوا أماكنهم على الطاولة، ارتدت أنا أحسن ما لديا لذلك العشاء، لم يشكل دور المضيف لها أي صعوبة قطعاً، ولكن مواهبها وحساسيتها الاجتماعية لم تكن كما ينبغي هذا اليوم، فبعد بعض الملاحظات

غير المترابطة التي لم تؤدّ إلى الشروع في الحديث بينهم، سمحت للبدء بتناول الطعام دون أن تلاحظ صمت ضيوفها، وفي كل مرة وقفت كاتري لتقديم الطعام، كانت أنا تشيح بعينيها سريعا وتتنظر بعيدا. بدت الطاولة رائعة من تحت ثريا الكريستال بمصاييحها المضاءة كلها، حتى إن الشمعدانات كانت مضاءة، ثم جاءت الحلوى.

تلمّست أنا كأس نبيذها ولكنها لم ترفعه، انتقل جمودها المفاجئ إلى ضيوفها، وللحظة جمود واحدة، بدت الغرفة بجمود صورة فوتوغرافية.

«أرجو الانتباه»، قالت أنا: «إن إعاره إنسان لآخر كامل انتباهه شيء نادر جدا، لا، لا أعتقد بأن ذلك يحدث غالبا.. تتطلب معرفة ما يريد شخص ما ويتوق إليه، دون الإعلام مسبقا، قدرا كبيرا من البصيرة والتفكير، وبالطبع في بعض الأحيان، لا نكاد نعرف أنفسنا، قد نعتقد أننا بحاجة للعزلة، أو ربما العكس، الحضور مع أناس آخرين.. لا نعلم، ليس دائما..».

توقفت أنا عن الحديث، وبحثت عن كلمات تقولها، ثم رفعت كأسها وبدأت تشرب منه، «هذا النبيذ حامض الطعم، لربما ظل مكشوبا لفترة زادت عن حدها، أليس لدينا زجاجة نبيذ لم تفتح بعد في مكان ما في الخزانة؟ لا، لا عليك من ذلك، لا تقاطعيني، ما أحاول قوله هو أن هناك القليل من الأشخاص ممن يأخذون وقتهم للفهم والاستماع، والدخول إلى نمط حياة شخص آخر، لقد خطر ببالي منذ أيام كم من المدهش أنك يا آنسة كلينغ تستطيعين كتابة اسمي وكأنني أنا من كتبته، إنها سمة توحى باهتمامك، اهتمامك بي وليس بأي شخص آخر، إنه أمر نادر الحدوث للغاية».

«ليس نادرا لتلك الدرجة»، قالت كاتري: «يا ماتس، قدّم الحلوى، إنها مسألة تتعلق بالملاحظة، ليس إلا، فأنت تلاحظين أنماطا معينة من العادات والسلوك، تلاحظين الناقص وغير المكتمل، وتقومين بتولي أمره، إنها مسألة خبرة، لا غير، قومي بعملك على أكمل وجه تستطيعينه، ثم انتظري وسترين النتائج.»

«أنتظر وأرى ماذا؟»، قالت أنا، وقد كانت منزعجة.

«كيف ستجري الأمور»، أجابت كاتري، ناظرة إلى أنا مباشرة، وقد اصفرّت عيناها للغاية في تلك اللحظة، وتابعت ببطء شديد قائلة: «يا آنسة إميلين، إن الأشياء التي يقوم الناس بها بعضهم لبعض تعني القليل فقط؛ هي مجرد أفعال، لا غير، ما يهم هو دوافعهم، إلى أين يتجهون، وما الذي يسعون إليه.»

وضعت أنا كأسها ونظرت إلى ماتس، ابتسم لها، فهو لم يكن يصغي للحديث.

«آنسة كلينغ»، قالت أنا: «إنك تقلقين بشأن أمور غريبة، عندما يقوم الأشخاص بعمل شيء لمساعدتك أو جعلك سعيدة، فهذا هو كل ما في الأمر.. ماذا جرى لزجاجة النبيذ؟ أحضري أي زجاجة تجدينها، وأحضري كؤوس والذي المفضلة، فهي في أعلى الخزانة على جهة اليمين، ولا تقاطعيني، فلدي ما أقوله»، انتظرت أنا بفارغ الصبر، وعندما ملئت الكؤوس، أعلنت أنا سريعا وبشيء من الغضب، أنه بما أن الطابق العلوي غدا شاغرا، فسيكون ترتيبا عمليا للغاية أن تقوم كاتري وماتس بالانتقال إليه، لقد غاب عنها أن تطلب رفع الكؤوس نخباً، إذ نهضت عن الطاولة، وتمنت لهما ليلة سعيدة، مشيرة إلى أن أي مناقشة أخرى في هذا الأمر يمكن أن تنتظر لليوم التالي، وطلبت من ماتس أن يفلق الموقد عندما تخمد النار تماما.

وما إن ولجت أنا غرفتها حتى سيطر عليها الذعر، وقفت في الباب وهي ترتجف بشدة، منتظرة، ولكن كاتري لم تأت، كان ينبغي أن تأتي، وأخيرا، تسللت أنا تحت الغطاء مخبئة من قرار لا رجعة فيه؛ ألا وهو أنها لن تكون وحيدة بعد الآن، لقد أحست بدفع تجاوز كل الحدود، وخيم صمت لوقت تجاوز كل الحدود، دفعت أنا بالأغطية عنها وقفزت من السرير، كانت الشرفة خالية، في الردهة، تعثرت بالكلب الذي لم تعد على وجوده، وتمتعت معتذرة، وأخيرا وجدت نفسها خارجا على الثلج.

انفلق الباب بعنف من ورائها بسبب الريح، وما إن تقدمت بضع خطوات في الفأبة حتى اجتاحتها الشهور بالبرد، محذرا إياها بلطف. توقفت، وقفت كاتري بهدوء عند نافذة المطبخ، تنتظر، عادت أنا، وانفلق الباب من خلفها بشدة، وساد الهدوء للحظة طويلة، ثم صرخت أنا بصوت عال وغاضب للغاية: «يا أنسة كلينغ! إن شعر كلبك يتساقط في كل مكان، عليك أن تمشطلي شعره».

انتظرت كاتري حتى خطت أنا بعيدا، ومن ثم أخذت نفسها عميقا، وتابعت غسل الأطباق بصمت.

تمت عملية الانتقال في شاحنة ليليبيري، وكانت العملية بمنتهى السهولة؛ بضعة صناديق من الكرتون وحقيبتان وطاولة صغيرة وخزانة للكتب.

«لا يوجد أي مشكلة»، قال ليليبيري: «فمن الناحية العملية، المكان بالجوار، وليس لكل قرية وسائل النقل الخاصة بها»، كان من الجيد سماعه يضحك. قامت كاتري بتطهير الغرفة الواقعة فوق المتجر، وقد اعترها نوع من الغضب الشديد، تلك الطريقة التي تتخلف بها النساء عندما لا يستطعن التنفيس عما يجول في دواخلهن، كانت بذلك تمحو من ذاكرتها حديث الجيران المخجل عن الحسد والخدمات الصغيرة، وكانت تمحو كل أفكار الليالي المشؤومة، والأهم من ذلك كله، أنها قامت بمحو العمر الذي كان يتسكع فيه صاحب المتجر بذريعة ما، واقفاً في لحظة تواقة، منتظراً إشارة ما تنبئه إذا ما كان بإمكانه الماضي قدماً في كرهه أو إذا ما كان ثمة موطئ قدم حقيرة لشهوته. غدت الغرفة نظيفة كعيادة طبية وعارية كجزيرة غسلتها الأمواج.

قام ليليبيري بتحميل الحقائق: «أركبي أيتها الساحرة الصغيرة»، خاطب كاتري قائلاً: «فسندريلا في طريقها إلى

القلعة!». وعندما شغل المحرك، صاح صاحب المتجر قائلاً: «أبلفي تحياتي للآنسة إميلين! أخبريها أنه سيأتيني بعض لحم الأرانب طازجا، حديث الذبح! خصيصا من أجلها...». جرى أطفال القرية خلف الشاحنة لمسافة قصيرة، وهم يصرخون ويرمون بكرات الثلج.

«هذا رد فعل مناسب»، قال ليليبيري مبتسما لكاتري: «فينبغي أن يكون ثمة هرج ومرج عندما يرتقي الناس في هذا العالم».

* * *

اتصلت آنا بصديقة طفولتها سيلفيا، التي كانت تقيم في المدينة، لم تستطع التفكير بشخص آخر لتتصل به الآن دون سابق إنذار..

«لم تتصلي منذ فترة طويلة»، أجابت سيلفيا بصوتها الرنان: «كيف الأمور حيث تسكنين في الغابة؟».

«بخير، كل شيء على ما يرام...»، كانت آنا تتنفس بصعوبة، قد يصلون في أية لحظة، حاولت سريعا ودون ترقيب أن تخبر صديقتها ما قد حدث؛ كاتري، وماتس، والكلب.. كل شيء يوشك أن يتغير، كل شيء..

«هل تعنين أنك ستقبلين بسكان يقيمون عندك؟»، قالت سيلفيا: «من المؤكد أنك لست بحاجة لذلك، أعني، أنك ميسورة الحال، أليس كذلك؟ وبالنسبة، هل أنت منشغلة بأي عمل جديد، حكاية صغيرة جديدة؟».

لطالما شكّل اهتمام سيلفيا بعمل آنا أمرا مهماً خلال جدالهما، ولكن ليس في هذه اللحظة. أجابت آنا بمنف أنه لم يسبق لها العمل في فصل الشتاء، وهو ما ينبغي أن تعرفه سيلفيا، وعادت

على عجل إخبارها عن كاتري، وهي تسترق النظر إلى الطريق من خلال نافذة الشرفة.

«يا إلهي»، قالت سيلفيا في لحظة صمت: «لكنك تبدين قلقة للغاية، هل أنت بخير؟».

«نعم، نعم، أنا بخير...».

بدأت صديقة أنا بوصف بعض التعديلات التي قامت بها في شقتها، وتحدثت عن جمعية الأربعاء للثقافة التي نشأت حديثاً، والتي ينبغي على أنا أن تنضم إليها، وينبغي على أنا أيضاً أن تأتي لزيارتها، فمن المهم أن يخرج المرء من عزلته، وقد كانت تدرك ذلك بما فيه الكفاية، عبر تلك السنوات الطويلة التي عاشتها كأرملة: «ينبغي على المرء ألا يكون وحيداً، فذلك يؤدي إلى الكثير من التفكير...».

«ولكنني لن أكون وحيدة!» قالت أنا: «هذا ما أحاول أن أقوله لك! سنكون أربعتنا معاً، ألم تسمعي؟ أربعتنا، إذا ما احتسبنا الكلب»، كانت شاحنة ليليبيري تقترب: «إنهم قادمون»، همست قائلة: «عليّ الذهاب...».

«حسناً، سنتحدث مرة أخرى، اعطني بنفسك إذن، وفكري ملياً قبل أن تقومي بفعل أي شيء متسرع، يجب أن تكوني شديدة الحذر ممن يقيمون معك، لقد سمعت الكثير من القصص، وكما قلتُ، تفضلي بزيارتي في عريني الصغير عندما يكون لديك الوقت لذلك...».

«أجل، أجل، بالطبع.. إلى اللقاء، استودعك الآن، إلى اللقاء...».

«إلى اللقاء، يا صغيرتي أنا».

كانوا قادمين من فوق التل. وقفت أنا قريباً من النافذة وراقبتهم يقتربون، كان قلبها قد بدأ يخفق دافعا إياها هكذا

للهرب، لمجرد الفرار لأبعد بقعة ممكنة، يا لها من حماقة، لماذا تصرفت بهذه الطريقة.. لم تكن لطيفة مع سيلفيا، وهي التي أحببتها كثيرا وأعجبت بها، ورفعت صوتها عليها، وضاق صدرها، على الرغم من أن سيلفيا كانت تراعي مشاعرها فقط، وقد تذكرت أن تسألها حتى عن عملها.. كان من الخطأ الاتصال بها، ولكنها شعرت بضرورة التحدث مع شخص تثق به للاستماع إليها، الاستماع باهتمام، وطرح الأسئلة، وربما أن يقول لها: «ذلك أمر رائع!» أو «يا عزيزتي أنا، يا لها من فكرة مثيرة! أنت تعرفين ببساطة ما تريدين وتسعين للحصول عليه؛ بهذه البساطة».

* * *

صعد ماتس وأنا الدرج إلى الطابق الثاني، وردد ماتس قائلا: «هل تصدقين، يا آنسة؟ لم يكن قط لي غرفة خاصة بي من قبل.» «حقا؟ يا له من أمر مدهش، والآن، أظن أن بإمكانك أن تأخذ الغرفة الزرقاء إذا ما أخذت كاثري الغرفة الوردية، لقد كانت رائجة جدا في عصرها.» وقفا في الباب وجالا بنظريهما، لم ينبس ببنت شفة. وأخيرا قالت أنا: «ألم تعجبك الغرفة؟».

«إنها رائعة للغاية، ولكن أتعلمين، يا آنسة، إن حجمها أكبر من اللازم بالنسبة لي.»

«كيف ذلك، أكبر من اللازم؟».

«أعني، لشخص واحد، أنا لست معتادا على غرفة بهذا الحجم.»

شعرت أنا بالقلق، وأوضحته أنه لا توجد غرف أصغر حجما.

«هل أنت متأكدة، يا آنسة؟ عندما يبني الناس منازل بهذا

الحجم، تكون لديهم عادة بعض المساحات الصغيرة المتبقية، يخطئون في تخطيطهم، وينتهي بهم الأمر بوجود مساحات إضافية تحت السطح».

فكرت أنا للحظة وقالت: «حسنا، لدينا غرفة الخادمة، ولكنها مليئة بالأغراض، ولطالما كانت شديدة البرودة».

توجهنا إلى غرفة الخادمة، وقد كانت حقا باردة للغاية، أثاث وأشياء، أو ما كان ذات يوم أشياء، مما هبّ ودبّ؛ تكدست كلها عشوائيا تجاه زاوية السقف، مزيج فوضوي تخله بصيص ضوء شتوي قادم من النافذة في النهاية البعيدة للغرفة الطويلة والضيقة.

«لا بأس بهذه الغرفة»، قال ماتس: «إنها رائعة، أين أستطيع وضع كل هذه الأشياء؟».

«لا أعرف حقا.. هل أنت متأكد من أنك تود الإقامة في هذه الغرفة؟».

«بلى، ولكن أين أضع كل هذه الأشياء؟».

«أينما تريد، في أي مكان.. أعتقد أنني سأذهب للاستلقاء بعض الوقت»، بعثت تلك الغرفة الخوف في نفس أنا، فقد بدت لها مشؤومة وباعثة على الكآبة بشكل كبير، وعلى الرغم من ابتعادها عن تلك الغرفة، لكن الغرفة طاردتها، فقد جالت صور قديمة جدا في رأسها، صور للخادمة بيذا، التي كانت معهم في المنزل منذ كانت أنا طفلة صغيرة، وكانت تقيم دائما في تلك الغرفة المخيفة في الطابق العلوي. كانت بيذا، التي غدت تدريجيا كبيرة الحجم وتواقة للنوم، تنام كلما سنحت لها الفرصة؛ تغطي نفسها وتخلد للنوم هكذا. يا لشؤم هذه الصورة!

خطر ببالها، أتذكر أنهما كانا يرسلانني إلى الطابق العلوي كلما احتاجا إليها، وفي كل مرة كنت أجدها نائمة هكذا، ماذا حدث لها؟ هل رحلت؟ هل كانت مريضة؟ لا أستطيع أن أتذكر، وكل ذلك الأثاث؛ من أين أتى به؟ لم يكن مألوفاً لي، ولكن لا بد أنه كان في مكان ما، ولا بد أنه كان له أهمية في وقت ما، كذلك لا بد أنه كان ذا أهمية لشخص ما في وقت ما..

استلقت أنا في سريرها وحدثت في السقف، كان ثمة إكليل صغير من الجص يحيط بالمصباح المثبت في السقف، وقد تكرر ذلك في شريط طويل حول حجرة نومها، أصفت إلى ما يجري حولها، كان يتم تحريك أشياء ثقيلة في الطابق العلوي، ويتم إلقاؤها محدثة جلجلة، كان هناك وقع خطوات تذهب وتجيء، وهنياهات صمت وتُرت حاسة السمع عندها إلى أقصى درجة، والآن، مرة أخرى، يتم تحريك شيء وإلقاؤه؛ لم يبق شيء على حاله في الطابق العلوي؛ لقد كان كل ذلك الماضي الذي كان يقبع فوق حجرة نوم أنا وإميلين ويبعد ساكننا بُعد قبة السماء البريئة في حالة من التحول العنيف. على أية حال، خطر ببال أنا، لكل منا نهجه في التعامل مع الأشياء كما يريد، وسأخلد للنوم الآن، دفعت بالوسادة فوق رأسها، ولكن النوم لم يأتها.

* * *

«ولكن أين ذهبت كل تلك الأشياء؟ كيف وجدت مكاناً لتخزينها؟»

«لم نجد مكاناً لها»، قالت كاتري: «ألقينا بالكثير منها في الخارج على الجليد، وقام ليليبيري بأخذ ما تبقى إلى المزداد في المدينة، سيحضر لك ما يحصل عليه من النقود إذا استطاع

بيعهما، ولن يكون على الأغلب بالشئ الكثير».

«يا آنسة كلينغ؟ قالت آنا: «أأنت متأكدة من أنك لم تتصرفي بشيء من الحرية الزائدة؟».

«قد يكون ذلك»، قالت كاتري: «ولكن فكري بالأمر، يا آنسة إميلين، ماذا كان سيحدث لو أننا عرضنا عليك كل قطعة من ذلك الأثاث المتهالك، كل قطعة من تلك الأشياء المحزنة، كل تلك الأشياء التافهة؟ لكن وقفت هناك، وحاولت أن تقرري ما ينبغي أن يبقى أو ما ينبغي التخلص منه أو بيعه، أما الآن، فقد تم اتخاذ القرار وتسوية الأمر، أليس ذلك أمرا جيدا؟».

لاذت آنا بالصمت: «ربما»، قالت أخيرا: «ومع ذلك، كان تصرفا فيه جراءة مفرطة».

بعيدا عن المنزل، جئمت كومة داكنة من النفائات بانتظار ذوبان الجليد، وبدأت كنصب تذكاري ينم عن عجز والديها الكامل عن التخلص مما تهالك من ممتلكاتهم، يا له من أمر لافت، خطر ببال آنا، سيدوب الجليد، وسيفرق كل شيء، في الأسفل هكذا ويختفي، إنها حركة جريئة، ومخزية تقريبا، يجب أن أخبر سيلفيا، خطر ببالها لاحقا أن تلك الأشياء قد لا تفرق، ليس كلها على الأقل، ربما ستطفو وترسو على شاطئ آخر، وسيجدها شخص ما ويتساءل: من أين جاءت؟ ولماذا؟ على أية حال، لم تكن غلطة آنا ولو حتى بأي شكل من الأشكال.

عاد السكون إلى بيت الأرناب، كان ماتس يتحرك بهدوء كشقيقته، ولم تكن أنا متأكدة قطّ ما إذا كان في المنزل، وعندما كانا يتقابلان مصادفة في المنزل، كان ماتس يتوقف للحظة ويبتسم، وينحني برأسه قبل أن يتابع السير؛ إيماءة تتمّ عن شهامته. انتاب أنا شعور ببعض من ذات الخجل الذي شعرت به كاتري تجاهه، لم تفكر بأي شيء لتقوله في هذه اللقاءات، وعلى أية حال، وجدت أنه من غير الضروري مضايقته بالتحيات التقليدية التي يتبادلها الناس على الدرج لكونهم يتقابلون بمحض المصادفة فقط. كان ماتس وأنا معا فقط في كتبهما، وأي مكان آخر كان يعدّ منطقة عازلة خاصة.

أحيانا كانت أنا تسمع دقا في المنزل، ولكنها لم تكن تذهب للتحقق من ذلك، وكما هو الحال في ورشة القوارب، كان ماتس يعمل دون أن يجلب الانتباه ودون أن يُظهرَ عمله، كان يتجول هكذا في المكان، ويلاحظ ما يحتاج إلى تصليح ويقوم بإصلاحه، لقد غدت أشياء كثيرة في بيت الأرناب بالية أو متهالكة؛ وهو أمر ليس بتلك الأهمية؛ إذ كان مجرد منزل قديم بدأت تظهر عليه علامات الزمن، مرّ بعض الوقت قبل أن تلاحظ أنا أن أحد الأبواب لم يعد يصدر صريرا، أو أن نافذة بدأت تفتح من جديد،

أو أن تيارا من الهواء قد اختفى، أو أن لمبة منسية أضاءت من جديد؛ العديد من التفاصيل الصغيرة التي أذهلتها، وأسعدتها المفاجآت. خطر ببال أنا، أنا أحب أن أفاجئ، عندما كنت يافعة، كانوا يخفون بيض عيد الفصح في كل أنحاء المنزل كي أعثر عليه؛ بيض صغير بألوان زاهية عليه بعض الريش الأصفر.. كنت تدخلين، تنظرين من حولك، ثم تبحثين في كل مكان، وقد بدا قليل من الريش الأصفر، ناتئا بما فيه الكفاية لملاحظته..

حاولت أنا أن تشكر ماتس عندما كانا يحتسيان الشاي في المطبخ مساء، ولكنها أدركت سريعا أن ذلك يسبب له الحرج، فتوقفت عن ذلك، انبرى في قراءة كتبهما، وكل شيء كان على ما يرام.

وخلال تلك الفترة بالذات بدأت أنا تدرك، بطريقة جديدة ومثيرة للقلق، ما كانت تفعله بوقتها وما لم تكن تفعله، بدأت بمراقبة سلوكها أكثر فأكثر مع كل يوم يمضي؛ تلك الأيام التي كانت تمر غير آبهة بها لفترة طويلة جدا، عندما كانت أنا تقيم وحدها، لم تلاحظ كيف أنها كانت تدع ساعات النهار تتواري من خلال النوم، كانت تسمح للنوم بالاقتراب، ناعما كالغشاوة، كالثلج؛ كانت تقرأ الجملة نفسها مرارا وتكرارا حتى تختفي في الغشاوة، ولم يعد لها أي معنى، ولاحقا تستيقظ من النوم، لتجد الصفحة التي توقفت عندها، فتتابع القراءة وكأنها أضاعت بضع ثوان، ليس إلا، والآن فجأة، انضح لأننا قد نامت، ولفترة طويلة إلى حد ما. لم يعرفها أحد، ولم يزعجها أحد، ولكن، مع ذلك، غدت الحاجة البسيطة والمغرية للتواري هي قبولة شيئا ممنوعا. كانت تستيقظ بداية، وتفتح عينيها، وتمسك بكتابها،

وتصفي. كان السكون مخيما بشكل كامل، ولكنها سمعت وقع أقدام شخص يسير في الطابق العلوي.

لم تعد أنا تأوي للفراش في وقت مبكر من المساء، إذ كان يبدو طبيعيا أن تتابع إيجاءات الظلمة والفطرة أكثر من متابعة الوقت حسب الساعة، والآن كانت تحاول أن تبقى مستيقظة. كانت تتحرك في غرفتها محدثة ضجة حتى لا يعتقد من في الطابق العلوي أنه قد غلبها النوم، وأخيرا عندما سمحت أنا لنفسها بأن تأوي للفراش، لم يأتها النوم، وبقيت مستيقظة، تصفي لما يدور حولها، أصبح للمنزل حياة سرية جديدة، وكان الإصغاء لأصواته الباهتة وغير المحددة كمحاولة الإصغاء إلى محادثة مهمة من مسافة بعيدة للغاية؛ تميز كلمة من هنا وأخرى من هناك، ولكن دون فهم واضح للسياق إطلاقا.

وفي إحدى الأمسيات عندما لم تستطع أنا النوم، غدت منزوعة للغاية، فارتدت ثوبها وخفها، وشقت طريقها إلى المطبخ طلبا لكأس من العصير وشطيرة، كان الكلب يجثم بجوار باب المطبخ، وتابعها بنظرته الصفراء، كان ذلك الحيوان الضخم يجثم بلا حراك كتمثال محركا عينيه فقط. «كن مؤدبا»، همست أنا، عندما قامت بانعطافاتها المعهودة، كانت ثمة قواعد جديدة فيما يتعلق بالثلاجة، فقد كان كل شيء مغلفا بالبلاستيك، فلم يكن ممكنا معرفة ما في الداخل دون إزالة التغليف.

وفي هذا الشأن، كان المطبخ برمته مطبخا جديدا، ما الذي تغير؟ هذا ما لم تستطع أنا أن تكتشفه، ولكن، على أية حال، لم يعد مطبخها، في الأيام الخوالي عندما كان كل شيء طبيعيا، كانت أنا إذا ما غشيها الجوع خلال الليل أحيانا تفتح علبة من

البازلاء على منضدة المطبخ وتتاولها باردة بالملعة، وهي تتأمل بهدوء الظلمة في الفناء الخلفي، ومن ثم تتناول ملعة من المرى وتعود بهدوء إلى سريرها، أما الآن، فقد اختلف كل شيء.

وفي هذا المساء، على وقع رغبتها الأكيدة باحتساء العصير، أخرجت أنا زجاجة على عجل، كما لو كانت تفعل شيئاً محظوراً، وصبت العصير دون النظر إليه، فانسكب سائل أحمر كثيف على المنضدة، وبالطبع كانت كاتري واقفة هناك، وكما هو الحال دائماً، دخلت بصمت ووقفت تراقب ما كانت أنا تريد القيام به. «أردت فقط بعض العصير»، شرحت أنا قائلة.

«انتظري، سأنظفها»، قالت أنا، أخذت كاتري خرقة، وغمرتها في السائل الأحمر، ثم عصرتها في المفصلة.

«دعيه»، انفجرت أنا قائلة: «ما أريده هو الماء، الماء وحسب!»، ثم فتحت الصنبور بعنف للغاية، فاندفع الماء على الأرضية. قالت كاتري: «أليس من الأفضل وضع صينية بجوار سريرك أثناء الليل؟».

«كلا»، ردّت أنا: «لا أريد ما هو أفضل».

«ولكنك عندئذ لن تضطري للذهاب إلى المطبخ».

«يا آنسة كلينغ»، قالت أنا: «ربما أخبرتك كيف أن والدي لم يرغب قطّ بتوصيل الصحيفة له؛ كان يرغب بإحضارها بنفسه، فقد كان يأتي بها كل يوم من المتجر ويقرأها قبل أي شخص آخر، ألقى بتلك الخرقة في حاوية القمامة»، جلست أنا على الطاولة وكررت قائلة: «تخلصي منها، نحن نرمي أي شيء لم نعد نحتاج إليه».

«يا آنسة إميلين، أيزعجك وجودنا في الطابق العلوي؟».

«لا، إطلاقاً، فأنا لا أستطيع سماعكما، أنتما تتحركان بخفة دائماً».

ما زالت كاتري عند المغسلة، أخرجت كاتري علبة السجائر من جيبها، لكنها فطنت لنفسها، فأعادتها إلى جيبها.
«أوه، هيا دخني»، قالت أنا بحدة: «دخني، فوالدي كان يدخن السيجار».

عندما أشعلت كاتري سيجارتها، قالت ببطء محاولة إيجاد الكلمات المناسبة: «يا آنسة إميلين، قد يمكننا النظر إلى هذا الأمر من الناحية العملية البحتة، لقد عقدنا اتفاقاً، وقد استفدنا أنا وماتس كثيراً من هذا الاتفاق، ولكن إذا ما فكرت في الأمر، فأنت استفدت أيضاً، إنه ضرب من المقايضة، تبادل مصالح متشابهة من حيث الأهمية، فخدمات معينة تحتسب في ضوء فوائد معينة، أعرف أن هناك نكسات، ولكنها ستقل بمرور الوقت، علينا أن نتصالح مع هذا الأمر، لنلبي متطلبات عقد أبرمناه إراديا، ألا يمكننا تقبله هكذا كعقد يتضمن حقوقاً وواجبات؟».

«تبادل مصالح متشابهة من حيث الأهمية»، كررت أنا مبالغة في تعجبها، وهي تنظر إلى السقف.

«إن العقد»، تابعت كاتري قائلة جدّياً: «إن العقد أكثر روعة مما تظنين، إنه لا يُلزم وحسب، لقد لاحظت أن الالتزام بعقد بالنسبة لبعض الناس يبعث على الراحة، فهو يحررهم من التردد والارتباك، إذ لا يبقى لهم حرية الاختيار، يتفق الطرفان على تقاسم المسؤوليات وتحملها، إنه اتفاق ملزم، أو هكذا ينبغي أن يكون، حيث يحاول الناس على الأقل أن يكونوا منصفين».

«أنا متأكدة من أنك على حق»، قالت أنا: «فأنت تحاولين أن تكوني منصفة»، وضعت أنا ذراعيها على الطاولة لتريح ظهرها، لقد أحست بالنعاس يتسلل إليها.

«الإنصاف؟» تابعت كاتري حديثها: «لا يعرف أحد منا أبداً على الإطلاق أننا حقاً نجحنا في أن نكون منصفين، ولكننا نبذل قصارى جهدنا على كل حال...».

«أنت الآن تلقين عظة»، قاطعتها أنا، وقد انتصبت: «أنت تعلمين كل شيء، يا عزيزتي الأنسة كلينغ، ولكن أتعلمين؟ نحن نقوم بترتيب الأمور بهذه الطريقة أو تلك، وفي المحصلة الأخيرة، نحن مازلنا نترك ذبولنا خلفنا».

شرعت كاتري بالضحك.

«اعتادت أُمي أن تستخدم هذا التعبير»، قالت أنا: «أحياناً عندما يملأها الشرح، والآن أظن أنني سأذهب للنوم»، لكنها استدارت وهي في الباب: «يا آنسة كلينغ، ثمة أمر طالما أردت أن أسألك عنه، ألا تتزعجين وتحدثين بتهور أبداً؟».

«أنزعج»، قالت كاتري: «ولكنني لا أتحدث بتهور أبداً».

لقد اعتادت أنا على أن يكون منزلها مأهولاً بشكل غير مرئي، فعلى مدى حياتها كانت قد اعتادت على الأشياء إلى أن يبدو خطرهما قد اختفى، وهما هي تفعل ذلك الآن مرة أخرى، وبعد فترة قصيرة لم تعد تسمع وقع خطوات فوقها، إذ لم يكن ذلك أكثر من سماعها صوت الريح والمطر وساعة الحائط في الشرفة، ولكن الشيء الوحيد الذي لم تستطع الاعتياد عليه هو الكلب، كانت تلتف من حوله، وبمجرد أن تتجاوزوه، كانت تهمس للحيوان الساكن، معربة عن رأيها الراسخ والثابت في موضوع ما.

أطلقت أنا اسما على الكلب لأن الأشياء مجهولة الاسم لديها ميل إلى النمو، لقد جردت ذلك الحيوان من تهديده بتسميتها إياه «تيدي»، أدركت أنا جيدا أنه لن يسمح لها أن تتدخل في التدريب الصارم لذلك الكلب، لذا لم يكن بوازع اللطف أنها كانت تلقي إليه ببقايا الطعام سرا، «كُل»، كانت تهمس، «سريعا يا تيدي الصغير، كُل قبل أن تأتي...»، ولكن أحيانا عندما كانت تمر متجاوزة نظراته الصفراء المراقبة، كانت تهمس: «ابق على بساطك، أيها الوحش الضخم والمرعب!».

«سيلفيا»، صرخت أنا: «هل هذه أنت؟ كنت أحاول الاتصال بك مرة تلو الأخرى ولكنك دائماً خارج المنزل.. هل هذا وقت غير مناسب؟ هل لديك ضيوف».

«ثمة سيدات الجمعية فقط»، قالت سيلفيا: «كما تعرفين، اليوم هو الأربعاء».

«أي أربعاء؟».

«يوم الجمعية الثقافية»، قالت سيلفيا، بوضوح مبالغ فيه.

«صحيح، بالطبع.. أيمكنني الاتصال فيما بعد؟».

«اتصلي متى شئت، إذ يسرّني دائماً سماع أخبارك».

«سيلفيا، هل يمكنك المجيء إلى هنا؟ إنني أعني ذلك، هلا جئت لزيارتي؟».

«طبعاً، يمكنني ذلك»، ردّت سيلفيا قائلة: «يبدو فقط أنه لم تتح لنا الفرصة لعمل ذلك قط، ولكن ينبغي حقاً أن نتقابل ونتحدث عن الأيام الخوالي، لنرى كيف ستسير الأمور، لنحدث مع بعضنا مرة أخرى، حسناً». وقفت أنا بجانب الهاتف لفترة طويلة وحملت بالجرف الثلجي عبر النافذة دون أن تراه، تملّكها حزن عظيم، من المحزن أن يكون لك صديقة أعجبت بها جداً رغم عدم رؤيتك لها إلا نادراً وقمت بإخبارها أشياء كثيرة كان

يفترض أن تبقىها في سريرتك، فسيلفيا كانت الوحيدة التي تتحدث أنا معها حول عملها؛ كانت، دون تحفظات، تخلط المسرات وخيبات الأمل القاسية معا، تتحدث عن كل شيء، وكل ذلك الآن كان مع سيلفيا، تم إعلامها به بطيش عبر السنين من خلال كتلة ضخمة من الأسرار.

كان ينبغي ألا أتصل بها، خطر ببال أنا، ولكنها هي الوحيدة التي تعرفني.

وضع إيميل من هشولم حفرة الجليدية لصيد السمك بضع مئات من الأمطار من أكواخ الأسماك على الشاطئ، أحيانا كانت زوجته تساعد في فحص الشباك، وأحيانا كان ماتس يقوم بذلك، كان هو من يسحب الشبك دائما، في حين كان من معه يقوم برمي الصنارة في الماء، لم يكن في الشباك الكثير عادة، سمكة أو اثنتان لإطعامهما فقط. ذهب في أحد الأيام مع ماتس، وكان المطر يسقط متجمدا والجودافى إلى حد ما، كسّر إيميل الجليد الليلي من حول حواف الحفرة وقام ماتس بجرف ما بداخلها إلى أن أصبح الماء صافيا.

«حسنا، الآن»، قال إيميل: «لدي مفاجأة صغيرة لك، هذه المرة يمكنك أن تسحب الشبكة وأقوم أنا برمي الصنارة، ينبغي أن تكون قادرا على عمل ذلك»، لم يبدُ أن الفتى استوعب ذلك، لذا استمر إيميل بالشرح: «أعني أنني أقدر أنك قادر على سحب الشبكة على الأقل، ظننت أنك تحب أن تكون محل ثقة أخيرا».

أدرك ماتس تلك الإساءة ببطء فقط، وقد جعلها لطفه تجرح بدرجة عالية. خطا إيميل بعيدا إلى نهاية الشبكة الأخرى حيث اختفى تقريبا بالمطر المتجمد، ومن ثم عاد ووقف مستعدا،

ينتظر وهو يمسك بخيط الصنارة، وأخيرا صرخ قائلاً: «حسنا، هل ستبقى واقفا هناك هكذا؟ ألا تستطيع حتى القيام بسحب الشبكة؟».

ثم ازداد الحنق داخل ماتس، حنق نادر لا أحد يعرف عنه غير كاتري، أمسك بنهاية حبل الشبكة وشعر بثقل الشبكة ووقف ساكنا وحنقه في حالة من الغليان.

«حسنا»، هدر إيميل، وقد بدأ أيضا يفقد أعصابه: «اسحب! هل أنت أبله هذه القرية حقاً؟».

أخرج ماتس مُدْيَتَهُ وقطع الحبل إلى نصفين، ففرقت الشبكة تحت الجليد، واستدار وسار تجاه الشاطئ، متجاوزا الأكواخ وورشة القوارب، وقد عبر الطريق، وصعد التل، وولج غابة الصنوبر خلف بيت الأرانب. كان الثلج في حالة الذوبان، وفي كل خطوة كان يفرق في حذائه الشتوي، ومن ثم علقت هردة من حذائه وخرجت قدمه مرتدية جوربا فقط، أخذ يلعن حظه وغرس مُدْيَتَهُ في جذع شجرة، حيث علقت وبقيت مفروسة فيها.

مرّ ماتس بآنا في الردهة، وتوقف للحظة، وقد انحنى برأسه احتراما كما يفعل عادة، فعلت آنا الشيء نفسه، وعندما عاود مسيره، ذكرت آنا أن بعض الكتب الجديدة قد وصلت من المدينة.

كان ثمة الكثير من اللفظ حول قطع الشبكة، قال إيميل: «إن ذلك الفتى المسكين مخبول، إنه لطيف، ولكنه مخبول، وهذا واضح وضوح الشمس، سمحت له أن يسحب الشباك لأن ذلك عمل ممتع لفتى إن كان هناك سمك، ولكنه وقف في مكانه

هكذا مستاء، فانزعجت قليلا وصرخت، ذلك كل ما حصل..
«لا أعرف كيف تجرؤ أن يكون معك في ورشة القوارب»،
علقت فرو ساندبلوم قائلة، وتناغم معها صاحب المجر بقوله إنه
اعتمادا على ما يعرفونه، فقد يقوم ذلك الغبي بتكسير القوارب،
وستسفنك الدماء، ولن يكون ثمة مجال لاحتواء المشكلة.

«اهدؤوا»، قال إدوارد ليليبيري: «لو كان الأمر بيد ماتس،
لتعامل مع تلك القوارب بكفوف من المخمل، فهو يعشقها إلى
هذا الحد، ومهما كانت المهمة التي توكل له، فهو يقوم بها
وعلى أحسن وجه، على الرغم من كونه بطيئا نوعا ما، ولكنك
تستطيع أن توكل له أي مهمة بغض النظر عن صغرها. أريد
زجاجة من الجعة».

«على أية حال»، تمتت فرو ساندبلوم: «كلاهما من سلالة
سيئة، قد لا يكون رأيي مهما في هذا الأمر ولكن.. أعني، كيف
تجرؤ على ذلك؟».

«أوه، أظن أنني أجرؤ على ذلك»، قال ليليبيري: «سأراهن
على ذلك الفتى، وعلى شقيقته، قد لا يكون من السهل التعامل
معهما دائما، ولكنها ربّت ذلك الفتى، إنها تمتلك الشجاعة وهي
محل ثقة، ما الذي يجعلكم محتدين إلى هذا الحد؟».

«أوه، نعم، حقا إنها تعرف ما تقوم به»، قالت ساندبلوم: «على
أية حال، فهما الآن يعيشون بالنعيم، فلدى العانس إميلين مال
وفير».

«اصمتي، أيتها المرأة المزعجة»، قال ليليبيري فورا، أمسك
شقيقه بذراعه محذرا، في حين قفزت فرو ساندبلوم عن
الطاولة بشكل مفاجئ أدى لانقلاب فتجان قهوتها.

«هنا، كما ترين»، قال ليليبيري: «أي شخص معرض لفقد أعصابه وفقدان السيطرة على نفسه، ولكن ذلك أفضل من أن يكون خسيسا، لذا، دعوني أقُل لكم شيئا، لكم جميعا، ويمكنكم أن تتشروا ذلك، إن كاتري وماتس أناس محل ثقة، وعلى الرغم مما يقومون بفعله، فلديهما أسبابهما المعقولة».

ثم غادر المتجر.

«إنه لمن الكياسة يا آنسة كلينغ أن تفتحي رسائلي البريدية، ولكن ثمة طبع غريب عندي قد تعتبرنه شيئا طفوليا، ألا وهو حبي لفتح الظروف البريدية، وهذا يشبه قصتي أوراقا في كتاب أو تقشير حبة برتقال، فهو يختلف كل مرة أقوم بها».

تفحصت كاتري أنا بحواجب مرفوعة شككت خطأ وحيدا فوق عينيها تقريبا: «أتفهم ذلك»، ردت قائلة: «ولكنني أفتحها فقط لمعرفة ما يمكن التخلص منه».

«ولكن يا عزيزتي آنسة كلينغ»، ردّت أنا.

«أنت تعرفين، الأشياء التي ينبغي ألا تكثرثي بها، كالإعلانات والطلبات، أولئك الذين يريدون المال ويحاولون خداعك».

«لكن كيف لك أن تعرفي ذلك».

«أعرف ذلك، أشعر به، أستطيع أن أشم الزيف من مسافة بعيدة واتخلص من كل شيء يفوح برائحته».

لم تعرف أنا ماذا تقول، وأخيرا أشارت إلى أن الكياسة قد تزيد عن حدّها أحيانا، لسوء الحظ، لقد وقع المحذور، ولكن في المستقبل ينبغي على كاتري أن تضع الرسائل المرفوضة جانبا ليتم الاطلاع عليها فيما بعد.

«آين؟».

«مثلا، في مكان ما في المخزن العلوي...»

«حسنا»، قالت كاتري وابتنسنت: «في مكان ما في المخزن العلوي، وها هي فواتير المتجر، لقد تفحصتها بدقة، إن صاحب المتجر يخدعك باستمرار، ليست بمبالغ كبيرة؛ خمسون بنسا هنا ومارك هناك، ولكنه يفعل ذلك».

«صاحب المتجر؟ هذا مستحيل»، نظرت أنا إلى الفواتير الملطخة بالحبر الأزرق باشمئزاز ودفعتها جانبا: «بلى، بلى، أتذكر الآن، لقد أخبرتني أنه رجل خبيث، شيء ما حول ذلك الكبد الذي أرسله.. خمسون بنسا هنا وخمسون بنسا هناك.. ولكن لماذا هو بالذات، لم ينبغي أن يكون هو خبيثا على وجه الخصوص؟».

«يا آنسة إميلين، هذا شيء مهم، أنا متأكدة من أنه قد قام بخداعك، عن قصد، ربما منذ البداية، ومع مرور الوقت، يصبح مبلغا لا يستهان به».

«خبيث؟ كررت أنا: «في حين كان دائما لطيفا ومؤدبا..».

«الناس ذوو وجهين».

«ولكن لماذا على صاحب المتجر أن يكرهني؟» قالت أنا بدهشة بريئة: «إنني من النوع الذي يحبه الناس بسهولة...».

أصرت كاتري على رأيها: «دعينا نتحدث عن الفواتير لا غير، صدقيني، إن الأرقام لا تتطابق، أستطيع حسابها، نحن بحاجة إلى مناقشة هذا الأمر».

«لكن لماذا؟ هل هذا ضروري؟ ألا تريدين حقا أن تعاقبيه، ليس إلا؟».

علقت كاتري بسرعة أن لآنا أن تتصرف كما تشاء، بالطبع،

ولكنها بحاجة إلى معرفة ما كان يجري.

«بلى، بلى»، قالت أنا بهدوء: «ثمة أشياء كثيرة على المرء أن يقلق حولها»، ثم أضافت على سبيل الإيضاح: «فهي تتكرر هنا وهناك.. ألا تتفقين؟».

* * *

جلست أنا إميلين على مكتبها ترد على رسائل الأطفال الصغار، وقد رُتبت رسائلهم في ثلاث رزم، كانت الرزمة «أ» من الأطفال الصغار جدا الذين عبّروا عن إعجابهم عبر الصور في رسومات للأرانب، وإذا ما كان ثمة رسالة مكتوبة، تكون أم الطفل من كتبها. أما الرزمة «ب» فضمت الطلبات التي غالبا ما كانت مستعجلة، وبخاصة تلك التي تتعلق بأعياد الميلاد. وأخيرا الرزمة «ج» التي سميتها أنا رزمة الحالات المحزنة، وهي تتطلب الكثير من العناية والتركيز، ولكن ثلاثتها، «أ» و«ب» و«ج»، تريد أن تعرف كيف تمت تغطية الأرانب كلها بالورود.

كان عند أنا العديد من التفسيرات حول فرو الأرانب المغطى بالورود، وكانت جميعها مقنعة بمجرد كتابة بداية جيدة وعدم الإغراق في التفكير. أما اليوم، ولأول مرة، عجزت أنا عن تقديم ولو سبب واحد؛ سواء كان شاعريا أو عقلانيا أو هزليا، لقد كانت الورود ظاهرة عشوائية، وفجأة بدت سخيفة ودون أية جاذبية. في النهاية، اكتفت برسم الأرانب فقط، أرنب على كل رسالة، ومن ثم غطتها بالورود، وكان هذا كل ما كانت تستطيع فعله. لقد انتظرت طويلا، كانت مشمئزة من نفسها تماما، وتملكها الغضب أخيرا، فربطت الحزم الثلاث «أ» و«ب» و«ج»، بشرائط مطاطية وذهبت بها إلى كاتري في الطابق العلوي.

بدت غرفة الضيوف الوردية كما كانت في الماضي، لكنها اتسمت بالغرابة، إذ ظهرت أكثر اتساعا وفراغا، كانت النافذة مفتوحة جزئيا، والغرفة باردة في الداخل منها تفوح رائحة السجائر الكريهة. كانت كاتري جالسة منشغلة بالحبك، فأزاحت عملها جانبا وانتصبت واقفة.

«هل يعجبك هذا المكان؟» سألت أنا على وجه السرعة.
«نعم، كثيرا جدا».

خطت أنا نحو النافذة، ثم توقفت، واستدارت، وانتصبت في منتصف الغرفة حاملة الرسائل في يدها.

«هل تريدني أن أغلق النافذة؟» قالت كاتري.

«لا، يا آنسة كلينغ، تلك الأشياء التي ذكرتها عن الاتفاقيات.. إن للطرفين حقوقا وعليهم واجبات، انظري إلى هذه»، وضعت أنا الرسائل على الطاولة: «إن الأطفال يسألون سؤالا بعد آخر، هل من واجبي أن أرد عليهم؟ ما الحقوق التي أمتلكها؟».

«ألا تردي عليهم»، أجابت كاتري.

«لا أستطيع فعل ذلك».

«لكن ليس لديك أي اتفاقية معهم».

«ماذا تعنين بذلك، (اتفاقية)؟».

«أعني وعدا، لقد كتبت لكل طفل مرة واحدة فقط، ليس كذلك؟ ولم تعطي أية وعود».

«حسنا، في الواقع...».

«تعنين أنك كتبت لبعضهم أكثر من مرة؟».

«ماذا يفترض أن أفعل؟ فهم يكتبون ويكتبون، ويعتقدون أنني صديقتهم...».

«إذن، فهو وعد»، ذهبت كاتري إلى النافذة وأغلقتها: «أنتِ ترتعشين، اجلسي يا آنسة إميلين، سأعطيك بطانية».

«لا أريد واحدة، وأنا لم أعطِ أية وعود، لا أعرف ماذا تقصدين». «ولكن انظري إلى الأمر هكذا، لقد أخذت شيئاً على عاتقك، وهذا يعني أن عليك واجبا، أليس كذلك؟ بالتحديد أنك ستفعلين كل ما في وسعك».

ما زالت أنا منتصبة في منتصف الغرفة، بدأت تصفر بطريقة خلت من النعمة، صفير لم يكد يُسمع بين أسنانها، وفجأة قالت، غاضبة: «ما هذا؟».

«إنني أحبك غطاء».

«آه، بالطبع، فالجميع يحبك هنا، أتساءل كم من الأسرة موجود في هذه القرية...».

استمرت كاتري بالحديث: «الاتفاقيات في جوهرها تتعلق بالإنصاف...»، فقاطعتها أنا قائلة: «لقد سمعت ذلك من قبل، فالطرفان يساهمان ويجنيان الفائدة، ما علاقة ذلك بأطفالي؟ وما الذي سأجنيه؟».

«طبقات جديدة، الشهرة».

«يا آنسة كلينغ» قالت بوضوح: «أنا أتمتع بالشهرة».

«أو الصداقة، إن أردتِ، إن كانت الصداقة تسليك ولديك الوقت لها».

جمعت أنا رسائلها: «لم يكن هذا البتة ما أردت الحديث عنه»، ردت قائلة: «اتركيها». قالت كاتري: «دعيني أقرأها، سأحاول فهم الأمر».

* * *

في مساء ذلك اليوم، جلستا متقابلتين في الردهة وكاتري تشرح الأمور: «لا أعتقد أن الأمر في غاية الصعوبة، فالأطفال يطلبون بعض الأشياء ولديهم بعض ما يقولونه، وما يريدونه هو شيء واحد في جوهره، يمكنك كتابة رسالة موحدة يتم تصويرها طبق الأصل وعندما تريدين توييمها، يمكنك إضافة ملاحظة، وبالطبع توقيعك الشخصي».

«ويمكنك توقيعها عني»، قالت أنا على عجل.

«نعم، إن ذلك سيوفر الوقت، أو يمكنك أن تختمي توقيعك الشخصي».

عدّلت أنا جلستها: «صورة طبق الأصل، رسالة موحدة؟ هذا ليس من أسلوب، وماذا سيحدث عندما يكتب أفراد العائلة الواحدة لي، أو الأطفال الذين يدرسون معاً في الفصل الدراسي، ثم يقارنون رسائلهم؟ أنا لا أستطيع أن أتذكر كل الأسماء وكل العناوين».

«يمكن لفهرس البطاقات الكترونية أن يحل المشكلة، وينبغي أن توظفي سكرتيرة في نهاية المطاف».

«سكرتيرة!» كررت أنا: «سكرتيرة! أهذا رأيك، يا آنسة كلينغ؟ وماذا، على سبيل المثال، ستكتب للحالات المحزنة؟ على فكرة، لقد خلطت رزمي الثلاث «أ» و«ب» و«ج».. والآن اختلط الحابل بالنابل.. كيف لسكرتيرة أن ترد على (عزيزتي آنسة إميلين، ماذا ينبغي عليّ مع والديّ؟) أو (لماذا تتم دعوة الجميع إلا أنا؟)، وما إلى ذلك من أمور مشابهة.. إنهم يسألونني أنا، وليس غيري، وطبعاً كل واحد منهم حزين بطريقته الخاصة، ويبدو لي أن لهم الحق في ذلك!».

«أنا لست متأكدة من ذلك»، قالت كاتري بصوت جاف: «يا آنسة إميلين، لقد قرأتها كلها بدقة، وأستطيع القول إنه يمكن إدراج الرزم الثلاث تحت عنوان واحد لا غير، فجميعها تريد شيئاً -العطف مثلاً- وتريده سريعاً قدر الإمكان لأنه أمر مستعجل، ويمكن اعتبار هذه الرسائل في حقيقة الأمر محاولات صغيرة على سبيل الابتزاز، لا، لا تقاطعيني، هذه الرسائل ركيكة وتجع بالأخطاء الإملائية، لذا فأنت تتأثرين بها وتشعرين بتأنيب الضمير، ولكنهم سيتعلمون ويصبحون أكثر كفاءة، وعندما يكبرون، سيكتب العديد منهم مثل تلك الرسائل التي ساعدتك بالتخلص منها».

«أعرف ذلك، نرميها خارجاً على الجليد».

«لا، هل نسيت الأمر، نلقيها في المخزن العلوي».

بعد لحظة من الصمت، أشارت آنا بعدوانية أنه لا يمكن خداع الأطفال، واسترخت في جلستها، وجعلت تصفر ببطء بين أسنانها. انتصبت كاتري وأشعلت النور: «أنت تعطفين عليهم لكونهم صغاراً» علقت قائلة: «لكن الشكل غير مهم، لقد تعلمت تدريجياً أن الجميع، الجميع بالحرف الواحد وبفض النظر عن أحجامهم، ينشدون شيئاً ما، الناس يجرون وراء مصالحهم، وهذا شيء طبيعي، بالطبع يصبحون أكثر مهارة مع تقدمهم بالعمر، ولا يعودون بلا أسلحة هكذا، ولكن الهدف لا يتغير، أطفالك ببساطة لم يتعلموا بعد كيف تسير الأمور، وهذا ما نسميه البراعة».

«وما الذي يسمى إليه ماتس؟» قالت آنا بحرارة: «هل لك أن تخبريني؟»، واستمرت بالحديث دون انتظار الرد: «هذا ليس ما

أردت الحديث عنه؛ موضوعي هو كيف أجيب عن سؤالهم: كيف كان للأرانب أن تغطى بالورود؟».

«أخبرهم أن هذا سر، أخبرهم أنهم ليسوا بحاجة لمعرفة ذلك».

«بالضبط»، قالت آنا: «أنتِ محقة، هذا أحسن ما قلته هذه الليلة، فهم ليسوا بحاجة لمعرفة ذلك، وأنا لا أريد معرفة ذلك أيضا، وجدنا الحل!».

كان لدى أنا وإميلين طلب شراء من بائع الكتب في البلدة لم يستوف بعد، ومن فترة لأخرى كان يرسل لها الكتب مع ليليبيري؛ قصص المغامرات، كتب عن البحار السبعة ومناطق لا يمكن النفاذ منها ورحلات استكشافية قام بها رجال فضوليون يتحلون بالشجاعة أيام كانت لا تزال هناك بقع بيضاء غير معروفة على خريطة العالم، أحيانا كان يرسل قصصا كلاسيكية وأحيانا أخرى قصصا للفتيان، لكن الموضوع العام الذي اختارته العانس إميلين لم يتغير قط، وشكلت تلك الكتب حلقة الوصل في الصداقة التي نشأت بين ماتس وأنا .

كانت الكتب تأتي ملفوفة بورق بني، والعنوان مخطوطا بالأصفر، لم تفتحها كاتري قط، وكانت تضعها على طاولة المطبخ، لا غير، كانت أنا وماتس يخرجان الكتب من لفافاتها في المساء . ماتس يختار أولا، وكان خياره دائما كتابا عن البحر، وبعد قراءته يذهب الكتاب إلى أنا، وفيما بعد كانا يتحدثان عنه . كان ذلك طقسا متبعًا، يقولان القليل عن نفسيهما أو عن الأشياء التي كانت تحدث حولهما، يتحدثان فقط عن الأشخاص التي كانت تعيش في كتبهما في عالم

من الفروسية الراسخة والعدالة المطلقة، لم يتحدث ماتس قط عن قاريه، ولكنه غالبا ما تحدث عن القوارب بشكل عام.

* * *

استطاعت أنا أن تتسى الرسائل غير الضرورية التي بدأت تدريجيا تتكوّم في جزء من المخزن العلوي، ولكن في إحدى الليالي لمعت تلك الرسائل في أحلامها، رأت في منامها أنها تحمل تلك الرسائل التي لم تقرأ خارجا إلى الجليد، بعيدا عن تلك الكومة المعتمة من الأشياء التي كانت عزيزة يوما ما وتم التخلص منها، وهي الآن ملقاة في كومة بلا رحمة، وتقوم بالتخلص منها هناك؛ تلك الطلبات من مراسلين مجهولي الهوية، أسرارهم، اقتراحاتهم الذكية، قامت بإلقائها هكذا، وتطايرت بعيدا في عاصفة من الرسائل، عاصفة بريدية لا نهاية ولا حدود لها، علت إلى السماء في عتاب عظيم مرة واحدة، فاستيقظت أنا من حلمها وقفزت من سريرها وقد غرقت في العرق وتأنيب الضمير.

خرجت إلى المطبخ، وهو المكان الأكثر أمانا في المنزل، ما زالت الكتب الجديدة جاثمة على الطاولة، تلمع بألوان المفامرات المغرية، فاحت منها رائحة زكية، رفعت أنا كتابا تلو الآخر إلى خدّها واستنشقت الرائحة اللحظية لكل كتاب جديد، وهي فريدة من نوعها، فتحت الصفحات المقصوفة بخفة، محدثة حفيفا عند لمسها لأول مرة، وتفحصت الصور الفاقعة والعاصفة، وهي صورة لغير المرجح كما تصوّره الفنان على كل حال، لم تعتقد أنا أن هذا الفنان بالذات قد جرّب قط المرور بعاصفة حقيقية أو جال تائها في إحدى الغابات، لذلك، خطر

ببالها أنه يجعل الأمر أكثر سوءا وضراوة لأنه لا يعرفه، أشك في أن جول فيرن قد قام بالترحال قط... أما أنا، فأرسم ما أرى، لست بحاجة لأتوق لأي شيء، قلبت أنا الصفحة تلو الأخرى وتفحصت كل صورة، ورويدا، بدأ قلقها يتلاشى.

كانت فاتورة بائع الكتب لا تزال على الطاولة، طوت أنا الفاتورة مرة تلو الأخرى، وأمسكت بالورقة في قبضتها وأخذت تفكر: هذه فاتورة لن يكون بمقدور كاتري رؤيتها أبدا، بطريقة ما من المؤكد أنها ستكتشف أن بائع الكتب يفشني أيضا.

* * *

بعد حادث الشبكة مع إيميل من جزيرة هوشولم، توقف ماتس عن القيام بأعمال غريبة في القرية، ولكنه استمر بالذهاب إلى ورشة ليليبيري لصناعة القوارب كالعادة، هناك لم يكن يتحدث أحد عن أي شيء سوى القوارب، إذا ما تحدثوا أصلا، عندما كانوا ينتهون من يومهم، كان ماتس يذهب إلى المنزل للتأمل في تصميماته لقاربه المنتظر، وقد كانت الجدران في غرفته زرقاء كبقية المنزل، ولكنها الآن قد بهتت لتصبح بلون غير واضح يشبه شريط جلد أزرق قديما أو نبتة جريس في معشب، لقد لطخت الرطوبة وبيضت الغرفة الضيقة بسقفها ذات الزوايا، واعتقد ماتس أن الجدران والسقف شابته سماء تتطاير فيه غيوم عاصفة.

شعر بسعادة غامرة، لم يكن هناك أي شيء غير ضروري في غرفته، كانت النافذة صغيرة تطل على الغابات، وكانت أشجار الراتينج الضخمة والقديمة تملأ المشهد مثل جدار معتم مرقط بالثلج، كان وكأنه وحيد في ورشة القوارب، كانت كاتري قد

وضعت أحد الأغطية التي حبكتها على السرير، الغطاء أزرق أيضا، لكنه فاتح الزرقة، مثل إشارة ضوء، وكالعادة، نام ماتس دون أن يرى أحلاما ولم يصح من نومه خلال الليل قط.

لم تكن كاتري ترى ماتس إلا قليلا، في أوقات الوجبات فقط في معظم الأحيان، كانت صلة القرابة الصامتة التي طالما جمعتهم قد فقدت بعدها الزماني والمكاني، أحيانا كانت كاتري تذهب إلى المطبخ لقضاء بعض الحاجات، وقد اعتاد ماتس وأنا أن يجلسا مقابل بعضهما على طاولة المطبخ وينهما في القراءة، فكانا دائما يتوقفان عن القراءة عندما تكون كاتري في الغرفة، ولم يعودا يسألانها فيما إذا كانت تريد كأسا من الشاي.

كانت أنا منزوعة جدا، لقد أمضت يوما كاملا تحاول وضع رسالة موحدة، رسالة مثالية يمكنها أن تجيب وتعلم وتواسي وتناسب كل طفل، ولكن كيفما حاولت، كانت الرسالة تزداد تكلفا. «انظري إلى هذه»، قالت: «انظري إليها فقط، يا آنسة كلينغ! هل ترين الآن أنني كنت محقة؟».

قرأت كاتري الرسالة وقالت إنها غير واضحة وتفشل في الإيحاء، بشكل لبق، وإن المراسلات المستقبلية غير مرغوب بها. «ولكن ألا تدركين أن الفكرة برمتها مستحيلة؟ فكل طفل بحاجة إلى رسالة شخصية».

«أدرك ذلك، عليك فقط أن تقومي بذلك بطريقتك الخاصة». ارتدت أنا نظارتها، ثم نزعتها من جديد ولعنتها لفترة طويلة، قالت: «لا أعرف ماذا جرى لي، فأنا لم أعد قادرة على كتابة الرسائل، اختفى ذلك الإحساس».

«ولكن ألم تقومي بكتابة الرسائل لسنوات طويلة؟ أعني، أنك كاتبة».

«هذا كل ما تعرفينه!» قالت أنا: «إن الناشر هو من كان يكتب النص، أنا أرسم الصور، الصور فقط! هل رأيته من قبل؟». «لا»، قالت كاتري، انتظرت ولكن أنا لم تقل شيئا: «يا آنسة

إميلين، لدي اقتراح، هل لك أن تعطيني بعض الرسائل وتدعيني أرد عليها؟ على سبيل التجربة؟»

«لا تستطيعين الكتابة»، قالت أنا على وجه السرعة، ثم هزت كتفيها وانتصبت من فوق الطاولة وغادرت الغرفة.

* * *

كانت كاتري تستطيع تقليد الأصوات واختيار الكلمات وأسلوب الكلام لشخص آخر بذات السهولة التي كانت تقلد فيها التواقيع الشخصية، تلك موهبة راسخة الجذور، كانت أحيانا تُسلي ماتس بتقليد أصوات الجيران، ولكن لم يرق له ذلك. «إن واقعيتها تفوق الخيال»، كان يعلق قائلاً. «كيف ذلك؟»

«إنني أرى كم هي بغيضة».

توقفت كاتري عن القيام بلعبة غابت عنها المتعة، ولكن بالنسبة إلى رسائل أنا، فقد وُضعت موهبتها في مكانها، بسهولة ومهارة، استطاعت إعادة صياغة تردد أنا ودماستها الركيكة التائهة في تفاصيل صغيرة لا حاجة لها، تحت الدماثة ما زال هناك ومضات من الأنانية، ولكن وقت التردد في عدم القدرة على قول «لا» قد ولى، لم يعد ثمة أنصاف وعود تفري يافعا ليصبح صديقا بالمراسلة، فقد ذيلت كاتري رسائلها لهم بكلمة وداعية صادقة لا يمكن أن تفوت إلا طفلا في غاية الغباء أو طفلا ينقصه الذكاء، قرأت أنا ما كتبت كاتري وأصابها الدهشة، كان صوتها مع أنه ليس صوتها، صورة مشوهة كانت تقترب رويدا رويدا مع كل رسالة تقرؤها إلى أن طرحت الرزمة بكاملها جانبا وجلست صامتة لفترة طويلة.

من الأشياء التي كانت تميز كاتري أن الصمت لم يكن قط مصدرا للارتياح بالنسبة لها، انتظرت، ليس إلا، وأخيرا، أخذت أنا الرسائل مرة أخرى وجعلت تبحث فيها، مركزة نظرها على كاتري، وقالت: «هذا ليس صحيحا! أنت لست أنا هنا! إذا كان طفل غاضب من والديه، ليس من المواساة القول إنه قد يكون للوالدين مشكلتهما الخاصة بهما، هذه مواساة غير مناسبة! من غير الممكن أن أكتب شيئا من هذا القبيل، فينبغي على الوالدين أن يتمتعوا بالقوة والكمال، وإلا فلن يؤمن بهما الطفل، إن عليك إصلاح الأمر».

اتصفت ردة فعل كاتري بالعنف فجأة: «ولكن إلى متى يستطيعون الاعتماد على شيء لا يمكن الاعتماد عليه؟ إلى متى نستطيع أن نخدع هؤلاء الأطفال للإيمان بشيء ينبغي ألا يؤمنوا به؟ عليهم أن يتعلموا مبكرا، وإلا فلن يتمكنوا أبدا من الاعتماد على أنفسهم».

«لقد اعتمدت على نفسي»، قالت أنا بمرارة: «وقد قمت بعمل جيد جدا، انظري إلى هذه: تقولين إن كل طفل، عاجلا أم آجلا، سيفضب من والديه وهو أمر طبيعي، هل تظنين أنه كان باستطاعتي كتابة ذلك؟».

«لا، كان ذلك خطأ منك، أنا لست أنت في ذلك المكان».

«كلا، ذلك ينقصه الكياسة، إذا شعر جميع الأطفال بالغضب، فذلك الطفل على وجه الخصوص لا يتمتع بالأهمية الكافية، إنه مثل بقية الأطفال، ليس إلا».

«حسنا، ربما، ولكنهم يتحركون في مجموعات»، قالت كاتري: «فهم يبذلون كل ما في وسعهم ليكونوا متشابهين، إنه ضرب من

المواساة لهم أن جميع الآخرين يتصرفون بالطريقة نفسها». ولكن لبعضهم صفاته الفردية!».

«هذا محتمل، ولكنهم بحاجة للاختباء في المجموعة أكثر فأكثر، هم يعرفون أنهم إن كانوا مختلفين، فسيطردون من المجموعة».

«وماذا عن هذا الطفل؟» استمرت أنا بالحديث: «أين القيل والقال؟ قد حاول أن يرسم أرنبا - من الواضح عدم تمتعه بالموهبة البتة - لذلك تستطيعين هنا أن تكتبي شيئا مثل (لقد علقت رسمتك فوق مكتبي).. وهذه التي تتعلم التزلج، واسم قطنتها توبسي، يمكنك أن تملئي الصفحة كاملة تقريبا عن التزلج والقطعة إن كنت تكتبين بنفس طويل، أنت لا تستخدمين المادة المتوفرة».

«يا آنسة إميلين»، قالت كاتري: «أنتِ في الحقيقة تهزئين هنا، كيف كان لك أن تخفي ذلك؟».

لم تكن تصفي لما قالت كاتري، وضعت يدها على رزمة الرسائل وقالت: «المزيد من العطف! المزيد من الكتابة! تحدثي عن قطتي، صفيها، تحدثي عنها...».

«ولكنك لا تملكين قطعة».

«هذا غير مهم، جوهر القضية أن نرسل لهم رسالة لطيفة.. عليك أن تتعلمي كيف تقومين بذلك، ولكنني أتساءل إن كنت تستطيعين ذلك، أكاد أظن أنك لا تحبينهم».

هزت كاتري كتفيها وابتسمت ابتسامتها الذئبية السريعة: «ولا أنت»، ردّت قائلة.

ارتفع احمرار أنا المزعج إلى خديها، ووضعت نهاية لتلك

المحادثة: «ما أعتقد به غير مهم، لكنهم بحاجة لأن يؤمنوا بي، أن يعرفوا أنني لا يمكن أن أخدعهم أبدا، والآن أنا أشعر بالتعب».

* * *

آوه، يا آنا إميلين، إن الشيء الوحيد الذي تكثرين به هو ضميرك الخاص، هذا ما تعتزين به، أنت كذابة فاققة يا عزيزتي، يكتب أحد الأطفال «أحبك، وأنا أوفر المال لآتي وأعيش معك ومع الأرناب»، وأنت تجيبين «يا للروعة، أهلا وسهلا بك»، مع أنها كذبة، فالوعود الناتجة عن تأنيب الضمير لا تسمن ولا تغني من جوع.. أنت لا تستطيعين الاختباء، في نهاية المطاف، لن يكون بمقدورك حتى تسهيل الأمر على نفسك بعدم جرأتك على قول «لا»، بإيهام نفسك أن كل شخص في المحصلة الأخيرة لطيف ويمكن إبقاؤه على مسافة من خلال الوعود أو المال.. أنت لا تعرفين شيئا عن لعبة الإنصاف! أنت خصم صعب، ينبغي إيصال الحقيقة عبر قل الحديد، ولكن لا أحد يمكنه دق المسامير في الفراش!

* * *

أدى الاستغناء عن كتابة رسائل للأطفال إلى حدوث فجوة غير متوقعة في يوم أنا الاعتيادي، والذي أصبح سهلا وخاويا ويصعب ملؤه، ولكنها استمرت بإضافة توقيعها الجميل وبرسم أرناب في نهاية كل رد تضعه كاتري أمامها. في أحد الأيام، عندما كانت آنا متعبة، ارتكبت كاتري هفوة، فقد وقعت الرسائل ورسمت الأرناب بنفسها، لقد تم تصويرها من الخلف، وهي جاثمة في العشب، مما جعل الأمر أكثر سهولة، ومع ذلك، فإن أرناب كاتري رُسمت بنجراً وعدم اكتراث، نظرت آنا إلى الصور

ولم تبس ببنت شفة، ولكن نظرتها وشت ببرودة تعادل برودة الثلج المتهاافت خارج المنزل، وتوقفت كاتري عن رسم الأرناب.

* * *

لقد اتصلت أنا بسيلفيا بضع مرات، ولكن لم يكن هناك رد.

ما زال الناس يأتون إلى كاتري من وقت لآخر طلباً للنصيحة في مشكلات مستعصية، ولكن ذلك كان نادر الحدوث، لم يحبذوا الذهاب إلى بيت الأرناب في أمور تخصهم، فهذا كان يجعل أمورهم الخاصة ظاهرة للعيان إلى حد ما، وبالطبع كانت كاتري من تفتح الباب عندما يرق الجرس، ولكن العانس إميلين كانت تهرع من خلفها مثل طائر مرعوب وتتنظر من فوق كتفها، متسائلة عما يكون الأمر، وفيما إذا كان عليها أن تصنع قهوة أو ربما شاياً، وكأن الأمور على رأسها. عندما كانوا يصعدون الدرج إلى غرفة كاتري، كان المشهد يبدو مخجلاً، مثل التسلل لطلب النصيحة من عرافة، وكانت تلك تقريبا هي الفترة التي بدأ الأطفال يصرخون بلقب «الساحرة» كلما مرت كاتري؛ لا أحد يعرف من أين جاءت تلك الفكرة، فالأطفال يشمون الأشياء الصغيرة في الهواء، كالكلاب الصغيرة، كانوا يلودون بالصمت عندما تمر كاتري، ومن ثم، وبصوت واحد ونبرة موحدة، يبدؤون ترنيمتهم.

في هذه المرة دخلت إلى المتجر، انتظر الكلب خارجاً والتزم الأطفال بالهدوء.

سأل صاحب المتجر عن الأوضاع في بيت الأرناب.

«بخير، شكرا»، ردت كاتري.
 «إذن الأنسة إميلين بخير؟ هل كتبت تلك المعجوز وصيتها؟»
 كانا وحدهما في المتجر، كانت كاتري تبحث على الرفوف،
 وسألت إن كان عنده خبز مصطلى، من النوع الطري.
 «لا، هل فقدت أسنانها؟ أو أعصابها؟»
 قالت كاتري: «احترس، إنني أحذرك».
 ولكنه لم يتوقف: «إن الآخرين هم من يملكون الأسنان في
 هذه الأيام»، قذفها تجاهها مباشرة، «أليس كذلك؟»
 استدارت كاتري سريعا، وكانت عيناها مفتوحتين ومصفرتين جدا:
 «كن حذرا» قالت: «إن الكلب ينفذ كل ما أمره به، وله أسنان كما ترى».
 دفعت ثمن الأغراض، واتجهت إلى المنزل برفقة كلبها، من
 خلفها استمر الأطفال بغناء تلك الترنيمة البغيضة. نزل ماتس
 ماشيا عبر شارع القرية، وتوقف فجأة عندما سمع الأطفال
 يترنمون: «الساحرة، الساحرة»، فابيض وجهه.
 «دعك منهم»، قال ماتس: «لن يؤذوك».

ولكن شقيقها سار ببطء تجاه الأطفال ويداه تتدليان إلى
 أسفل، ولكنهما مفتوحتان وكأنهما مستعدتان للإمساك بالأطفال،
 فهرب أولئك بصمت.

«دعك منهم»، قالت كاتري مرة أخرى: «أنت تعرف أنه ينبغي
 ألا تفقد أعصابك، لا حاجة لذلك، أنا لا أدع أي شيء يزعجني».

* * *

في ذلك المساء جاء ليليبيري إلى بيت الأرناب، وأراد أن
 يتحدث مع كاتري عن خلاف له مع صاحب المتجر، فذهبا إلى
 غرفتها في الطابق العلوي.

«إن الأمر يتعلق بالشاحنة»، قال ليليبيري: «فهو يدفع تكلفة الوقود، ويمنحني خصما على ما أشتريه من المتجر، ولكنني أريد زيادة الأجر، سألت السائقين في البلدة وعلمت أنهم يحصلون على أجر أعلى، لكنه يخبرني بأنه سيستخدم شخصا آخر لقيادة الشاحنة إذا ما أصرت على زيادة الأجر».

«هل ثمة أشخاص آخرون في القرية يمكن أن يقوموا بهذا العمل؟».

«نعم، ثمة شخص أو شخصان، وهما مستعدان لتقاضي أجر أقل لأنهما يظنان أنه عمل ممتع».

«كم قيمة الخصم الذي تأخذه؟ وكم أجرك؟».

أخرج ليليبيري ورقة وأعطاهما لها: «هذا ما أحصل عليه، وهذا ما أطالب به، ولكنه لن يتنازل».

قالت كاتري: «ثمة شيء قد لا تعرفه، إنه لا يدفع تكلفة البنزين، الحكومة هي من تقوم بذلك لقاء سحب حاويات الوقود من رصيف السمك إلى المنارة، لكنها لا تعرف أن الرحلة تستغرق دقيقتين فقط، وهي لا تعرف أنه يحصل مخصصات أخرى من مكتب البريد رغم أنه يسحب بضائعه في شاحنة البريد، لقد زودهم بمعلومات خاطئة، ويمكنهم تجريبه من رخصه إذا ما أرادوا ذلك».

لم ينبس ليليبيري ببنت شفة لفترة ليست بالقصيرة، ثم سأل بحذر كيف يمكن لكاتري أن تكون متأكدة إلى هذا الحد؟ «لقد كنت أقوم بالحسابات في المتجر لفترة طويلة إلى حد ما».

«يا للعجب»، قال ليليبيري ولاذ بالصمت مرة أخرى.

«علق أخيراً أن ذلك سيكون من قبيل الابتزاز تقريباً، قد يكون صاحب المتجر مخادعاً، ولكن لا يمكن للمرء أن يذهب إلى السلطات وأشياء؛ إنه أمر غير وارد.

«افعل ما شئت، دعه يعرف أنك تعرف ما يجري وحسب، سيرفع راتبك».

«حسناً، إن كان هذا رأيك، ولكنه ليس بشيء، أحبذ فعله، شكراً لك على كل حال».

عندما غادر ليليبيري، استمرت كاتري في الحبك، لفّ السكون التام المنزل، كانت كاتري تحبك بسرعة دون النظر إلى العمل الذي يشغل يديها، كان الحبك وسيلة لإراحة أفكارها، ولكن الأفكار جاءت على كل حال، الواحدة تلو الأخرى، إلى أن انحنت فجأة تحت وطأة فكرة عنيدة أثارت فيها الرعب، فقد احتاجت أن تتحدث مع ليليبيري الآن، وعلى الفور، هرعت إلى الردهة وارتدت معطفها، وأشارت للكلب بأن يتبعها، كان الظلام قد غشي المكان، لقد نسيت المصباح وهي في عجلة من أمرها، ولكنها لم تشأ أن تعود لتحضره.

كان الطريق المختصر إلى منزل الإخوة ليليزغ غير مطروق، ومرة تلو الأخرى كانت تصطدم بالأشجار، وتتوقف لبرهة، ومن ثم تشق طريقها ويدها ممدودتان أمامها، بدأت تشم رائحة مزرعة الأرانب التي يملكونها قبل أن ترى نافذة المنزل عبر الأشجار، عكس ذلك المربع المضاء ضوءاً خافتاً على الثلج، ربما كانوا يتناولون العشاء، كان بإمكانها الانتظار حتى الصباح؛ لم تتصرف حسب الأصول، ولكنها هنا الآن، ولا بأس في ذلك،

تركت كاتري حذاءها على الشرفة، فتح إدوارد ليليبيري الباب، وكان إخوته يتناولون وجبتهم المسائية.

«ثمة شيء أردت أن أقوله»، قالت كاتري: «لن يأخذ الأمر طويلا، سأنتظر».

«لا حاجة للانتظار»، قال ليليبزغ: «لن تتأثر وجبتي، لنذهب إلى الردهة الصغيرة».

كانت الردهة شديدة البرودة، وكان الإخوة ينامون جميعهم في الغرفة الكبيرة، لم ترد أن تجلس: «لقد كنت مخطئة»، أوضحت بسرعة وقسوة: «إن راتبك طبيعي، والخصم الذي تحصل عليه على الطعام يعتبر عاليا تقريبا، لربما غش بعض الناس هنا وهناك، ولكنه لم يغشك، لذا، أراجع عما قلته لك، لم أكن منصفة».

شعر إدوارد ليليبيري بالحر، عرض عليها فتجانا من القهوة، لكنها ردت بالنفي، وقبل أن تغادر، قالت: «تذكر شيئا واحدا فقط: إن استمرارك بقبول شيء ما لا يعني الاستسلام له، تابع مراقبته، ومهما كانت النتيجة، فأنت ما زلت الرابع، لأنك تحب قيادة الشاحنة، وهو لا يعرف ذلك».

ضايقت رائحة الأرانب القوية كاتري وهي خارجة إلى الساحة، لقد قامت بما يتوجب القيام به، ربما لن يثق بها ليليبيري من الآن فصاعدا، وهذا شيء سيئ للغاية، فأولئك الإخوة هم من ستوكل لهم صناعة قارب شقيقها، وسيكون عليها طلب ذلك قريبا إذا ما أريد له أن يكون جاهزا بحلول الصيف، ليس ثمة أحد يستطيع أن يقنع ليليبيري بمال لم يتبلور بعد، أو بوعده امرأة وضعت ثقتها على المحك بفقدانها الطريق الصالح الذي خطته بشق الأنفس.

دخل الشتاء مرحلة جديدة، كان الشاطئ ساكنا، وقد حفرت الرياح بقعا بلورية بين قطاعات الثلج الممتدة على الجليد في الخارج، كان هناك الكثير من الصيد عبر الجليد، وكانت تظهر العربة الثلجية لإيميل من جزيرة هوشلوم بين حين وآخر وهي متوجهة إلى الحفر الجليدية البعيدة، وزوجته على مزلاج من خلفه. تقلصت الأجراف الثلجية وأصبحت هشة، ولكن الجليد ما زال قويا، حتى في الخليج وحول الرؤوس البحرية، ويوما بعد يوم، بدأ الجو يعتدل.

وفي صباح أحد الأيام، نزلت أنا إلى رصيف السمك ونظرت عبر الجليد علّها ترى كوم الأثاث الضخم الذي كانت كاتري قد رمته ليبتلعه الجليد، ولكن الضوء القادم من السماء أعشى بصرها ولم تر شيئا، أتى صوت الدقّ من ورشة القوارب؛ رجلان يدقان في إيقاع منتظم كان يتوقف متزامنا ثم يبدأ من جديد. جلست أنا على صندوق وأغمضت عينيها تحت أشعة الشمس.

«يوم جميل»، قالت كاتري من خلفها: «لقد نسيت نظارتك الشمسية».

شكرتها أنا وحشت النظارة في جيبها.

«وقد وصل البريد، رسالة أخرى من شركة المواد البلاستيكية». تصلب ظهر أنا وأغمضت عينيها بإحكام أكثر، وأخيرا ذكرت أن الشمس بدأت تتعم بالدفء، وجعلت تصفر بنعومة لنفسها. وقفت كاتري في مكانها لبرهة قبل أن تعود إلى بيت الأرانب.

* * *

استطاعت أنا أن تتسنى شركة المواد البلاستيكية مع أشياء أخرى كثيرة، وقد ألقت ما كانت تدعوه الظروف البنية المطبوعة التي لم تزيّن بالورود قط ظلالة على حياتها لسنوات كثيرة زادت عن حدّها، وفي أغلب الأوقات، كانت أنا تكتفي بشكرهم على اهتمامهم وعلى استخدامهم الرائع لصور أرانبها، وتعبّر لهم عن قبولها لشروطهم معتمّة، ولكن أحيانا كان لهم طلبات صعبة التحقيق تستلزم البحث عن معلومات؛ حقائق لم تستطع أنا إيجادها في ذاكرتها أو في أدراج خزانيتها، ومن ثم يدفعها بأسها الجبان إلى أن تضع تلك الرسائل الصعبة في الدرج لدراستها في المستقبل فتمكن بذلك من نسيانها نوعا ما.

وطبعا كان على شركة المواد البلاستيكية اتباع الأسلوب نفسه، لقد كانوا قد كتبوا قبل أسابيع عدة يطلبون نسخا من كل العقود التي تم توقيعها فيما يخص الأرانب، كانت أنا في طريقها إلى الخزانة حين همّت كاتري بطرق السجّاد خارجا في الساحة. توقفت أنا والرسالة في يدها، ثم عادت أدراجها وقرأت الرسالة مرات عدة، ولكنها لم تتمكن من إيجاد أي شيء قد تكون أساءت فهمه، وفي النهاية، فتحت عشوائيا أدراجا عدة في خزانيتها وكان كل واحد منها يعجّ بالرسائل

والأوراق غير المفهومة، فبدأ من الطبيعي جدا إغلاقها من جديد والتخفي خلف كتاب ما .

ولكن في الصباح التالي، سيطرت عليها صحوة ضمير جديدة، واشتعلت أحرف عبارة «بأقصى سرعة» من خلال أظرف رسائل شركة المواد البلاستيكية، وعلى عجل كي لا تعطي مجالا لتغيير رأيها، أفرغت أنا أدراجا عدة على سريرها، وبدأت تبحث بدقة عبر الرسائل، وأدركت سريعا أن عليها أن تصنفها في رزم مختلفة. لم يتسع السرير لكل هذا، إذ بدأت الرسائل تتساقط على الأرضية ويختلط الحابل بالنابل، كان عليها الاستمرار بالفرز على السجادة، وقد كان من الاستحالة أن تتذكر كيفية التمييز بينها، لذا كانت تضع الرسائل في غير مكانها الصحيح باستمرار، وبدأ الألم يغزو ظهرها، ومع اقتراب وقت الظهيرة، ذهبت تشد كاتري.

«انظري إلى هذه الفوضى التي سببها لي»، قالت: «يريدون أن يطلعوا على كل عقودي كيف لي أن أعرف أين هي الآن؟ بالإضافة إلى ذلك، فإن الرسائل التي تعود لوالدي ووالدي اختلطت برسائلي الآن، وكذلك كل كروت عيد الميلاد وكل فاتورة منذ القرن التاسع عشر!».

«هل ثمة المزيد من هذه؟».

«إن الخزانة كلها ممتلئة بها، والأشياء التي اعتقدت أنني لن أحتاج إليها موجودة في الجزء العلوي، أو ربما في الوسط...».

«وهل هم في عجلة من أمرهم؟».

«نعم».

«عليهم الانتظار»، قالت كاتري: «سيستغرق هذا بعض الوقت، ولكنني أجد ترتيب الأشياء».

حمل ماتس الأشياء كلها إلى غرفة كاتري، فقد غدت الخزانة خاوية، كان الأمر بمثابة هزيمة كبرى لآنا، ولكن الارتياح الذي شعرت به كان أعظم من ذلك.

* * *

بخفة ودهشة متزايدة، بدأت كاتري ترتب الأمور عبر طوفان من الفوضى يمكن أن يأتي به شخص يعوزه الانتباه والخبرة إذا ما أعطي وقتا كافيا، قرأت كاتري من هنا وهناك وبدأت تتوقع الأسوأ، ولكن عليها أن تجد العقود فقط الآن، وعندما وجدتها، رأت أنه لا يمكن أن تريها لأحد، فلا يمكن إقناع أي شخص عاقل بعرض شروط أفضل لآنا، إن تبين لديه كيف أنها كانت ضحية للفش بشكل سافر، وقد شرحت كاتري هذا الأمر لآنا. «ولكنهم ينتظرون الآن»، ردت آنا معترضة، لقد كانت في غاية القلق.

«عليهم أن ينتظروا، سنكتب ونخبرهم أننا نتوقع عرضهم بأسرع ما يمكن».

«ولكن ماذا نقول لهم عن العقود؟ قد نقول إننا فقدناها؟».

«العقود لا تفقد، لم ينبغي أن نكذب؟ لن نقول شيئا عنها».

* * *

عندئذ بدأت الملفات البنية تأتي إلى المنزل، لقد طلبتها كاتري من البلدة، توقفت عن القيام بالحبك، ومساء بعد مساء وبدقة متناهية كانت تتفحص رسائل العمل التي تلقتها آنا، كانت غير مؤرخة، وكانت الصفحات التي لم ترقم قط موجودة في أدراج مختلفة، بصبر وشيء يشبه غريزة كلب صيد، تمكنت كاتري من فهم معظمها، فعبّر مسيرة حياتها، كان لديها حاجة ماسة

للووضوح ولوضع كل شيء في مكانه، وقد منحها التعامل مع رسائل أنا إميلين شعورا بتحقيق ذلك بهدوء، فمع مرور الوقت، أصبح لدى كاتري صورة واضحة إلى حد ما عما كان يحدث خلال فترة طويلة جدا، وبدأت تجري حساباتها، قامت بجمع المبالغ التي فقدتها أنا إميلين بسداجة جنائية تقريبا أو ببساطة من خلال عدم الاكتراث والكسل، يمكن أن يعزى بعضها إلى عدم القدرة على الرفض أو إلى نوع من الضمير الاجتماعي، ولكن كان ذلك أقل مما تتوقعه، وفي معظم تلك الحالات، لم تمر أنا الأمر بالاهتمام وحسب. دوّنت كاتري المبالغ المفقودة في دفتر أسود.

«كيف تجري الأمور؟» سألت أنا وهي واقفة في الباب: «يا عزيزتي آنسة كاتري، أظن أنني كنت غير مبالية بعض الشيء...». «نعم، لسوء الحظ، لقد عقدت اتفاقات طائشة جدا، وليس ثمة الكثير مما يمكن إنقاذه»، وبينما استمرت كاتري بالحديث عن النسب المئوية والحدود الأدنى المكفولة، وقفت أنا بصمت كئيب أمام صف الملفات البنية الذي حمل كل واحد منها ملصقا مريما مكتوبا بخطها الجميل يبين محتويات الملف. لم تكن مصغية، فقد جعلتها الملفات تشمر بالكآبة، كان الأمر كأن كل ما قامت أو ما لم تقوم به قد تم تصنيفه فجأة وعرضه بترتيب فوضوي أمام الجميع للنظر به والخط من قدره.

فجأة قاطعتها كاتري وقالت: «توقفي عن الصفير». «هل كنت أصفّر؟».

«بلى، يا آنسة أنا، فأنت تصفّرين كل الوقت، أرجوك ألا تفعلني ذلك، على كل حال، كما قلت، بما أن لديك هذه الملفات الآن،

سيكون الأمر أكثر سهولة، فيمكنك أن تجدي ما تريدينه مباشرة والحصول على صورة واضحة عن الموقف».

وجَّهت أنا نظرة طويلة لكاتري وقالت: «الموقف...».

«موقف عملك التجاري»، قالت كاتري بتأن ولطف: «اتفاقاتك، ما قلته وما قاله الطرف الآخر، فعلى سبيل المثال، أنت بحاجة لمعرفة النسبة التي حصلت عليها في المرة الأخيرة إذا أردت أن تطلبي زيادتها، أليس كذلك؟».

«ما تلك الأشياء التي تبقينها على الأرضية؟»، سألت أنا فجأة.

«إنني أحبكها معاً على شكل غطاء، أحاول أن أنسق الألوان مع بعضها».

«أوه، هكذا إذن، تتسقين الألوان مع بعضها»، أخذت أنا أحد المربعات المحبوكَة عن الأرضية وتفحصته ملياً، استدارت وقالت بفضاضة: «إنه لأمر رائع أن تقوم كاتري بترتيب مراسلاتها، إذ إن بإمكانهما الآن أن يجدا أي شيء، هب أنهما يريدان ذلك، وهو أمر أملت ألا يكون ضرورياً، فإذا ما أخذنا كل شيء بعين الاعتبار، فهذا أمر طواه الزمن».

«هذا صحيح»، قالت كاتري بصرامة: «طواه الزمن، ولكن ما طواه الزمن سيعيده الزمن كذلك إذا لم يتم استدراكه»، توقفت لبرهة، ثم سألت: «يا أنا، هل تثقين بي؟».

«ليس تماماً»، قالت أنا بعدوبة.

بدأت كاتري بالضحك.

«هل تعرفين، يا كاتري؟» قالت أنا، وقد استدارت: «نوعاً ما، فإنني أستهويك أكثر عندما تضحكين مقارنةً عندما تبترسمين،

هذا الغطاء قطعة رائعة، ولكن اللون الأخضر ليس في مكانه المناسب، الأخضر لون صعب للغاية، والآن أظن أن القيام بنزهة في محلها، لم لا تأتين بالكلب تيدي وتمتعينه بشيء من الهواء الطلق؟».

تجهّم وجه كاتري مرة أخرى: «كلا»، ردت كاتري: «أنت لا تصلحين لذلك الكلب، فهو لا يذهب إلا بصحبتي أو بصحبة ماتس».

هزّت آنا كتفيها وعلّقت، بازدراء مفاجئ، أن اهتمام كاتري بالمال بدا مبالغاً فيه إلى حد ما، ففي أوساط عائلتها، لم يكن المال موضوعاً مناسباً للنقاش.

«حقاً؟» قالت كاتري، خرجت الكلمة من فمها كصفعة: «لا تقولي ذلك! موضوع غير مناسب؟» غدت شاحبة، وتقدمت خطوة ينقصها الثقة نحو آنا.

«ما الأمر؟» قالت آنا، متراجعة إلى الوراء: «هل أنت على ما يرام؟».

«لا، لست على ما يرام، أنا أشعر بالغثيان حقاً عندما أرى كيف أنك ترمين المال هكذا دون سبب على الإطلاق، فما ترمينه وتحترقينه بشكل كامل هو ببساطة إمكانيات مستقبلية، ألا تفهمين ذلك؟ إمكانية أن تشعرى بدرجة عالية من الأمان بحيث لا تفكرين بالمال، إمكانية أن تعطي بسخاء، إمكانية أن تقدمي أفكاراً جديدة لا يمكن أن تنمو دون المال. في غياب المال، يضيق تفكير المرء، يصيبه الذبول! أنت لا تملكين الحق بالسماح لهم بخداعك بهذه الطريقة...» كانت كاتري تتحدث بصوت هادئ للغاية؛ صوت جديد مرعب، وقد توقفت الآن، طال الصمت وغدا مقلقا.

«أنا لا أفهم ذلك»، قالت أنا.

«كلا، أنت لا تفهمينه».

«تبدین شاحبة جدا، هل ثمة ما أستطيع فعله...؟».

«نعم، ثمة شيء تستطيعين فعله»، قالت كاتري: «يمكنك

أن توکلي إلي إدارة أعمالك، أنا أعرف كيف أديرها، وأكد لك

ذلك، باستطاعتي أن أضاعف دخلك»، عندما ساد الصمت

مرة أخرى، أضافت قائلة: «أنا أسفة، لقد تجاوزت حدود

الکلام».

«فعلا»، قالت أنا: «ولكن يبدو أنك تشعرين بالتحسن».

كانت تتحدث بصوت والدتها، ذلك الصوت الخیر والمتفطرس

الذي مضى منذ زمن بعيد: «يا عزيزتي كاتري، يمكنك القيام

بما تريدین، ولكن ينبغي ألا تساورك فكرة أنه ينقصني الأمان

أو الكرم، أما عن أفكاری، فأؤكد لك أنها مستقلة عن دخلي».

وجهت أنا إيماءة صغيرة لكاتري، مجرد انثناء بسيط في

الرقبة، وغادرت الغرفة، شعرت بالتمب فجأة خلال صعودها

الدرج، وكان عليها التوقف للحظة، ثم مرّت تلك الحالة.

«أي تهور هذا؟» همست أنا بازدياء: «تهور؟ من كاتري التي

تظن أنها لا تتحدث بتهور أبدا؟ وماذا كانت تعني؟ ما الخطأ

الذي ارتكبته؟».

في الطابق السفلي كان الكلب يحملق فيها بعينيه الصفراوين،

ذلك الكلب المتعالي والخطير الذي ليس لها أن تلمسه أو تطعمه،

ولأول مرة، ذهب أنا مباشرة إلى ذلك الحيوان الضخم وربّنت

على رأسه، ربّنت بقوة يمكن وصفها بأي شيء خلا كونها ودية.

* * *

«السادة المحترمون، يؤسفنا أن الفرصة لم تواتر الأنسة إميلين للرد على رسالتكم حول...»، نظرت كاتري إلى الرسالة، كان قد مضى عليها سنتان، ولكن ربما لم يفت الأوان بعد، كان العرض مغريا، ألقت كاتري القلم وحدّقت دون هدف عبر النافذة، كان بجانبها على الطاولة مرشد للمراسلات التجارية ومعجم للغة الإنجليزية. كانت الرسائل الإنجليزية صعبة، ولكنها استطاعت التعامل معها، مطبقة أسنانها، شرعت أنا بكتابة رسائلها الواضحة جدا، رغم تعثرها، إلى أولئك الذين رأوا في الأراب الوردية مصدرا للريح، لأسبابهم المختلفة.

وقد أضاف الأسلوب البسيط المحتوم لتلك الرسائل مسحة غائبة تقترب من الصرامة، وكلما نجحت كاتري في زيادة الرسوم أو استبدال حقوق المؤلف بدفعة مالية مرة واحدة، كانت تدوّن نجاحها في الدفتر الأسود، وكانت تدوّن أيضا المبالغ التي تم توفيرها من خلال رفض جميع أنواع طلبات المؤسسات الخيرية وجمعيات الهواة ومناشدات المساعدة العامة من قبل أفراد غير عمليين لكنهم يتصفون بالعند، كان يتم تدوين كل شيء في الدفتر، ويتم تسجيل كل سنت بإخلاص، وكانت كاتري تقول لنفسها إن ذلك مال تم كسبه لماتس من خلال مثابرتها وعدم التجاوز في الطلبات بشكل متهور قط، واتصفت الردود التي جاءت لرسائلها بالبرودة، ولكن بالاحترام، ونادرا ما كان عليها تعديل طلباتها، ولم يكن الطرفان يذيلان الرسائل بجملته حول الطقس على سبيل المجاملة.

ألصقت كاتري على غلاف الدفتر الأسود ملصقا يحمل عبارة «لماتس»، وهذه اللعبة الخطرة في التحدي والاسترجاع أصبحت

لعبة نفعية في المجازفة هيمنت على أفكارها باستمرار، غدت كاتري في قبضة الحمى الغريبة لهاوي جمع الأشياء، فكلما دوّنت مبلغا مسترجعا في دفترها، كان يأتيها شعور هاوي جمع الأشياء بالرضى العميق عن أنه أضحى أخيرا يملك قطعة نادرة وقيمة، بدقة متناهية. حسبت كاتري ما ينبغي أن تملكه أنا وما يمكن أن يملكه ماتس، في قدر أنا وضعت كاتري كل ما كانت أنا نفسها ستقبله، أما في ما استطاعت كاتري أن تسترجعه أو ترممه، فقد حصلت أنا على الثلاثين، ولكن عندما كان الأمر يتعلق بأولئك الذين يريدون شيئا دون عرض أي شيء في المقابل، كان الريح كله يذهب إلى ماتس، برزت حالات غير واضحة حيث إن ليونة أنا كان من الممكن أن تعني مبيعات إضافية، وقد وزّعها كاتري بالتساوي.

* * *

«تمت تسوية الأمور مع شركة المواد البلاستيكية»، قالت كاتري: «جرت الأمور أفضل مما كنت أتوقع، ولن يتعارض خيارهم مع خيار شركة المطاط المتحدة». «حقا»، قالت أنا.

«ثمة رسالة أخرى من الناشر الذي يخصك». قرأت أنا الرسالة وعلّقت بأنها ليست بدرجة الودية المعتادة. «طبعًا لا، فهم يعرفون أنهم لا يستطيعون خداعك من الآن فصاعدا، نريد في المرة القادمة جزءا من الأرباح بدل الرسوم المحددة، أمل ألا تكوني قد أعطيتهم خيارا بالنسبة للكتب المستقبلية». «ربما، لا أتذكر بالضبط...».

«لا يوجد أي شيء عن ذلك في أوراقك، وعلى أي حال، ينبغي أن تفكري بتغيير الناشرين إذا لم يوافقوا على شروط أفضل». عدلت أنا جلستها، وقبل أن تستطيع التلطف بأي شيء، استمرت كاتري بالحديث: «لدينا هنا مسرح للهواة يريد استخدام الأرانب الوردية، وسيرسمون الورود بأنفسهم، ليس لديهم المال، ولكنهم سيحصلون عليه مقابل التذاكر، لقد اقترحت جزءا بسيطا من الأرباح».

«لا»، قالت أنا بشكل قاطع: «لا شيء البتة».

«لقد وافقوا على اثنين بالمئة، لا نستطيع تغيير موقفنا، وهنا لدينا شركة أقمشة عرضت ثلاثة بالمئة، ولكنني رفعتها إلى خمسة، قد ننهي إلى ثلاثة ونصف بالمئة أو أربعة كحد أعلى، لا، لا تقولي ما بيالك، فهم يفقدون احترامهم لنا إن لم نحاول بهذه الطريقة، وهنا لدينا شركة المطاط المتحدة مرة أخرى، يريدون تخفيض نسبة الأرباح كي يستطيعوا وضع مكبرات للصوت داخل الأرانب، سيكون ذلك مكلفا ولكن سيرفعون الثمن، ما الذي يمكن أن نقبله؟».

«ماذا يقولون؟».

«ثلاثة بالمئة».

«لا، أعني الأرانب».

«الرسالة لا تبين ذلك».

«الأرانب لا تصدر أصواتا، لكنها تضغب إن تمت إخافتها، أو عندما تموت».

«أرجوك يا أنا، هذا عمل علينا الانتهاء منه، إنه عمل».

«بلى وكلا»، انفجرت أنا قائلة: «لا أريد أرنباً ضاعباً! إنه أمر

مضحك».

«ولكن ليس عليك أن تريه أبدا، فهو سيضغّب في مكان ما وسط أوروبا، ولا أحد هناك يعرفك ولا تعرفينهم أنتِ».

«ماذا يريدون أن يعطونا؟».

«ثلاثة بالمئة».

«اثنين!» صاحت أنا وانتكأت على الطاولة، وقد أتشعت رقبتها باللون الأحمر الفاقع، «اثنين بالمئة! واحد لي وواحد لك».

لاذت كاتري بالصمت، وعندما طال صمتها، أدركت أنا أنها تفوهت بشيء مهم، كرّرت ما قالت: «واحد لي وواحد لك، سنتقاسم ذلك، سنتقاسم وسط أوروبا»، بدا الأمر محفّوفا بالمخاطر، قالت ذلك مرة أخرى، أخذت كاتري نفسا عميقا وقالت، بشيء من الجفوة، إن ذلك شيء مستحيل، ولكن إن لم يكن لأننا أي اعتراض، فمن الممكن تخصيص نصف الأرباح الآتية من شركة المطاط المتحدة لماتس.

«افعلي ذلك»، قالت أنا: «هذا أمر جيد، ولا أريد أن أسمع أي كلمة أخرى عن شركة المطاط المتحدة أبدا».

فتحت كاتري دفترها الأسود ودوّنت بيدها الجارفة: «1% لماتس».

«هل ثمة أي شيء مهم آخر؟».

«لا، يا أنا»، قالت كاتري: «لقد قمنا بأهم الأشياء».

عند الشفق، ومع انتهاء العمل في ورشة القوارب لذلك اليوم، ذهبت كاتري إلى أرصفة السمك، كانت الرياح تهب بقوة مرة أخرى، كان الإخوة ليليبيري يسرون إلى المنزل حين قابلتهم كاتري في الطريق، توقفت أمام إدوارد ليليبيري، استمر الآخرون بالمسير.

«الرياح قوية جداً»، قالت كاتري: «هل لنا أن نحتمي منها لبرهة؟».

«لا أدري»، ردّ ليليبيري: «ما الأمر؟» تذكر محادثتهما الأخيرة بدرجة عالية من الوضوح، وكان حذرا منها إلى حدّ ما.

«يتعلق الأمر بشراء قارب، أريد أن أطلب قاربا معينا». استمر ليليبيري في النظر إليها، لذلك صرخت كاتري عبر الرياح العاصفة: «قاربا! أريدك أن تصنع قاربا لماتس!».

لم يجب ولكنه عاد إلى الورشة وفتح الباب، لم تدخل كاتري الورشة من قبل، كانت الرياح تسبب ضجيجا في السطح المعدني، ولكن الغرفة الواسعة كانت هادئة ومطمئنة للغاية، بدا هيكل لقارب تحت الإنشاء مرئيا في ظل الضوء الضعيف، وخيال قفصه الضخم ظاهر على الجدار البعيد

لنوافذ، وتدلّت من السقف مجموعات من الألواح العريضة التي ستغطي الخشب قريبا، ونفحت من المكان رائحة النشر والقار وزيت الترينتين. فهمت كاتري لماذا أراد شقيقها العودة باستمرار إلى هذا العالم المحميّ حيث كان كل شيء مرتبا ونظيفا. استدارت تجاه ليليبيري وسألته إن كان لديه الوقت لصناعة قارب كبير بمقصورة.

«كم حجمه؟»

«تسعة أمتار ونصف، بأعلى المواصفات».

«قد يكون لدينا الوقت الكافي لذلك، لكن قد يكون ذلك القارب مكلفا جدا، ماذا عن المحرك؟».

«محرك بأربع إسطوانات يعمل بالبرافين»، أجابت كاتري: «بقوة أربعين أو خمسين حصانا حسب مواصفات فولفو بنتا، لقد عمل ماتس تصاميم القارب، أعتقد أنها جيدة، على الرغم من أنني لا أعرف شيئا عن القوارب».

«يبدو أنك تعرفين شيئا لا يستهان به»، قال ليليبيري. «لقد أطلعت على ملاحظاته».

«حسنا، حسنا، أجل، لا بد له الآن أن يعرف بعض المعلومات عن ذلك، ربما يمكنني النظر إلى تلك الرسومات».

«ثمة مشكلة بسيطة فقط»، قالت كاتري: «لا أريد أن يعرف ماتس عن الأمر حتى أتأكد من ذلك».

«تعنين التأكد من القدرة على دفع التكلفة».

أومأت كاتري بالإيجاب.

«وهل تستطيعين ذلك؟».

«نعم، ولكن ليس الآن، لاحقا في فصل الربيع».

«ينبغي أن أقول»، قال ليليبيري: «أخذين كل شيء بعين الاعتبار، إنه لطلب غريب جدا، ماذا سأخبر الآخرين؟ لا بد من وجود مشتر، هل هي الأنسة إيميلين؟».

«لا، لا، ليست هي».

«وأنت لا تريدان أي دور مكشوف في ذلك؟».

«لا، ليس بعد».

«أصفي إلي»، قال ليليبيري وهو ينظر إلى عينيها مباشرة: «ما الذي تريدني أن أقوم به؟ هل يفترض أن أسرد القصص نيابة عنك لأنك تعجزين عن فعل ذلك بنفسك؟».

لم تجب كاتري، توجهت إلى الجدار حيث تتدلى الأدوات لأمعة، كل منها على رفّه المحدد، بترتيب يصل إلى الكمال، بتردد، لمست الأداة تلو الأخرى، خطر ببال ليليبيري أنها تبدو تماما كشقيقتها، فهما يأخذان الأشياء بأيديهما بالطريقة نفسها. لا يمكنني تجاهل مثل هذا العرض، بوجود مثل هذا الطلب المشكوك به في الورشة، سيطاردها الجميع، تلك الساحرة الصغيرة، وإذا لم تتمكن من دفع الثمن، فأنا متأكد أنني أستطيع بيعه لشخص آخر. قال، بفضاضة ملحوظة: «هيا بنا، سأرى ما أستطيع فعله».

* * *

لاحقا في ذلك المساء، جاء ليليبيري إلى بيت الأرناب وسأل عن ماتس، كان قد سمع شيئا عن تصاميم لصناعة قارب، وأراد أن ينظر إلى تلك التصاميم، تفحصوا الرسومات سويا: «هذا جيد جدا، في هذا المكان»، قال ليليبيري: «ولكن ثمة مجال لتحسينها، أحضرها في الصباح، ولكن لا تخبر أحدا».

عندما عاد إلى المنزل، قال إنه تلقى طلباً لصنع قارب بحجم تسعة أمتار ونصف وبأعلى المواصفات، وإن المشتري يريد أن يظل مجهولاً.

«ومتى سمعت عن هذا الطلب؟».

«قبل وقت قصير»، قال ليليبيري، ومرت الكذبة هكذا، مثل هدية لشخص تقدّره.

غدت أنا هادئة ومتجهمة، سيطر عليها ارتياب سيئ، وهو أنها - المرأة اللطيفة والودودة - كانت ضحية للخداع بالتمام والكمال، ولأول مرة في حياتها، أصبحت أنا لا تثق بالآخرين، ولم يتوافق ذلك الشعور معها أو مع الذين من حولها، دخلت في دوامة التفكير السيئ بهم جميعاً؛ الجيران، والناشرين، والأطفال الصغار الأبرياء، والجميع، فالكمل كان يخدعها.

حضرت بذاكرتها عبر الزمن الماضي، وتوقفت فقط عندما وصلت إلى والدها ووالدتها، وبالطبع، سيلفيا، أصبح كل شيء خارج بيت الأرناب عالماً غامضاً من التفاهة والسخرية المكتومة، لا أحد يحترم الشخص الساذج كما قالت كاتري، والآن كانت كاتري تجلس مرة أخرى مع أوراها وصوتها الصبور والحازم تحثُ أنا على الإصغاء، والتوقف عن العمل ضد مصالحها بقولها «لا» ببساطة قبل أن تعرف حتى الموضوع ذا الصلة؛ ذلك لأنه كان هناك مبلغ كبير من المال، والتفكير بما يمكن أن تفعله بذلك المال الوفير إن كانت تستطيع فقط أن ترى كم سيصبح ذلك المبلغ إذا تم إقناع الطرف الثاني بأن يتعامل بشرف، وما إلى ذلك من أمور مشابهة.

«كاتري»، قالت أنا: «الآن أصغي لما سأخبرك به، ألا وهو: إنني أفضل أن أتعرض للخداع على أن أفقد ثقتي في الآخرين هكذا».

ثم ارتكبت كاتري خطأ. «ولكن لقد فات الأوان، أليس كذلك؟» ردّت كاتري قائلة: «هذا الخيار غير ممكن لأنك لم تعودتي تثقين بهم البتة، أليس الأمر هكذا؟».

انتصبت أنا من الطاولة وغادرت الغرفة، في الردهة، فتحت الباب المؤدي إلى الساحة على مصراعيه وسارت مباشرة إلى حيث كلب كاتري وهمست: «اغرب عن وجهي!». كانت يداها تتلمسان عضلات الحيوان الضخم القوية من تحت فروه الأجدع، ولكنها لم تكن خائفة منه، قامت بدفعه بقوة وأخرجته إلى الثلج، انتزعت عودا من كومة الحطب ورمته إلى أقصى مسافة ممكنة، صائحة: «أحضره! عد به إلي!». نظر الكلب إليها هكذا دون أن يتحرك، رمت أنا عودا آخر: «أحضره! العب! افعل ما أمرك به!». كانت تتهدد بغضب، كان الجو باردا جدا، عندما عادت إلى الداخل، تركت الباب مفتوحا على مصراعيه.

* * *

ركبت أنا رأسها، ففي كل مرة كانت تعرف أن المنزل خال، كانت تطرد الكلب إلى الخارج، ويعناد، مطبقة أسنانها، كانت ترمي العيدان إلى داخل الغابة، مرة تلو الأخرى، ويوما تلو الآخر، وأخيرا، أعاد الكلب واحدا منها، ببطء شديد، ومن ثم تنحى جانبا وقد حرك أذنيه إلى الخلف ووقف ساكنا في الثلج، محذقا بها. «ماذا تفعلين؟» سأل ماتس الذي كان قد صعد التل وتوقف عند زاوية المنزل.

«يقوم تيدي باللعب»، قالت أنا، مشدوهة: «كل الكلاب تحب إحضار الأشياء...».

«ليس هذا الكلب»، قال ماتس: «ليس مسموحا له أن يتلقى الأوامر إلا من كاتري، ادخلي المنزل». لم يسبق لماتس أن يخاطب أنا بهذه الصرامة من قبل، أبقى الباب مفتوحا، فدخلت من أمامه إلى الردهة.

لقد وصلت كتب جديدة.. «خذ منها ما تريد»، قالت أنا: «ولكنني لا أريد القراءة هذا المساء».

رفع ماتس الكتب واحدا تلو الآخر، ثم وضعها على الطاولة من جديد، وأخيرا قال بقلق إن الكلاب المدربة تختلف عن بعضها، وإنه لا يمكنك إزعاجها وإرباكها، وإن عليك توخي الحذر معها، فكاتري لم تطلب من الكلب أن يحضر الأشياء قط. «لكن ذلك الكلب غير سعيد».

«لا أعرف إن كان الأمر كذلك»، قال ماتس: «إن حياته جيدة جدا إلى حد ما، على أية حال أظن أنه قد فات الأوان لتغييره في هذه المرحلة».

«حسنا، أي كتاب تريد؟» قالت أنا بفارغ الصبر: «دعني أر ما أرسلوه.. رحلة الصغيرة إريك البحرية، شيء مخز، يبدو أنهم يرسلون ما يريدون التخلص منه، ليس إلا، قد أكون عرفت ذلك.. هل قرأت جوزيف كونراد؟ الإعصار؟».

ذهبت أنا لإحضارها: «ها هي، ولو لمرة واحدة، اقرأ شيئا يعكس صورة حقيقية للحياة، (الإعصار) هي أفضل رواية كتبت حول سفينة تواجه عاصفة، إنها أكثر كثيرا من مغامرة، وهي

أكثر من عاصفة.. صدّقني، حتى شقيقتك المهتمة بالأدب قد تكون قرأت جوزيف كونراد»، بعد لحظة أو لحظتين، أضافت: «إن كانت فهمته».

تجنّب ماتس النظر إلى آنا، فتح الكتاب وقبّل صفحاته بلطف كما يفعل مع كل شيء يلمسه، وذكر بحذر أن كاتري تفهم معظم الأشياء، إذ إنها ذكية جداً: «أكثر ذكاء من كلينا»، قال ماتس. «هذا محتمل»، قالت آنا: «ولكن تكلم عن نفسك، ثمة شيء واحد أعرفه، يا صديقي الصغير، وهو أنها ليست موهوبة، فذلك شيء مختلف تماماً».

بعدما ذهب آنا، صنع ماتس لنفسه كأساً من الشاي وجلس على طاولة المطبخ وبدأ يقرأ، غدا المنزل ساكناً وسط العاصفة.

* * *

فقدت آنا رغبتها في القراءة، أضحى أبطال البحار والغاب والبرية فجأة صورا لا حياة فيها، ليس إلا، لم يعودوا يمثلون مدخلا لها إلى صحارى منصفة، وصداقة أبدية، وعقاب عادل، لم تستوعب آنا كيف حدث ذلك، وشعرت أنها غدت معزولة تماماً.

صرّحت في أحد الأيام، بطريقة غير رسمية، أنها لا تريد في المستقبل أن تقوم بأي شيء يتعلق بأعمالها التجارية مهما كان شكله، إذ إنها لا تريد الحديث عنه أو معرفته، فكاتري، التي تعرف الكثير عن النسب المئوية، تستطيع توزيعها كما تريد.

«لكن يا آنا، لا أستطيع فعل ذلك، لا يمكنني تحمل المسؤولية التي تتعلق برسائلك المهمة، هذه مسألة جدية، فنحن لا نعبث بها، كلعبة هكذا».

«لا، فأنت لا تستطيعين اللعب»، قالت أنا على نحو قاس قليلا: «إنك لا تستطيعين اللعب! تلك هي المشكلة بالضبط».

* * *

في ذلك الوقت تقريبا استطاعت أنا أن تفهم لعبة التعامل مع النسب المئوية، التي سمّتها لعبة ماتس، كانت في غاية السهولة، تكونت من كروت مربعة مدون على كل منها نسبة مئوية واضحة: 5%، 4%، 5%، 7%، 10%، وهكذا، وكانت توزّعها كأوراق اللعب، كانت تؤدي اللعبة بسرعة ودون قوانين كثيرة.

كاتري: «هؤلاء الناس يعرضون أربعة بالمئة، ماذا ينبغي أن نعرض؟».

أنا، وهي ترمي بكرت على الطاولة: «خمس بالمئة، لا تدعيهم يخدعونا!».

«وكم نصيب ماتس؟».

«اثنان ونصف بالمئة».

كاتري: «لا، سأخفض ذلك، أربعة لك وواحد له، لكنك رفعت النسبة واحد بالمئة إلى خمسة، سنضع ذلك في الصندوق المشترك».

«وماذا سنفعل بالصندوق المشترك؟».

«أنت من تقررين ذلك».

أنا، ضاحكة: «غطاء لثدي، حسنا، في العرض القادم؟».

«إنهم يعرضون سبعة ونصف بالمئة».

«عشرة! ولكن أربعة فقط لماتس».

«أنت تفسّين، يا أنا، فليس لديك عشرة».

«حسنا، ثمانية إذن، لكن ماتس سيحصل على أربعة مع ذلك،

كما أسلفت، بل خمسة، خمسة بالمئة».

فقامت كاتري بتدوينها.

استرخت منافستها في كرسيها وقالت: «حسنا، الآتي؟».

«ليس ثمة أي شيء آخر الآن، لقد أجبنا على كل ما وجدته

في الخزانة».

«ولكن يمكننا اختراع العروض»، قالت آنا: «فأنا أريد

الاستمرار».

بدأنا تلعبان بمبالغ وهمية، عادة عند حلول الظلام، كانتا

توقدان نارا، وتشعلان شمعتين على الطاولة، وتحضران قلما

وورقة، وتدرسان العروض، وتردان عليها، وتدفعان بالكروت على

الطاولة، كل منه يمثل مبالغ ضخمة قد تنمو لتصل إلى الملايين،

كانت كاتري مسؤولة عن التسجيل، وقد كانت تجامل آنا من

خلال لعبة الملايين الجديدة هذه، وعادة ما كانت تدع آنا تفوز،

ولكن طبيعة اللعبة الوهمية كانت تؤرقها، وبدا الأمر كأنه اعتداء

على حرمة الأرقام الحقيقية، فعندما كانت اللعبة تتعلق بالأعمال

التجارية لآنا أو، بالأحرى، بطريقة آنا في التحدث عن أعمالها

التجارية، كان ينتاب كاتري إحساس بعدم واقعية صغبت عليها

إعادة التوازن والدلالة المناسبين للأرقام، وعلى الرغم من ذلك،

كانت تسجل المبالغ التي تم كسبها بطريقة منصفة في اللعبة

وتضيفها إلى المبالغ التي تم تحصيلها سابقا، والتي تعتقد أنها

كانت من حق ماتس، ومن ثم، وبدرجة أعلى من الدقة، كانت

تدون النسب التي تعود إلى آنا.

ولكن اللعب بمبالغ وهمية غدا أكثر إزعاجا لها، فطريقة

آنا في التلاعب بالأصفار كانت مريكة، ولأول مرة في حياتها

فقدت كاتري القدرة على المتابعة وجلست في غرفتها لفترات طويلة وهي تطبق يديها على عينيها، في محاولة للفصل بين ما هو لعب حقيقي وما هو لعب افتراضي، فقد طاردتها الأرقام بلا هوادة، ولكن تلك الأرقام لم تعد حليفا لها، وانتاب كاتري شعور بأن لعبة أنا كانت بمثابة عقاب لها، لقد تمت الإجابة على الرسائل التي كانت منسية لوقت طويل، ونادرا جدا ما كانت تأتي رسائل جديدة. بدت أنا مصابة بخيبة الأمل: «أليس ثمة شخص نستطيع أن نخدعه اليوم؟ إذن، لنلعب لعبة الملايين»، كانت اللعبة تسمح لك بإخافة منافسك بالنسب المئوية، ولم يكن مهما البتة إن كنت تعرضين بسعر أعلى أو أقل.

حاولتا التغيير إلى المراهنة على ورق اللعب، ولكن ذلك أتى بنتائج عكسية، كانت أنا الخاسر الأكبر، مما جعلها غاضبة ونزقة، فعادت إلى لعبة الملايين من جديد.

* * *

وفي الأيام التي كانت أنا وحدها في المنزل، كانت تخرج بالكلب إلى الساحة وتجعله يحضر الأشياء، لقد تغير ذلك الكلب، فعندما كان يمر به أحد بالرددة، كان ينتصب ويكشر عن أنيابه. «انبطح أرضا» كانت كاتري تأمره، وكان الكلب ينبطح أرضا، ممثلا للأمر.

امتدت منضدة بيضاء لوضع الورد مصنوعة من الحديد الصلب تحت النافذة في غرفة أنا، كانت تقف فارغة لزمن طويل جدا، أرادت كاتري أن تستخدمها لترتيب ملفات أنا هي صفوف تحتوي على رسائل أنا الخاصة والمراسلات التي تعود لوالديها، كانت الملفات من القماش الأبيض لتتناسب مع الأثاث، «أوه، نعم»، قالت أنا: «رسائل والدي ووالدتي، ظننت أنك رميتها خارجا على الجليد منذ زمن طويل، هل قرأتها أيضا؟».

تصلب جسد كاتري، وفجأة لاحظت كم تغير وجه أنا، لقد تقلص واكتسب مسحة من دهاء تعوزه الجاذبية: «لا، لم أقرأها»، ردت قائلة.

«يا للروعة»، قالت أنا: «كل سنة مدونة على الجزء الظاهر من الملف، أستطيع الآن أن أجد أي شيء أريده، ومتى شئت، على سبيل المثال، رسالة خطها والدي في عام 1908».

تأملت كاتري في وجه أنا للحظة، ثم مضت في طريقها دون أن تبس ببنت شفة.

* * *

تجولت أنا في غرفتها، محرقة قطع الأثاث واحدة تلو الأخرى قبل أن تعيدها إلى مكانها من جديد، وكان مزاجها المتعكر

يطاردها إلى أن أصبحت الحاجة للسلوى ملحة، وأخيرا، أخذت ملف رسائل سيلفيا الأبيض وجلست على حافة سريرها.

كانت الرسائل معدة حسب الترتيب الزمني، تخطت أيام المدرسة وزواج سيلفيا والبطاقات البريدية التي تتعلق بزيارة سيلفيا إلى إيطاليا، هنا كانت رسائل التعزية عندما توفي والدها على التوالي بفارق بسيط. استمرت أنا بالبحث بفارغ الصبر؛ لا بد أن تظهر قريبا، أولى رسومات الألوان المائية، ها هي: «عزيتي أنا، كم هو رائع أن تجدي شيئا تشغلين به نفسك، فهواية صغيرة دائما ما تجعل الأمر أكثر سهولة».

لا، ليس بعد؛ فلم تصبح مهمة بعد.. أتى ذلك لاحقا عندما رأتها سيلفيا لأول مرة، أو عندما نُشر أول كتاب، لم تستطع أن تتذكر ذلك.. على أية حال، كانت أول مرة تتحدث فيها الرسائل عن عمل أنا، تتحدث بشكل جدي، وقد قالت سيلفيا.. لقد ساعدت أنا، ساعدتها بطريقة ما للمضي قدما، ربما هنا: «الحياة قصيرة لكن الفن باق، ثابري وإلى الأمام، يا أنا الصغيرة»، أو هنا: «لا تحملي الأمر أكثر مما يتحمل، الإلهام سيأتي هكذا بشكل طبيعي»، أو: «أعتقد أن أرانبك ساحرة جدا، ولا داعي للقلق حولها».

وفي واحدة من رسائلها الأخيرة: «ماذا تعنين عندما تقولين إنك تريدين المحافظة على مناظر الطبيعة دون أن تضللي أحدا؟ هل وصلتك هدية رأس السنة الصغيرة التي أرسلتها..؟».

ثم بدأت الرسائل تتباعد زمنيا إلى أن اقتصرت تدريجيا على بطاقات عيد الميلاد، بحثت أنا في الرسائل السابقة من جديد علها تجد تلك الفقرة المهمة؛ الشيء الحاسم الذي قالته سيلفيا

عن عملها، ولكن ذلك لم يكن له وجود، فسيلفيا لم تستوعب الأمر ولم تعرفه الانتباه اللازم، وكانت عاطفية بشكل مفرط. أعادت أنا الملف الفارغ إلى مكانه المناسب، ووضعت الرسائل في حقيبة بلاستيكية، ذهبت إلى القبو ووضعت قطعاً من أواني ورد مكسورة في الحقيبة، وربطتها بإحكام، لم يكن في المنزل إلا الكلب، ارتدت أنا ملابس تقيها من البرد وشقت طريقها إلى الشاطئ، كان الجليد زلقاً للغاية، وقد قطعت مسافة أوصلتها إلى كوم الأثاث المرمي دون أن تدرك ذلك، كان كوما رائعا من القمامة.

أشبه ما يكون بنصب تذكاري، حاولت أن تميز وتتعرف على الأشياء، ولكن دون جدوى، رمت بحقيبتها وعادت أدراجها إلى المنزل، لم يرها أحد تودّع سيلفيا. في الردهة، خاطبت الكلب قائلة: «حسناً، ما قولك فيما جرى؟»، ولكن دون الزهو بالانتصار هذه المرة، لقد كان الأمر مجرد ملاحظة، ليس إلا.

كان ماتس يمضي أيامه في ورشة القوارب، وكان يصعد في كل مساء بعد العشاء إلى غرفته، ولم تكن كاتري تطرح عليه أية أسئلة.

قد يكون جالسا يرسم شيئا هنا أو هناك يريد أن يقوم بإنجازه، لم يعد ينشغل بالقراءة، فهمّه الأول والأخير هو القارب، قريبا سأحتاج إلى الدفعة الأولى لليليبيري، وهي ثلث التكلفة، والدفعة التالية ستكون عند تركيب الألواح والجوانب، والأخيرة عندما يتم إنجازه، عندما أكون متأكدا من الدفعة الأولى، سأخبر ماتس بأن القارب الذي يقوم بصنعه هو قاربه، ولكن ليس بعد، لا أجروء على التحدث مع أنا بعد، إذ لا يمكن التنبؤ بردة فعلها، يمكنها أن تمارس الخداع وتلغي نسبة ماتس المثوية، وتقول إن الأمر كان مجرد لعبة لا غير.

عليّ أن أنتظر وأكون حذرة جدا معها، إنه الانتظار دائما، فإذا ما عدت بذاكرتي إلى الزمن الماضي قدر المستطاع، أجد أنني لم أفعل شيئا سوى الانتظار، الانتظار لأقوم بالعمل أخيرا، لأقامر بكل فطنتي وبصيرتي وجرأتي، لأنتظر التغيير الكبير الحاسم الذي يضع الأمور في نصابها. إن القارب مهم جدا، ولكنه مجرد البداية، يمكنني أن أضاعف ميراثها مرتين وثلاث

مرات؛ المال الميت يرقد ساكنا؛ يمكنني أن أستثمره بحكمة، وأعيده إلى الحياة، ثم أعطيه لها مضاعفا مرات عدة في لعبة ملايين لم تعد وهمية، لعبة أستحقها، لم يفت الأوان بعد، ينبغي ألا يفوت الأوان!.

في أحد الأيام عندما كانت كاتري في الخارج مع كلبها، فتحت أنا الدرج الذي يخص عملها، وهو الدرج الوحيد في خزانها الذي كان دائما مرتبا لدرجة الكمال، كان مغلقا طوال فصل الشتاء، كانت أنا تقوم بطقس تكرره دائما عندما يأتي ضباب الربيع لأول مرة من البحر. رفعت الصندوق المصنوع من خشب الساج بزخرفته البالي الذي زُيت بدقة، وجعلت تتفحص طلاءه مطولا، لم يكن ثمة حاجة لأية إضافات، تلمّست الرؤوس الناعمة لفراشيها، من فرو حيوان الدلق، وهي أفضل فراشي يمكن شراؤها، تأملت كل موادها بتأن، وكان كل شيء في مكانه الصحيح، ثم أعادت الأشياء كلها إلى المكان نفسه، خرجت إلى الغابة خلف المنزل وحفرت حفرة في الثلج، كان ثمة طحالب في الأسفل، ضغطت بيدها على التربة المتجمدة وشعرت كيف أن الجليد بدأ بالذوبان ببطء، ولكن اللحظة لم تحن بعد، ليس قبل مرور بعض الوقت.

خرجت كاتري وسارت تجاه الرأس البحري، كان يمكنها سماع طلائع الدجاج البري الأسود تصيح وتتقر في حافة الغابة، كان الجليد رماديا كالإسفلت، والفيوم المظلمة بزرقها الغامقة تتحرك من فوقه في أشربة طويلة. كان الكلب مضطربا ولم يواكب مسيرها، وحين اقتريا من المنارة، ذهب بعيدا، أمرته بالعودة مستخدمة تلك النغمة المنخفضة التي يعرفها الكلب ويطيعها، استدار منحرفا كذئب، لكنه لم يعد، أخرجت كاتري سجائرهما، وأمرته بالعودة مرة أخرى في نغمة أكثر انخفاضا، ولكن الكلب لم يتحرك.

استدارت للجهة الأخرى، كان الضوء ساطعا وشفافا، وبدت المناظر الطبيعية حبلً بالتوقعات، لقد تكسّر الجليد على امتداد الشاطئ، وكانت المياه المفتوحة تتنفس بين الشقوق، تصعد وتفيض على الجليد، ومن ثم تسقط في مكانها من جديد، أشعلت كاتري سيجارة، ثم طوت العلبة الفارغة وألقت بها بعيدا على الجليد، فقام الكلب بالتقاطها، واندفع عبر مياه الشاطئ، ممسكا بها في فمه، وأعادها إلى حيث قدميها، كان الشعر منتصبا على ظهره، ورأسه مائل لجهة واحدة، فأدركت كاتري أن كلبها غدا خصما لها. في المنزل ذهبت إلى آنا وقالت: «يا آنا، لقد أفسدت كلبى،

هذه حركة خبيثة، لا يمكنني الاعتماد عليه من الآن فصاعداً..
 «تعتمدان وتعتمدان»، ردّت أنا سريعاً: «لا أعرف ما تعنين..
 الكلاب تحب اللعب، أليس كذلك؟».

سارت كاتري إلى النافذة، معطية ظهرها لأنا، واستمرت
 بالكلام: «أنت تعرفين تماماً ما فعلته، فالكلب لم يعد يعرف ما
 أتوقعه منه، هل من الصعب جداً فهم هذا؟».
 «أنا لا أفهم ذلك!» صاحبت أنا: «أحياناً يفترض أن ألعب
 وأحياناً لا ألعب...».

«ينبغي ألا تلعب مع كلب لمجرد التسلية، أنت تعرفين ذلك».
 «وماذا عنك، يا كاتري كلينغ؟ فلعبتك حول المال غير مسلية
 أصلاً، ولا تحاولي إقناع نفسك أن ذلك الكلب سعيد، إنه يطيع
 الأوامر، ليس إلا...».

استدارت كاتري: «يطيع؟» قالت: «أنت لا تعرفين معنى هذه
 الكلمة، فهي تعني الإيمان بشخص وتنفيذ الأوامر المتسقة، وهذا
 يوفر راحة، إعفاء من المسؤولية، إنه البساطة بعينها، فالمرء
 يدرك ما عليه القيام به، إنه لمن الأمان والطمأنينة أن يؤمن المرء
 بشيء واحد فقط».

«شيء واحد فقط!» صاحبت أنا: «يا لها من محاضرة، ولماذا
 بحق السماء عليّ أن أطيعك؟».

كان ردّ كاتري بارداً: «ظننت أنك تتحدثين عن الكلب».

صرّحت أنا في صبيحة أحد الأيام بأنها ستذهب إلى المتجر وتحضر البريد بنفسها.

«قومي بذلك»، قالت كاتري: «لكن الطريق زلق جدا، لذا ينبغي أن ترتدي حذاءك المصنوع من الجلد، وليس اللبّاديّ، ولا تقسي نظّارتك الشمسية».

ارتدت أنا حذاءها اللبّاديّ، كان التل في أسوأ حالاته، وعندما وصلت إلى المتجر تقريبا، انزلقت واستقرت في الثلج، نظرت سريعا من فوق كتفها لكن جميع النوافذ كانت فارغة.

«أهلا وسهلا»، قال صاحب المتجر: «من الغريب جدا أن نراك في المتجر من جديد، يا آنسة إميلين، لقد انتابنا بعض القلق، أعني أنه لم يكن بوسعنا معرفة ما يجري في منزلك.. أعني في هذه الأيام، كيف لي أن أخدمك؟».

«أردت بعض الحلوى، ولكنني لا أتذكر اسمها.. كان ذلك منذ زمن بعيد، شيء عليه قطط صغيرة، علبة مستطيلة عليها قطط صغيرة».

«كيتي - كيت»، قال صاحب المتجر مداعبا: «إنه نوع قديم، ولكن لدينا نوع جديد أيضا، عليه صور جراء».

«لا، شكرا، تلك التي عليها صور قطط صغيرة».

«حسنًا، ليس من السهل وجود كلب ضخّم في المنزل، يقال إنه متوحّش».

«ذلك الكلب يتصرف بشكل جيد»، قالت أنا بحذر، تذكرت أن صاحب المتجر كان يخدعها، لم تكن ابتسامته ودية، ولا حتى مؤدبة، أدارت بظهرها نحوه وسارت إلى حيث الأطعمة المعلّبة، ولكن كالعادة كان من المستحيل أن تقرر ما الذي تريده حقًا. دخلت فرو صندبلوم وحيّتها بدهشة مبالغ فيها، واشترت قهوة ومكرونة، وأخذت قارورة من شراب الليمون وجلست على الطاولة عند النافذة للإصغاء.

قال صاحب المتجر: «لقد أصبحت الآنسة كلينغ مدبّرة منزل رائعة، لطالما قلت إنها تعرف ما تقوم به، ويبدو أن شقيقها أذكى مما كنا نعتقد، وها هم الآن يصنعون قاربًا قام بتصميمه، أليس ذلك صحيحًا؟».

«ما هذا؟»، سألت أنا.

«إنه خميرة، يستخدمها الناس عندما يصنعون الخبز».

تمتمت فرو صندبلوم وصبّت لنفسها مزيدًا من شراب الليمون.

«القوارب»، عاود صاحب المتجر الحديث: «القوارب أشياء رائعة حقًا، لطالما أحببتها، لقد طلبت ذلك القارب، أليس كذلك، يا آنسة إميلين؟».

«كلا»، ردّت أنا: «لا أعرف أي شيء عن القوارب، لسوء الحظ، إنني أقرأ عنها فقط، هذا كل ما أريده؛ أضفه إلى حسابي».

فجأة بدت الغرفة تمجّ بالحق، وحينما همّت أنا بالمغادرة، نادتها فرو صندبلوم: «أبلغني سلامي إلى الآنسة كلينغ، أرجوك أن تنقلني لها تحياتي الحارة».

سارت أنا تجاه منزلها، وقد نسيت أن تحضر البريد، ما الذي تفضلوا به؟ مجرد حديث المتاجر المعهود.. لا، أوه، لا، لم يعد باستطاعتهم استغفالها، لقد أدركت ذلك، كانوا ينفثون سموما، وكانوا يسخرون منها داخليا، من أنا إميلين، ويسخرون من كاتري وماتس.. لن تعود للمتجر مرة أخرى، ولن تذهب إلى أي مكان آخر، خلا الغابة، كانت بحاجة للعمل، بأقصى سرعة ممكنة.. مباشرة..

لم يكن مذاق الكيتي-كيت كما كان قبل أربعين عاما، وقد علق بأسنانها بطريقة مزعجة، أسرع أنا الخطى، وهي تنظر إلى الطريق لا غير، مر بها العديد من الجيران ولكنها لم تلاحظ سلامهم عليها، فكل ما كانت تريده هو الوصول إلى المنزل، إلى كاتري المرعبة، إلى عالمها الخاص الجديد الذي غدا قاسيا ولكنه خال من الشر والكتمان. عند نهاية شارع القرية، تقدمت منها السيدة نيفارد، ووقفت في منتصف الشارع، وبادرتها قائلة: «نحن دائما في عجلة من أمرنا، يا آنسة إميلين! هل خرجت لتري ما إذا اقترب الربيع؟ سنرى الأرض عما قريب جدا».

أوقف صوتها الهادئ الودّي أنا في مسارها، وقفت في الثلج الموحل ونظرت إلى أعلى، وقد ألهمت شمس الربيع عينيها.

«كيف هي الأمور في بيت الأرنب؟».

«يا إلهي»، ردّت أنا سريعا: «أهذا ما تسمون به منزلي في القرية؟».

«نعم، بالفعل، ألم تعرفي ذلك؟».

«كلا، كلا، لم أكن أعرف البتة».

نظرت السيدة نيفارد جدًّا إلى آنا وقالت: «لكنه لقب لا غير، لا يقصد أحد به الأذى بأي شكل».

«اعذريني، إنني في عجلة من أمري»، قالت آنا: «قد لا تفهميني، ولكن يعوزني الوقت في هذه اللحظة...».

كان الطريق أكثر زلقة مما قبل، مع اقترابها من الشاطئ، انزلقت عصاها، ولم يساعدها كثيرا السير برجلين مفتوحتين وأصابع قدمين معكوفة، كان المشهد مضحكا، تساقطت آنا عبر الثلج على جانب الطريق لتلتقط أنفاسها، ثم استمرت في مسيرها، لم يتبق كثير من المسافة، ولكنها كانت تزداد قلقا مع مرور الوقت، كانت بحاجة إلى أن تدخل الأرض التي تخصها بأقصى سرعة ممكنة. خلف سياجها من أشجار الصنوبر حيث الثلج نظيف وخال من أثر أقدام الغرباء، في أسفل التل، وقف الأطفال يصرخون شيئا بإيقاع، مرارا وتكرارا؛ كلمة واحدة لم تستطع تمييزها، وكانوا يحملون في منزلها.

«أوقفوا ذلك الصراخ!»، نادى آنا عليهم: «ها أنا هنا، ما الذي تريدونه؟».

أوقف الأطفال صراخهم وتحركوا بعيدا.

«لا تشعروا بالخوف!»، قالت آنا: «يسعدني أنكم جئتم إلى هنا.. ولكن كما ترون في هذه اللحظة لا يوجد لدي وقت لقضائه معكم، فانا في عجلة كبيرة من أمري». حاولت أن تجد كيس الحلوى في محفظتها، لم يعد الأطفال يكثرثون بها، واستداروا تجاه المنزل، وجعلوا يصرخون من جديد، بدت كأنها كلمة «ساحرة، ساحرة، ساحرة...»، تجاوزتهم آنا وسارت إلى أعلى التل، غدا كيس الحلوى لزجا في يديها، ففتحته وألقت بالحلوى

على الثلج: «إنها لكم»، صاحت وهي تلوح بعصاها تجاههم، ثم عاودت مسيرها المضني إلى أعلى التل.

هَبَّ نسيم منتظم من الياينة عبر الأشجار خلف المنزل، تداعى الثلج الجديد من أغصان أشجار الصنوبر، من هنا وهناك، حيث ملئت الغابات بالخطى والهمسات، بدت التربة، من بين جذور الأشجار المواجهة للشمس، معتمة ورطبة وقد انتشرت عليها أغصان التوت البري الصغيرة، توقفت أنا بين فينة وأخرى، وكأنها تنتظر شيئاً، ثم عاودت المسير من جديد.

«لقد خرجت مبكرة هذه السنة»، قال ليليبيري وهو ينظر عبر نافذته: «ربما تكون تلك العانس قد أساءت قراءة مفكرتها، وهي ليست ثابتة بخطواتها كما كانت من قبل».

«لا غرابة في ذلك، بوجود ساحرة في المنزل»، علق شقيقه قائلاً: «فلا بد لذلك أن يؤثر بك سابقاً أم لاحقاً».

استدار ليليبيري عائداً إلى داخل الغرفة وقال: «ينبغي أن تصون لسانك، تلك الساحرة التي تحتقرها هي أذكى منك عشر مرات، وأنت لست ألطف منها بكثير، أيضاً».

سارت أنا على حافة الغابة، من شجرة إلى أخرى، وهو ذات الدرب الذي كانت تسلكه كل سنة، بالدرجة نفسها من الإثارة، بتوقعات تراكمت طيلة فصل الشتاء، لقد لاحظت أرضية الغابة، ولكن في هذا اليوم، السابق لأوانه، لم تبد تلك التربة السوداء واعدة البتة، كانت مجرد بقع من التربة الرطبة خلت من أي إحياء، ومن أي استلهاام لمعجزات قادمة.

عادت أنا إلى منزلها.

لطالما اعتبرت أنا نفسها رسّامة لأرض الغابة، لقد قالت ذلك كثيرا في مناسبات عدة واكتشفت مندهشة أن سامعيها أخذوا الأمر على أنه إشارة للتواضع، لكن على عكس ذلك، كان من تحت وصفها لنفسها اقتناع هادئ وحازم أنها، أنا إميلين، كانت، بكل معنى الكلمة، الشخص الوحيد الذي كان يستطيع أن يرسم أرض الغابة بالشكل الصحيح، وأن أرض الغابة بديمومتها ونموها المستمر لن تغدّلها أبدا، ولكن بعد زيارتها الأولى للغابة، سيطر على أنا قلق مرعب، لا شيء ولا أحد كان يمكن أن يهدئ من روعها، لقد شعرت بالحزن وكأنها مقتلعة من جذورها.

مرّ ذلك اليوم بطيئا وقلقها يتأجج، لم تكذ تدرك لماذا أخرجت الرسائل التي كانت تلقّتها والدتها ووالدها أثناء حياتهما الطويلة، ولكن كان لذلك علاقة بعملها، بعلاقتها بعملها، في مكان ما في هذه الملفات كان لا بد من وجود تفسير ما، ربما إشارة لوقت وسبب افتتاح الطفلة أنا أو البنت الصغيرة أنا بأرض الغابة. تكريس نفسها لهذا الشيء الوحيد الذي لم يغدّلها قط، قطّ إلى يومنا هذا، كان ثمة الكثير من الرسائل، عدد تجاوز كل الحدود، ولكن الناس الذين كانوا يرسلون جوليوس وإيليس إميلين لم يذكروا ابنتهم. استمرت أنا بالقراءة، بسرعة أكثر

وأكثر، متصفحة ومتفحصة تلك الرسائل، لم ترغب في تناول العشاء، وعندما حلّ الظلام، أنارت مصباحا واستمرت بالقراءة، شاقة طريقها عبر طوفان من الكلمات والرسائل والتعليقات التي كان لها قيمة لهؤلاء الناس الذين قضوا منذ فترة طويلة. وكانت تفتح كل ملف، ومن ثم تضعه جانبا، لقد تقدمت أنا بالعمر، ولكن لم يذكرها أحد، في أحسن الأحوال، كانوا يكتبون «تحياتي لابنتكما» أو «عيد ميلاد سعيد لثلاثتكم»، فهي لم يكن لها وجود. كان هناك مراسلات الوالد مع المكاتب الحكومية، وإيصالات رسوم العضوية في النوادي والجمعيات، وحسابات الوالدة المتعلقة بالمنزل، وتذاكر القطار التي تم حفظها من الرحلات إلى الخارج، وبعض البطاقات من أناس في منطقة البحر الأبيض المتوسط حيث يتذكر الناس فجأة أصدقاء لا يرونهم أبدا، وكذلك «عزيزتي إيليس، تهانينا بتخرج ابنتكم...»، وفيما بعد، تعازينا إلى إيليس إميلين، ثم توقفت الرسائل.

«طبعاً»، قالت أنا: «ربما كان ذلك عندما بدأت أرسم أرض الغابة».

في الصباح التالي، لم ترد أنا أن تنهض من الفراش، «ارحلي من هنا»، قالت أنا.

«هل أنتِ على ما يرام؟» سألت كاتري.
«أجل، لا أريد النهوض وحسب».

وضعت كاتري صينية الشاي على منضدة السرير. «ذلك هو الكتاب الخطأ»، قالت أنا: «لقد قرأته، على أية حال، إنه سخيض للغاية لدرجة أنني لم أكرث بمعرفة كيف انتهى، إن هذه الكتب تطرح الشيء نفسه، المواضيع نفسها مرارا وتكرارا»، ثم وضعت الوسادة فوق رأسها بانتظار شيء من المعارضة في الرأي، لكن كاتري غادرت المكان، في الردهة الخلفية، أوقفت ماتس وهو في طريقه إلى الخارج وخاطبته قائلة: «هلاً ذهبت وتحديثت إلى أنا لبعض الوقت؟ إنها لا تريد أن تنهض من الفراش، ليس ثمة من سوء أصابها، لكنها تشعر بالنكد».

«لماذا؟» سألت ماتس.

«لا أعرف».

«ولكن ماذا ينبغي أن أقول؟».

«حسناً، شيء مما تتحدثان عنه في المساء؟».

«ليس ثمة الكثير»، قال ماتس: «نتحدث عن الكتب».

«لم تعد تمارس القراءة».

«أعرف ذلك، إنه لأمر سيئ».

«وما ذلك الشيء السيئ؟».

لم يجب ماتس، نظر إلى أخته فحسب، عندما ذهب إلى داخل غرفة أنا، تحدّث معها بأمور عامة حول الإبحار في القوارب، وكيف أنه لن يمضي وقتاً طويلاً حتى يبدأ الجليد بالتكسر.

«ماتس»، قالت أنا: «أدرك أنك هنا لمواساتي، وأن كاتري هي من أرسلتك».

«هذا صحيح».

«ولا يعنيني مثقال ذرة متى تبحر القوارب».

«أنت مخطئة، يا آنسة»، قال ماتس جادا: «إنه شيء مهم للغاية، ويمكنني أن أخبرك بأننا نصنع قاربا جميلا جدا الآن».

«حقا».

«وهو من رسوماتي»، توقف ماتس في الباب دون أن يسعفه لسانه بقول أي شيء آخر، وأخيرا سأل إن كان بإمكانه فعل أي شيء.

«بلى، ثمة شيء»، قالت أنا: «يمكنك أن تلقي كل هذا خارجا على الجليد، فهذا المنزل غدا مزدحما للغاية لدرجة أنني لا أكاد أتففس!».

«ولكن هذا شيء محزن»، اعترض ماتس: «تلك الملفات باهظة الثمن، جاءت كاتري باللون الأبيض ليناسب الأثاث».

«خذها خارجا»، قالت أنا: «أوصلها إلى حيث كوم الأثاث المنتصب على الجليد، ستتاسق بشكل رائع معه، ومن ثم ستفرق

سويا معه، قلت إن الجليد يوشك أن يتكسّر، يسعدني أن أراها جميعا تفرق».

لم تأتِ أنا إلى العشاء، ولكنها، ذهبت إلى المطبخ بعد ذلك، عندما كان المنزل مظلماً للبحث عن شيء مناسب في الثلاجة، لم تكذب تبدأ بحثها في علب كاتري البلاستيكية عندما ظهر ماتس في ممر الباب وحيّاهما قائلاً: «مرحباً».

«إذن أنت هنا مرة أخرى»، قالت أنا: «انظر كيف رتبت شقيقتك هذه الأطعمة! لا يمكن لأحد أن يعرف ما في الداخل دون أن يفتح كل واحدة من هذه العلب البائسة.. هل ألقيت بتلك الأشياء على الجليد؟».

«نعم، فعلت ذلك، ولكن إن أردت أن تلقي بأي شيء آخر، فعليك الاستعجال، قد يتكسّر الجليد في أية لحظة».

«إنني أبحث عن بعض الجبن، ولكن لماذا ينبغي على الجبن أن يوضع بعلبة بلاستيكية، هذا شيء لا يمكن أن أتخيله، هل تظن أنها ستفرق؟».

«معظمها، ولكن بعضها سيطفو لبعض الوقت قبل أن يفرق».

«أتعرف يا ماتس أنني في بعض الأحيان أشعر بتعب شديد دون أي سبب، ما الذي كنت تقوله عن رسوماتك لذلك القارب؟».

«لا شيء سوى أنها رسوماتي».

«أود أن أراها».

«ولكن أفضلها موجودة في ورشة القوارب، لديّ هنا رسومات أولية فقط».

«أحضرها إلى هنا».

«ولكنها ليست بتلك الجودة، إنها أولية جداً».

«يا ماتس»، قالت أنا: «اذهب وأحضرها، قد تكون هذه اللحظة الوحيدة في حياتك التي تأتيك فيها الفرصة لتُرى رسوماتك إلى شخص يفهم حقيقة مفهوم الرسم».

جلست أنا ودرست الرسومات لفترة طويلة، متفحصة إياها جميعا، وأخيرا قالت: «ذلك الخط جيد».

«يسمى خط الانحراف»، قال ماتس.

أومأت أنا بالإيجاب: «إنه اسم جيد، هل توقفت يوما ما لتفكر كيف للمصطلحات أن تكون جميلة ومعبرة وتبقى مع ذلك واقعية؟ أسماء الأشياء، أسماء الأدوات، وأسماء الألوان؟».

ابتسم ماتس لأنا، ففي رسمة بعد الأخرى، كانت ترى الخط يتلمس طريقه بعناد وصبر، باحثا عن وجهة نهائية لطاقته المكبوتة، وفجأة ولأول مرة رأت انجراف الثلج على الشرفة، إنه ذات الانحناء: «أعتقد أن قاربك سيكون جميلا»، قالت أنا.

بدأ ماتس يشرح الموضع، بسيل من الكلمات، حاول ماتس أن يتقف أنا عن قيمة الإبحار والقدرة التي تتمتع بها القوارب، لم يحاول تجنب المصطلحات الفنية التي لم تسمعها من قبل، ولكن أنا لم تكسر صمتها المصفي بطرح الأسئلة. أخيرا، اتكأ ماتس في كرسيه إلى الوراء، ومد ذراعيه مباشرة فوق رأسه وضحك: «بقوة عشرين حصانا!» خاطبها قائلا: «بالتمام والكمال!» إلى الغاية العظمى!».

«نعم»، قالت أنا: «إلى الغاية العظمى، عرفت الآن لماذا لم تعد تكثر بقراءة قصص البحار القديمة، ليس الآن، بل وأنت تقوم بصناعة قاربك».

«لكنه ليس قاربي»، قال ماتس.

«إنه ليس قاربك؟».

«لا، فقط الرسومات لي، سيقومون ببيع القارب».

«ومن الذي سيشتريه؟».

«لا أظن أن الإخوة ليليبيري يعرفون ذلك بعد، هم يقومون

بصناعته، ليس إلا»، انتصب واقفا ولفّ أوراقه.

«انتظر لحظة»، قالت أنا: «لو كان لديك قاربك الخاص..

فماذا كنت ستفعل؟».

«الخروج به، طبعاً، والبقاء بعيداً لأيام عدة».

«وحيداً».

«بالطبع».

«كنت أتوق للحصول على قارب»، قالت أنا: «قارب لي خصيصاً

على الشاطئ كي أستطيع الانطلاق متى شئت، دون معرفتهم،

(الآخرين).. كنت أتخيل قارب تجديد أبيض، هل باستطاعتك

أن تقود قارباً يعمل بمحرك؟».

«أنا أقوم بتعلم ذلك»، قال ماتس.

فتح باب الحديقة وانطلق مرة أخرى، انتظرا، سمعنا كاتري

تسير في الردهة.

«هل من الصعب تعلم ذلك؟» سألت أنا.

«ليس صعباً إن كان لديك الرغبة في التعلم، عندما نزل

القارب إلى الماء ونرسيه، سنقوم بفحصه للمرة الأخيرة، ومن ثم

يحين وقت التفكير بتركيب المحرك وخزانات الوقود والمقاعد،

والمقصورة أيضاً، كل هذه الأمور تأتي فيما بعد، الشيء المهم هو

إخراج القارب من الطريق لإفساح المجال في الورشة للمهمة

التالية».

كانت أنا نصف مصغية: «كنت أجدف في الماضي»، قالت: «كنت أستعير قاريا وأجدف مبتعدة بنفسي، ولكن لم يتسنَّ الوصول للجزر بسبب بُعدها، ومن ثم كان هناك دائما مشكلة العودة في الوقت المناسب للعشاء.. ولكن إذا اشتريت هذا القارب الذي صممته، فينبغي ألا تظن أنني سأقوم بالتنقل فيه طوال الوقت، قد لا أستخدمه إلا نادرا جدا. في الواقع، أحتاج فقط لأن أعرف أنه موجود.. فكرة وجوده، كما تعرف، ليس إلا، ينبغي ألا تنسى أنه لك».

«أنا لا أفهم ما تقولين»، ردّ ماتس.

«ما الذي لا تفهمه؟».

هزّ ماتس رأسه فقط ونظر إليها، بصرامة تقريبا.

«أنت تعتقد أنه مجرد كلام»، قالت أنا بفارغ الصبر: «أنت لا تعرف ذلك، إذا أردت شيئا ما حقا، فسأحصل عليه، إلى آخر الطريق، ولن يوقفني أي شيء، من المخجل أنني نادرا جدا ما أريد شيئا حقا هذه الأيام.. ولكنني أريد أن أعطيك هذا القارب، لا، لن نتحدث عن ذلك مجددا، ليس الآن، ويجب أن يبقى ذلك سرا، بيني وبينك فقط، والآن سأوي إلى الفراش، وسأنام جيدا ولفترة طويلة جدا».

«هل لديك دقيقة للتحدث معي؟» تساءل ماتس، رفع ليليبيري نظره عن عمله، وأدرك أن الأمر له خصوصية، سارا إلى إحدى جهات الورشة.

«ما الأمر؟»

«أنت لم تعد بالقارب أي أحد، أليس كذلك؟»

«سنرى كيف تسير الأمور».

«لأن القارب لي»، همس ماتس: «أنفهم، إنه لي، سأكون

مالكه».

«لا تقل ذلك، وكيف خططت لدفع تكاليفه؟ هل رُتبت ذلك؟».

«لقد رُتّب كل شيء».

«إذن، نجحت الخطة أخيرا»، قال ليليبيري بلطف: «لا تقلق،

لم نعد بالقارب الشخص الخطأ، إطلاقا، الشيء المهم هو أنني

أعرف ما سأقول للآخرين، متبرع مجهول الهوية؛ هذا يبدو

جيذا، طالما أن الأمور قد تم ترتيبها».

ولاحقا في ذلك اليوم، كان ليليبيري يقف خارج الورشة وهو

يدخن حين مرّت كاتري في الطريق: «مرحبا أيتها الساحرة

الصغيرة»، خاطبها قائلاً: «إذن، بدأت الأمور تتخذ مكانها

المناسب».

توقفت كاتري وكلبها، فقد كانت تستلطف ليليبيري.
 «يبدو أن كل شيء يسير حسب الخطة»، قال لها: «ولا حاجة
 للاستعجال بالدفعة الأولى، على أية حال، يسرني أنه لم يعد
 عليّ التظاهر بإخفاء الأمر، فالكل يعرف أن القارب لماتس الآن».
 تجمّدت كاتري: «من قال ذلك؟».
 «ماتس نفسه، طبعاً، أخبرني بأنه قد تم ترتيب الأمور، هل
 ثمة خطأ ما؟».
 «لا».

«تبدين متعبة»، قال ليليبيري: «ينبغي ألا تأخذي الحياة
 بهذه الدرجة من الجدية، فالأمور تستقيم بنفسها إذا صاحبها
 الانتظار».

«كلا، لا تستقيم بنفسها، لا شيء ينجح بالانتظار فقط،
 وأحياناً تتجاوز الحدود وأنت تنتظر»، تابعت كاتري المسير،
 والكلب يتهاذى من خلفها، ظل ليليبيري واقفاً يراقبهما معتقداً
 أن شيئاً ما لم يكن في مكانه الصحيح.

سارت كاتري تجاه الرأس البحري، بهدوء وبصوت عميق
 للغاية، أعطت كاتري الكلب أوامر مرات عدة، جرى الكلب
 جانباً، وقد انتصب الشعر على كتفيه، وارتفعت أذناه إلى الأمام
 وكأنه يتحفّز للهجوم، وفجأة فقدت كاتري هدوءها وصرخت
 به، وقفت في الطريق هكذا وصرخت بالكلب، صرخت بالعالم
 برمته، بكل الأشياء التي لم تقوَ عليها، كلمات تلقائية خرجت
 من خيبة الأمل والإرهاق، وبدأ الكلب بالنباح، لم يسمع أحد
 في القرية كلب كاتري ينبح قطّ من قبل، كانوا معتادين على
 سماع نباح الكلاب الهجيئة، ولكن هذا النباح نباح كلب لصيد

الذئب، وكانوا يسمعون في كل مكان ويتساءلون ماذا حدث، استمر الكلب بالنباح، وبيطع تبع كاتري إلى المنزل، قيّده في الباحة، واستمر هو بالنباح.

«ماذا حدث لكليك؟» سألت أنا: «لماذا يقوم بالنباح؟».

«لم يعد كلبتي»، ردّت كاتري: «لقد أخذته مني، وماذا فعلت لماتس؟ لقد جلست الليلة تلو الأخرى، تهمسين عبر كتبك وتتفدين الصفقات...».

«ما الذي تتحدثين عنه؟ لا أعرف عما تتحدثين...».

«القارب! قاربه! لقد منحت إياه»، اقتربت كاتري منها، كانت تتحب بصمت، وقد تصلّب وجهها: «لقد منحت القارب»، قالت: «كان من المفترض أن يأتي مني، لا بدّ أنك قد عرفت ذلك».

«لا»، صاحت أنا: «لا، لم أعرف ذلك!».

«لعبة ماتس! لقد أخذتها على محمل الجدّية».

«لم أعرف ذلك»، كرّرت أنا: «لا تتصرفي بهذه الطريقة، أنت

تخيفيني...».

«أعرف ذلك»، قالت كاتري: «ينبغي أن نعتي بك، فأنت حسّاسة للغاية، وتحقرين المال، وهو لا يعني شيئاً لك، فأنت تتبرعين به هكذا، وتجلسين عليه وتلعبين به، وبغض النظر عما تفعلن، علينا الاعتناء بك، فأعطاء هدية شيء ممتع للغاية، أليس كذلك؟ لشخص ودود يدهشه ذلك ويجعله ممتناً؟ لقد عشت طوال حياتي معه، وانتظرت كل ذلك الوقت لأجعله سعيداً، لقد تم تدوين كل شيء، جميعه مدون وبأرقام صادقة وافقت عليها بنفسك، أليس ذلك صحيحاً؟ كان لدي فكرة...».

شعرت أنا برعب شديد، وصرخت من أعماق دهشتها: «أنت

لا تعرفين شيئاً عن الأفكار! ماتس هو من يعرف، وأنا أعرف كذلك، ونحن نحاول أن نشكّلها، ولكن كل ما تقومين به أنتِ هو الحساب.. اغربي عن وجهي».

لم ترد كاتري.

«كان لديّ فكرة واحدة»، قالت آنا: «نعم، ولكنها لم تعد موجودة، ألا تستطيعين إسكات كلبك؟».

* * *

أوه، يا آنا، دعي الكلب ينبج، دعيه يُنحّ معبّراً عن رثائي للنزوة وخداع الذات، للقسوة اللطيفة المكبوتة والتملّص والحماسة السهلة الضيقة الأفق! الحماسة بالذات، تلك الحماسة الموهوبة والتي ويعجز عنها الدواء، أرسلها أيها الكلب إلى الأعلى! لأنك لن تعرف أبداً ولن تفهم أبداً ما الذي كنت أحاول فعله!

* * *

نزلت كاتري إلى الشاطئ حيث كان ماتس يسير تجاهها. «لماذا يقوم الكلب بالنباح؟» سأل ماتس.

لم تجب كاتري.

«لا بدّ أن شيئاً ما حدث له، ماذا ستفعلين؟».

«لا شيء».

«لا شيء؟ ماذا تعنين؟ أنت تعرفين أنك الشخص الوحيد الذي يعتمد عليه ذلك الكلب».

«يا ماتس، أرجوك»، قالت كاتري: «لا تغضب، ليس الآن».

«ولكن يبدو الأمر وكأنك لا تكثرين».

هزّت رأسها بالنفي، لم يتكلم أي منهما، ومن ثم قالت: «انظر إلى تلك الصخور هناك، تبدو كالورود، أليس كذلك؟». نظرا

إلى الصخور الكبيرة على امتداد الشاطئ التي برزت الآن في فصل الربيع حالكة السواد مقابل الجليد المنحسر، وحول كل واحدة منها تكسّر الجليد وبدا مثل بتلات ورود ضخمة، لقد كانت كاتري محقة؛ فتلك الصخور بدت فعلاً مثل الورد، بأزهار داكنة امتدت بعيداً من خط الشاطئ وألقت بظلالها الطويلة عبر الجليد، وقد شكّلت الشمس، وهي على وشك المغيب، خطاً ذهبياً لامعاً إلى حيث قدميهما تماماً.

«يا كاتري»، قال ماتس: «تعال، أريد أن أريك شيئاً، ولكن عليك الاستعجال، فلدينا بضع دقائق فقط».

كانت شمس المساء بالقوة نفسها داخل ورشة القوارب، تشع عليهما من كل سطح مصقول، من كل أداة للعمل، مما جعل المكان يتلألأ مثل الذهب الداكن، مترعاً بالمغيب والسكينة، نظرت كاتري إلى القارب، ما زال في عملية البناء، ما زال هيكلاً فقط، في مرحلة التشبيك، وكان الأكثر لمعاناً من الأشياء كلها، ومن ثم اختفت الشمس من وراء الأفق وتوارت الألوان.

«شكراً لك»، قالت كاتري: «هل من الممكن أن أبقى هنا لبعض الوقت؟ أعرف أنني بحاجة للخروج من الوجه البحري».

«نعم، يفضل ذلك»، قال ماتس: «ولا تنسي أن تغلقي المزلج».

نبح الكلب طوال الليل، وكان يعوي في بعض الأحيان، ومع اقتراب الصباح، خرجت كاتري وفكّنت قيده، فجري إلى داخل الغابة، فيما بعد، عاد النباح يُسمع من بعيد.

في اليوم التالي، قتل الكلب أرنباً؛ ليس أمراً مهماً في حقيقة الأمر، ليس إلا واحداً من أرانب الإخوة ليليبيري قتله كلب بدل أن يقطع رأسه بعد يوم أو يومين حسب الخطة المعمول بها في المزرعة. كانوا قد أخذوا أماكنهم لتناول العشاء، بدأ الكلب يضرب على باب الردهة، فأدخله ماتس، وجرى الكلب مباشرة إلى أنا ووضع الأرنب الميت عند قدميها، أسقطت أنا ملعقتها في طبق الحساء وغدت شاحبة اللون.

«خذه إلى الخارج»، قالت كاتري: «سريعاً، يا ماتس».

جلست أنا بلا حراك، وهي تحمّل بالأرضية، لم يكن ثمة الكثير من الدم، بضع نقاط فقط. نهضت كاتري، ووضعت منديلها على نقاط الدم البائسة، ثم ذهبت إلى أنا وقالت: «إنه ليس بالأمر المهم، لا شيء يستحق الشعور بالانزعاج».

«قد يكون الأمر كذلك»، علّقت أنا وعادت لتناول حسائها ببطء: «أذهبي للجلوس في مكانك»، وبعد بضع لحظات، أضافت: «يا كاتري، أنتِ تعامليني بلطف».

ألقي بالأرنب الميت خارجاً على الجليد.

استمر الكلب بالنباح في الليل، أحيانا عن بعد، وأحيانا قريبا من المنزل، مع اقتراب الصباح، كان يقوم بالعواء، كان من الممكن أن تهدأ الأمور لساعات، ولكن ثمة من هم يرقدون في الفراش ينتظرون العواء التالي، ثم يسألون: «هل سمعت ذلك؟ إنه يشبه وجود ذئب في الغابة، ثمة امرأة بائسة لديها كلب بائس، ينبغي قتله».

لم تتحدث كاتري عن الكلب، ولكنها كانت تضع الطعام والماء في الباحة، وأحيانا خلال الليل كان ماتس ينتظر بجانب باب المطبخ والنور قد أطفئ والباب مفتوح، لقد رأى الكلب مرة واحدة، تماما عند انبلاج الفجر، وخرج ببطء شديد على الدرج وحاول استمالته، لكنه جرى سريعا إلى داخل الغابة، فتركه لشأنه.

في يوم أحد ما، جاءت السيدة نيفارد للزيارة، كانت قد صنعت خبزا، وأتت ببعضه وهو ما زال ساخنا، ملفوها بمنشفة. «يا آنسة إميلين»، قالت: «أود التحدث إليك منفردة، إن كان ذلك لا يزعج كاتري. كما أرى، أنتما معتادتان على الجلوس معا على الطاولة». انتقلت سريعا إلى الموضوع المعني: «أنا أكبر منك سنا، يا آنسة إميلين، ومن هنا سأجازف بالتحدث عن أشياء قد تبقى كامن

في أوضاع أخرى، فالناس في القرية بدؤوا يغطون، واعتقدت أنه من حسن التصرف أن آتي إلى هنا وأستفسر عما يحدث في بيت الأرانب».

«ماذا يقولون» سألت أنا سريعا: «ما الذي يقولونه عني؟ هل هو صاحب المتجر؟».

«يا عزيزتي، أرجوك، لنناقش الموضوع دون إثارة...»
 «أوه، أنا أعرف ذلك»، قاطعتها أنا: «إنه هو، ولا أحد غيره، فهو رجل شرير، وليس محل ثقة»، ظهرت بقع حمراء بوضوح فجأة على خدي أنا، وكانت عيناها حادتين عندما انحنت نحو ضيفتها: «هذه هي الحقيقة؛ قللي ذلك، إنه هو، وإلا، فهم الإخوة ليليبيري، إنهم يمارسون الغش، يفشون ماتس، فماتس لم يتلقَ أجره الكامل طوال الوقت، والكل يعرف ذلك، وهذا كله يتعلق بالقارب، أليس كذلك؟».

بقيت السيدة نيفارد صامتة لفترة طويلة، وأخيرا قالت جادة: «كان لدي شعور أن الأمور ليست على ما يرام هنا، والآن أدرك أنني كنت محقة، أصغي إلي الآن، يا صديقتي العزيزة الصغيرة، نحن نريد أن نعرف ما إذا كنت على ما يرام، لماذا يستمر ذلك الكلب بالعواء؟».

دفعني أنا بفنجان قهوتها بعيدا. «أرجو المَعذرة»، قالت: «فأنا لم أحب القهوة حقا قط، كنت أحبها، أعني، كنت أظن أنني أحبها.. لا أعرف، لا أعرف لماذا يقوم بالعواء، لا أريد التحدث عن ذلك».

«يا آنسة أنا، هل القارب هدية منك؟».

«لا، إنه هدية من كاتري».

«أوه نعم، كاتري، نعم، فقد كانت تجمع له منذ وقت ليس بالقصير».

«وماذا لو كان الأمر كذلك؟» أنا تعجبت متحدية: «توفر كاتري المال منذ وقت طويل، وقد دونت كل شيء في أحد الدفاتر». أومات السيدة نيفارد برأسها ببطء. «نعم، فعلا»، قالت: «لا يملك الجميع عقلا بارعا يفكر به».

«إن كاتري محل ثقة!» استمرت أنا بحماس: «فهي الشخص الوحيد الذي أستطيع الاعتماد عليه».

«ولكن لماذا أنت مثارة إلى هذه الدرجة؟ نحن نعرف جميعا أن كاتري كلينغ امرأة كفاء وصادقة، يا عزيزتي أنا الصغيرة...».

قاطعتها أنا مرة أخرى: «لا تقولي عزيزتي الصغيرة.. انتظري، انتظري لحظة، ليس ثمة من شيء...». بعد برهة قصيرة، برزت أنه بداعي العمر، اغرورقت عيناها بالدمع سريعا.. «وكذلك بسبب شمس الربيع. مزيد من القهوة؟».

«لا، شكرا، لا أريد مزيدا منها».

جلست السيدة نيفارد بهدوء تنتظر ويداها مكتوفتان على بطنها، أخيرا تولت أنا الحديث للتكلم عن شيء طالما أزعجها منذ فترة ليست بالقصيرة؛ ألا وهو أنها بدأت تتحدث بالسوء عن الآخرين. «لم أعتد على فعل ذلك قط»، قالت: «صدّقيني، لم أفعل ذلك البتة، جاء شخص لوالدتي مرة وقال: (ابنتك مختلفة عن غيرها، فهي لا تتحدث بالسوء عن الآخرين أبدا)، ما زلت أتذكر ذلك، أتذكره بكل وضوح، ولكن لماذا؟ هل كنت أثق بالجميع؟ أو أن الأمر يعبر عن مسامحتي لهم فقط؟».

«حسنًا»، قالت السيدة نيفارد: «ذلك الأمر حدث منذ وقت طويل، أليس كذلك؟».

«ولكنك تثقين بالآخرين، أليس كذلك؟».

«نعم، أظن أنني أثق بهم، لمَ ينبغي عليّ ألا أفعل ذلك؟ يرى المرء ويسمع الكثير عن الطريقة التي يتصرف بها الناس، ولكن تلك مشكلتهم، لا يريد المرء أن يجعل الأمور أكثر سوءًا بالظن بأنهم لا يعنون ما يقولون».

«بدأ الظلام يخيم على المكان»، قالت آنا: «لا أريد تأخيرك أكثر من اللازم».

«أنا لست على عجلة من أمري»، قالت السيدة نيفارد: «لقد مرّت تلك الأيام، ولكن أظن أن عليّ الذهاب على أية حال، أحيانًا ليس من الحكمة تجاوز الحدود في الحديث دفعة واحدة».

توقف الكلب عن المواء في تلك الليلة.

اقترب فصل الربيع، وخلال النهار، نفثت التربة من تحت الأشجار بخارا في ظل الشمس الدافئة، في حين كانت الليالي باردة للغاية وزرقاء غامقة، وكانت فترة تتألق جمالا، كان القارب جاهزا تقريبا للإبحار، ولكن لم يتحدث عنه أحد في بيت الأرناب، وقد وصلت أسراب البط. وفي إحدى الليالي، بدأت الرياح تعصف من جهة البحر، كانت كاتري تستلقي مصغية، تستذكر ليالي الربيع التي اعتادت فيها النزول إلى الماء وانتظار الجليد ليتكسر، كانت صغيرة جدًا حينها، وعندما كان يحين وقت قدوم أولى طيور النورس، اعتادت أن تذهب لانتظارها، كانت تلك الطيور تأتي في الليلة نفسها تقريبا في كل عام.

أجل، كانت تأتي في الليل دائما، كنت أقف دون حركة وأصغي، وحيدة تماما بصحبة الطبيعة والليل، وحتى في ذلك الوقت كنت أتمتع بالصبر الذي أملكه الآن، وكانت أفكارني آنذاك كبيرة كما هي الآن؛ خطط وانتصارات في العالم الرحب، ولكنها كانت مجرد أفكار دون موطئ قدم أو هدف واضح، كانت قوية فقط، ولكنني الآن أعرف ما أريد.

لم يأت كاتري النوم في تلك الليلة، فتهضت عند الفجر، وارتدت ملابسها، وخرجت، لم يكن الجو باردا، ولكن الرياح

كانت قوية ومنظمة. كانت الشمس على وشك الشروق، وكان الضوء الشفاف واللطيف نفسه، وقد خلا من أي لون، مخيما عبر الشاطئ والجليد والسماء، وقفت كاتري على نهاية رصيف الأسماك تراقب الجليد يرتفع وينحني من فوق الموجة المتجهة نحو الشاطئ، موجة طويلة وبطيئة ترتفع وتنخفض باستمرار.

سيتكسر الجليد ولكن ليس بعد، فالجليد صلب للغاية، ولا بد من وجود مياه مفتوحة لمسافة أطول، سيقوم الناس بإطلاق القوارب في الماء قريبا، لماذا لا يقول شيئا عن القارب؟ كانت كاتري تسير نحو المنارة، وفي منتصف الطريق، لمحت الكلب يتبعها على أطراف الغابة، متواريا بين الأشجار أحيانا، وعند وصولها إلى المنارة، كان قد اختفى. صعدت كاتري الدرج المؤدي إلى باب المنارة المقفول، والشمس تشع مباشرة في عينيها، وعلى خط الشاطئ تماما، كان الجليد قد تكسر، كانت رقائق الثلج تفسخ وتهمس عند ارتطامها بالصخور، قبل أن تتراكم وتتكسر، وقد كانت المياه داكنة للغاية.

كان الهجوم صامتا، ولكن كاتري أحسّت بشراسة الكلب ونواياه العدوانية، فرمت بنفسها على جدار المنارة، ووضعت يديها أمام وجهها، كانت قفزة الكلب عظيمة، جديرة بحيوان ضخم لم يستخدم قط قوته الحقيقية، وللحظة أحسّت بأنفاسه الحارة تطبق على حنجرتها، خدشت مخالفته الإسمنت بينما انخفض جسده الثقيل إلى الورا، وفقا بلا حراك، يحدق كل واحد منهما بالآخر، بعينين صفراوتيّ اللون. وأخيرا أرخى الكلب أذنيه وأنزل ذيله، ثم استدار فجأة وجرى تجاه الشرق، بعيدا عن القرية.

* * *

كان ماتس يجمع الحطب في الباحة الخلفية عندما عادت كاتري إلى المنزل، فقال على الفور: «ما الذي حدث؟»
«لا شيء».

«ما الذي مزق معطفك؟»

«إنه الكلب، ولكنه أخطأ الهدف، ولم يحدث أي شيء».
فسار نحوها: «ما زلت تقولين إن شيئاً لم يحدث، ماذا حدث للكلب؟»

«لقد لاذ بالفرار».

«هذا أمر مؤسف، والآن قد لا يعود أبداً، سيصبح متوحشاً، ولن يبقى على قيد الحياة، وما زلت تقولين إن شيئاً لم يحدث».
«دعه يذهب»، ردّت كاتري: «ماذا تريدني أن أفعل؟»

«الاهتمام! يجب أن تهتمى به! إنه كلبك، وأنت تخيفينه».
«أنت تكرر نفسك يا ماتس»، خاطبته قائلة: «لقد أفرطت في قضاء الوقت مع أنا، كن حذراً، فهذا ليس لصالحك في الوقت الحالي»، ثم لم تستطع كاتري أن توقف نفسها، فبدأت بالصراخ على شقيقها الحبيب: «ما الذي تظنه؟ ما الذي يجري برأيك؟ ألم أحاول؟ لقد عملت صفقة مشرفة، لقد حاولت أن أقدم الحماية، ووفّرت الأمن حين لم يكن ثمة أمان، ولا توجيهات، ولا شيء على الإطلاق! أنا من وفّرت الأمان، ماذا تظن؟ ألم تر الدرب الذي سرت فيه عبر القرية مع ذلك الكلب جنباً إلى جنب، كأننا مخلوق خارق للعادة؟ لقد كان ذلك الكلب واثقاً وفخوراً بنفسه كملك! كانت جميع الكلاب الهجينة تلوذ بالصمت عندما نمر بها، كنا نعلو على بعضنا، لم يترك أي منا الآخر وحيداً في مأزق، كنا واحداً، جسداً واحداً، وقد توقفت..».

«ما الذي توقعته؟»

«لا أعرف»، أجابت قائلة: «ربما أن تؤمنوا بي جميعاً، أن تثقوا بي.. عندما تنتهي من كومة الحطب، تذكر أن تغطيها، استخدم ذلك اللوح المعدني خلف المخزن».

في الردهة الخلفية، طوت كاتري معطفها ووضعتة على ظهر الصندوق الصغير الذي كانت عائلة إميلين تخزن فيه الأحذية الشتوية.

غدت الليالي مضيئة وباتت أقصر مع مرور كل يوم، لم تستطع كاتري النوم، أخيرا قامت بتغطية النافذة ببطانية، ولكن ذلك لم يحل المشكلة إطلاقا، كانت تدرك أنها ليلة ربيعية، النوم والظلمة يقتربان، أما الليالي المضيئة، فتسبب أرقا وقلقا.

لماذا كان ماتس غاضبا جدا مني؟ ألا يستوعب الأمر؟ ينبغي أن يدرك مدى الجهد الذي أبدله طوال الوقت، كي أخضع كل شيء أقوم به لاختبار صارم؛ كل فعل، كل كلمة أختارها دون غيرها من الكلمات، إذا كنت تحاول بكل ما أوتيت من قوة، أليس من الأجدر أن تكون دوافعك هي الأكثر أهمية؟ أليس من الأجدر إعطاؤها أهمية أكثر من النتيجة النهائية؟ وإذا كنت تفعل كل ما بوسعك لتحمل المسؤولية وتقديم الحماية، دون إعطاء الراحة الشخصية ولو مساحة صغيرة..؟ ينبغي ترك الناس الذين يعتمدون على غيرهم كي يعتمدوا بشكل كامل على الشخص الذي يتخذ القرارات عنهم، ويعلمهم، ويوجههم، ويمنحهم الشعور بالأمن والأمان.. ينبغي على الجميع أن يستوعب ذلك.. وأين ذلك الكلب، إلى أين هرب في هذه الليلة؟ لم يعد يثق بأي أحد بعد الآن، فقد أصبح يشكل خطرا كما الذئب، ولكن الذئب تتصرف بشكل أفضل، فهي تتجول في مجموعات، إن الحيوانات

التي تكون بمفردها فقط هي التي تتعرض للمطاردة أو القتل.. خرجت كاتري إلى الساحة، لم يأت الكلب إلى المنزل، فطعامه لم يُمس، كان ثمة ضوء في المطبخ، فتحت أنا النافذة ونادت: «كاتري؟ أهذه أنت؟ أين وضعت ما تبقى من كرات اللحم؟»
 «إنها في الأسفل، جهة اليمين، في وعاء بلاستيكي مربع».
 «إذن، أنت أيضا لا تستطيعين النوم؟»
 «بلى، فالأمر يستغرق وقتا لأعتاد على هذه الليالي المضيفة».
 «لقد كنت أحبها»، قالت أنا: «كنت أحب الكثير من الأشياء»،
 بدا صوتها باردا.

«عندما كنت صغيرة السن؟».

«كلّا»، ردت أنا: «قبل مدة ليست ببعيدة، بالمناسبة، لا أريد أن أتناول أي شيء، ويمكنك إحضار طبق الكلب من الخارج، فهو لن يرجع إلى هنا، يريد الاعتماد عنك». أطفأت أنا النور في المطبخ. في الشرفة، انعكس ضوء الليل بقوة على كل النوافذ المطلة على البحر.

من خلفها قالت كاتري: «أنا؟ انتظري قليلا؛ لا تفادري بعد، هلا أخبرتي ماذا حدث لك من فضلك؟». وعندما لم تجب أنا، أكملت كاتري قائلة: «ألا تعرفين عما أتحدث؟».

«أجل، أعرف»، أجابت أنا وقد تغير صوتها؛ كان صوتا رحيما: «أعرف عما تتحدثين، ما حدث لي هو أنني لم أعد قادرة على رؤية أرض الغابة». ثم ذهبت إلى غرفتها وأغلقت الباب من خلفها.

في يوم ربيعيّ جميل وهادئ جاء ماتس وقال: «بإمكانكم أن تأتوا وتشاهدوا الآن، لقد قمنا بتنظيف الورشة ونحن لن نعمل اليوم»، لقد كان مسرورا جدا بذلك، وفي الطريق إلى الميناء، كان ماتس يشرح لكل من كاتري وأنا أن أفراد عائلة ليليبيري لم يعرضوا قط عملا نصف مكتمل، فحتى المشتري لم يكن يُسمح له بالدخول إلى الورشة إلى أن يتم الانتهاء من تجهيز القارب للإبحار: «بالطبع، الرسومات موضوع آخر، فهم يقومون بمراجعتها مرات عدة مع المشتري حسب رغبته، ولكن بعد ذلك عليه أن يدعمهم يصنعونه، وذلك هو الفرق بين الحرفي والمشتري».

وعندما دخلوا ورشة القوارب، قام الإخوة ليليبيري، وهم يقفون بجانب طاولة العمل، بإلقاء التحية بتحفظ ولباقة وتركوا الأمر لماتس كي يقوم بعرضه. كان ماتس صغير السن ومفعما بالحيوية، ولم يكن قد اكتشف بعد صمت المحترف الفخور، كانت الأرضية قد نظفت والأدوات معلقة في أماكنها المحددة، وانتصب القارب وحيدا في منتصف الورشة، وقد وقّع بحرف «و» الرنّان الذي يشير إلى «واستري». كان شرح ماتس سريعا وهادئا، فقد غطى جميع الخصائص التقنية للقارب، وقاد كاتري

وأنا حوله، لافتا انتباههما إلى تفاصيل استلزمت منه الكثير من التفكير وواجه صعوبة في إنجازها، ولم تنطق المرأتان إلا بالقليل، إذ كانتا تصغيان إليه باهتمام بالغ، وتومثان برأسيهما بين الحين والآخر كما يومئ شخص عندما يعجب بقطعة فنية جيدة. وأخيرا، توقف ماتس عن الكلام ووقفوا ثلاثتهم بجانب السارية بصمت.

«حسنًا»، قال إدوارد ليلييري وهو يسير نحوهم: «الآن وقد رأيتم القارب، نحن جاهزون، سنقوم بإبحاره قريبا، والآن لم يبق سوى أمر مهم واحد، ألا وهو تسميته، فما عسانا أن ندعوه؟»
لم ينبس أحد ببنت شفة، وأخيرا وضعت أنا يدها على السارية وقالت: «يمكن أن نسميه (كاتري)؟» ذلك اسم جيد لقارب، وعلى أية حال، فهو هدية من كاتري إلى ماتس.

«هذه فكرة جيدة»، قال إدوارد: «لنشرب نخبه عندما يحين الوقت»، اقترب إخوته وصافحوه، وبدؤوا نقاشا عاما حول المكان الذي ينبغي وضع الاسم فيه؛ على مقدمة القارب أو على مؤخرته، أو ربما على جانب المقصورة، إما بأحرف نحاسية وإما منحوتة في الخشب، وفجأة سألت أنا: «ولكن أين كاتري؟»

«ربما ذهبت»، أجابها أحد الإخوة، وقد خطر بباله أنه كان بإمكانها أن تودعهم على الأقل، فوضع اسم شخص على قارب لا يحدث كل يوم.

قال إدوارد: «فلننه حديثنا هنا ونأخذ استراحة لبقية اليوم، إن كان الجميع راضيا، فأنا سعيد بالتأكد».

سارت أنا وماتس عاثدين إلى المنزل، وكان التل المؤدي إلى هناك موحلا ويعج بجداول المياه.

«دعني أنكئ عليك»، قالت آنا: «فهذا التل يسوء كل عام هكذا، وهو أسوأ حالا الآن».

«ثمة أمر أعجز عن فهمه»، قال ماتس مترددا: «تحدثنا في ذلك المساء عن القارب، يا آنسة إميلين، وقلت لي...».

قاطمته آنا قائلة: «أجل، أجل، فأنا أقول الكثير من الأشياء، كنت مخطئة، لقد أدّخت شقيقتك لذلك القارب منذ وقت طويل، كي تستطيع إهداءه لك، والأكثر من ذلك، أنا لست الأنسة إميلين، أنا آنا، والآن دعك من القلق حيال مختلف الأمور، قرر فقط كيف تريد الأسرة وصندوق المحرك وكل ما يتبع ذلك».

* * *

رأت كاتري مجسّما لقارب فور دخولها غرفتها، كان ماتس قد وضعه في النافذة، حيث انعكس ظله مقابل السماء، أغلقت الباب واقتريت منه، وقد لاحظت أن النموذج كان طبق الأصل في أدق التفاصيل، لا بد أن ماتس أمضى وقتا طويلا في تصميمه، فقد استخدم أنواع الخشب ذاتها، كان هناك أسرة، وصندوق للمحرك، وحبل، وكل شيء، وكانت التجهيزات مصنوعة من النحاس، وكان الاسم منحوتا بدقة على مقدمة القارب حسب قواعد الخط الكلاسيكي، الاسم كان (كاتري).

* * *

لقد وصلوا إلى المنزل، ذهبت آنا إلى غرفتها، صعد ماتس الدرج، سمعت كاتري وقع خطواته، وأرادت أن تخرج إليه فورا، ولكنها شعرت بالإحراج وثبتت في مكانها ولم تعرف ما ينبغي قوله، وقبيل أن يهتّم بإغلاق باب، انفكّ تردها، فأسرعت إليه

وأخذته بين ذراعيها، للحظة فقط، ولم ينبس أي منهما ببنت شفة، كانت تلك المرة الأولى التي تتجراً فيها كاتري على عناقه.

* * *

مع اقتراب فترة ما بعد الظهر تلاشت الرياح وغدا المحيط هادئاً للغاية، خلا نباح بعض الكلاب في القرية من حين لآخر، ولم يصدر أي صوت من غرفة أنا طوال اليوم.

أعرف، لقد ذهبت للنوم مرة أخرى، لقد باتت تلف نفسها بالأغطية، وتمضي وقتها في النوم لأنها لم تعد ترى أرض الغابة، ولم يعد ثمة شيء البتة ترغب بالقيام به، فهي تثبتي بالأرض، حيث هي طوال الوقت كثقل ما، إنها هي، أنا إميلين، ما زلت أتذكر الكلب في منزلنا، عندما كنت فتاة صغيرة، ذلك الكلب الذي كان يقتل الدجاج، لقد ربطوا دجاجة ميتة حول عنقه كان يحملها طوال اليوم حتى جثم هناك بلا حراك مغمضاً عينيه وقد انتابه شيء من شعوره بالخجل. إنها القسوة بعينها، وليس ثمة ما هو أسهل من أن تجعل شخصا يشعر بتأنيب الضمير.. هل سيبقى الوضع على ما هو عليه؟ ربما، هل تظن أنها الوحيدة التي تشعر بالتعب، مختبئة في فراشها، مستسلمة لأن العالم ليس كما تخيلته؟ هل هي غلطتي؟ كم من الوقت يحق لشخص أن يبقى حاجبا النور عن عينيه؛ ما الذي تتوقعه أنا إميلين هذه.. ماذا تريد مني أكثر مما فعلت؟ لو كان حقا ما تتظاهر به، لكان الخطأ حليف كل شيء، لكان كل شيء فعلته وقلته وحاولت أن أجعلها تلاحظه بمنتهى الشناعة، ولكن براءتها رحلت عنها منذ زمن بعيد، ولم تلاحظ ذلك قط، إنها لا تأكل إلا النباتات فقط، ولكنها تمتلك فؤاد شخص يأكل اللحوم، وهي لا تعرف

ذلك، ولم يخبرها أحد به، ربما لا يهتم الآخرون بها بما يكفي لفعل ذلك، ماذا عليّ أن أفعل؟ كم هي الأنواع المختلفة للحقيقة، وما الذي يبررها؟ ما يؤمن به المرء؟ ما يحققه؟ خداع الذات؟ هل النتيجة هي من تحدد الأمر؟ لم أعد أعرف.

طرق عصا أنا على السقف مرات عدة بغضب، عندما نزلت إليها كاتري، كانت تجلس في سريرها وقد لفت نفسها بإحكام بالغطاء. «ماذا تفعلين في الطابق العلوي؟» سألت أنا كاتري: «أنتِ تتحركين جيئةً وذهاباً لساعات! وأنا أحاول النوم».

«أعرف ذلك»، قالت كاتري: «هذا كل ما تفعلينه، النوم، ثم النوم، هل تظنين أن الأمر سهل بالنسبة لي، وأنا أدرك أنك تقضين أيامك في النوم لأنه لا شيء يعكس تماماً ما فاض به خيالك».

«ماذا تعنين؟»، سألت أنا: «ما وجدت لتعظي حوله؟ لا أنعم بالهدوء قط في هذا المنزل، ألسنتُ مسرورة بقاريه؟» «بلى، يا أنا، إنني مسرورة بقاريه، كان تصرفاً شهماً منك، أو بالأصح فهو ببساطة تصرف منصف».

«كما تشائين»، قالت أنا منزعجة: «وما الضير في رغبتني بالنوم؟ على أي حال، لقد أيقظتني تماماً الآن، اجلسي وتمالكي نفسك، ما المشكلة؟».

«ثمة شيء عليّ أن أخبرك به، إنه أمر مهم».

«إن كانت شركة المطاط المتحدة الآن، فمرة أخرى...»، شرعت أنا بالحديث.

«كلا، إنه أمر مهم، أصغي إليّ، أصغي بعناية، لم أكن صادقة معك، ينبغي أن تعرفني أنني كذبت عليك منذ البداية، أخبرتك

بأشياء غير صحيحة عن الآخرين، كنت مخطئة وعليّ أن أخبرك الآن، لقد فات الأوان ولكن عليّ قول ذلك»، تكلمت كاتري بسرعة للغاية، وقفت في الباب ونظرت إلى الجدار من خلف أنا.

«رائع»، قالت أنا: «رائع حقاً»، انتصبت وعدلت رداءها وأعدت الغطاء إلى مكانه: «أنتِ مذهشة، أحياناً أظن أنك أكثر شخص جدّي في العالم على الإطلاق، الآخرون يتكلمون، أما أنتِ فتصرحين، والشيء الوحيد المسليّ فيك هو أنك فجأة تقولين شيئاً غير متوقع منك البتة، هل أنتِ تقومين بالتسلية الآن؟».

«كلا»، قالت كاتري دون أن تبسم.

«هلاً أعدتِ كل الأشياء التي قتلها للتو؟».

«كلا».

«قلتِ إنك كنتِ تخبريني بقصص وهمية».

«أجل».

«وماذا يعني ذلك؟».

«يعني..» قالت كاتري بصعوبة: «يعني أن أولئك الناس لم يغشوك، بأولئك الناس أعني الناس الذين كنتِ تتعاملين معهم، الناس الذين من حولك، والناس الذين كانوا يرأسلونك، فهم لم يغشوك، يمكنك أن تثقي بهم من جديد».

«خذي سيجارة واجلسي»، قالت أنا: «لا تثقي هناك تنظرين بهذه الطريقة، ثمة منفضة للسجائر، هل أنتِ تتحدثين الآن عن صاحب المتجر، على سبيل المثال، وليليبيري؟».

«أجل».

«أو ربما سيئة السمعة فرو ساندبلوم؟» قالت أنا وضحكت.

«يا أنا، هذا أمر جدّي، إنه مهم للغاية».

لكن أنا استمرت بالحديث بمعنويات عالية ومزعجة فجأة:
«مهم؟ ماذا تعنين بهمهم؟ ربما ذو معنى؟ هل تتحدثين عن شركة
البلاستيك؟ تعنين أنهم لم يكونوا يغشونني؟ كانوا طيبين مثل
ناشري؟ كانوا فقط ببراءة أولئك الأطفال المحرومين الذين كانوا
يريدون الاستحواذ والاستحواذ باستمرار.. هل هذا ما تحاولين
قوله لي؟»

«يا أنا، أرجوك».

«لم يكونوا يغشونني؟ ولا واحد فيهم؟».

«ولا واحد فيهم».

«أنت شخص غريب جداً»، قالت أنا: «تقدمين حساباتك
وبراهينك، تجدين الشر في الجميع وتقنعينني بذلك، ثم تأتين
إليّ لتقولين، تجربين أن تأتي إليّ لتخبريني بأن كل ذلك غير
حقيقي؟ لماذا تفعلين هذا؟».

كانتا جالستين في كرسيين يقابلان الطاولة الصغيرة التي
كانت مقابل الجدار، حدّقت أنا بكاتري، وفجأة بدا لها أنها لم
ترقّط إنساناً أكثر حزناً من كاتري كلينغ: «هل تحاولين أن تكوني
لطيفة معي؟» سألتها.

«أنت مرتابة الآن»، ردّت كاتري: «ولكن ثمة شيء واحد يمكنك
تصديقه، لا أحاول أبداً أن أكون لطيفة، سأكرر ما قلت حتى
تصدّقيني».

«ولكن لا يمكن أن أصدقك أبداً بعد ذلك؟».

«لا، لا يمكنك ذلك».

انحنيت أنا من فوق الطاولة وقالت: «يا كاتري، ثمة شيء فيك
يتجاوز الحدود..»، كانت تبحث عن الكلمة المناسبة: «... شيء

مطلق، وهو لا يقودك إلى أي وجهة، ألن يكون من الأجدر الآن أن تذهبي وتستلقي على سريرك لبعض الوقت؟» وضعت يدها على يد كاتري: «لساعة أو ساعتين، ليس إلا، ومن ثم يمكننا أن نستوعب كل هذا».

«شيء مطلق»، قالت كاتري: «وهو لا يقودني إلى أي وجهة؟» ثم أطفأت سيجارتها: «إن كان ثمة شيء مطلق، فهو فيك، وهو يقودك مباشرة حيث الوجهة التي تريدينها، وأنا أعرفها، سأكتب لك رسالة».

«لا رسائل بعد الآن...».

«تلك الرسالة، لا غير، ولا يسمح لك أن تلقي بها داخل الخزانة، سأثبت لك أنني كنت مخطئة، لقد قلت ذلك بنفسك، بأنني أستطيع الحساب والبرهان، سأقتنعك وصولاً إلى أدق التفاصيل بأنني كنت مخطئة».

«يا كاتري»، قالت آنا: «ألا يمكنك الذهاب وأخذ غفوة قصيرة؟ لقد كان يوماً طويلاً».

«أجل»، قالت كاتري: «لقد كان طويلاً، سأذهب».

عندما عادت كاتري إلى غرفتها، أخرجت حقيبتها من تحت السرير، فتحتها، ثم جلست على حافة المرتبة وأصغت، ليس إلا، كان مساء هادئاً للغاية، ولكن ذلك الصمت الهادئ لم يسعفها البتة في أن تقرر ما عليها فعله، تداعت في رأسها كلمات وصور؛ كلمات لم تنطق أو متسارعة، صور غير مألوفة أو مألوفة أكثر من اللازم، والصورة الأخيرة التي ثبتت كانت صورة الكلب، كلب يجري ويجري دون توقف حاملاً شارة جلد الذئب المشؤومة.

في صباح مهم تم التفكير فيه بعناية، خرجت أنا في ساعة مبكرة جدا للعمل، كانت قد اختارت المكان في اليوم السابق، وأخذت معها كرسيًا منخفضًا بشكل كافٍ للجلوس عليه ليكون صندوق الألوان وكأس الماء في متناول يدها، لم تكن أنا تستخدم مسندًا للرسم، فقد بدت مسندات الرسم لها كإجراء شكلي واضح مبالغ فيه. أحببت أن تعمل بأكبر درجة ممكنة من البساطة، إذ كانت تبسط الورقة على لوح في حجرها، قريبًا من يدها، كان الضوء في أحسن حالاته صباحًا، أو في المساء عندما تتعمق الألوان، لذا كان على الرسّام أن يعمل سريعًا قبل أن تتلاشى الظلال وتختفي.

جلست أنا بانتظار أن تنقش غشاوة الصباح عبر الغابة، كان السكون الذي تحتاج إليه تامًا، وحينما اختفت جميع العناصر الدخيلة، ظهرت أرضية الغابة، رطبة وداكنة وعلى أهبة الاستعداد لتفجر بكل ما تحتزنه من نباتات. كانت فكرة إقحام الأرناب الوردية في أرضية الغابة ضريبًا من المحال.

أ.د. محمد فرغل

- من مواليد بلدة سوف - الأردن، العام 1956.
- حاصل على شهادة الدكتوراه في اللغويات العامة، جامعة إنديانا، 1986.
- عمل أستاذاً للغويات والترجمة في جامعة اليرموك بالأردن، ثم التحق بجامعة الكويت منذ العام 2001.
- نشر عشرات الأبحاث العلمية في المجلات الإقليمية والعالمية.
- ألف العديد من الكتب الأكاديمية، آخرها عام 2015 كتاب مسدر في لندن عن نظريات الترجمة وتطبيقاتها العملية.
- ترجم العديد من المجموعات القصصية والأعمال الروائية والمقالات العلمية.
- حصل على جائزة عبدالحميد شومان للعلماء العرب الشباب (الأردن) في العلوم الإنسانية في العام 1993.
- حصل على جائزة الباحث المتميز في العلوم الإنسانية من جامعة الكويت في العام 2005.

حنان عبد المحسن مظفر

- مواليد 1967.
- دكتوراه في الأدب والنقد الإنجليزي من جامعة إنديانا في بنسلفانيا 2000.
- عملت في سلك التدريس منذ عام 1989، بدءا بوزارة التربية (1989-1994)، ثم قسم اللغة الإنجليزية في جامعة الكويت (2000-2011)، ثم برنامج الماجستير في الأدب المقارن في جامعة الكويت (2009-2011).
- تشغل منصب عميدة شؤون الطلبة في الجامعة الأمريكية في الكويت حاليا، بالإضافة إلى عملها كمدرس في قسم اللغة الإنجليزية.
- لها أبحاث منشورة في مجال النقد الأدبي والأدب الأمريكي.
- لها ترجمة في سلسلة عالم المعرفة (عبر منظار اللغة - 2016).
- عضو في هيئة تحرير سلسلة إبداعات عالمية.

314	حياة إنسان	تأليف : ليونيد أندرييف
315	دون كيشوت	تأليف : ميخائيل بولجاكوف
316	واحدة بعد أخرى تتفتح أزهار البرقوق	تأليف : كنيث ياسودا
317	ملحمة علي الكاشاني	تأليف : خلدون طائر
318	نون والقلم	تأليف : جلال آل أحمد
319	سيرى سامبيجي	تأليف : تشاندرا سيخار كامبار
320	أيام بورمية	تأليف : جورج أورويل
321	ست وصايا للألفية القادمة	تأليف : بيتالو كالفيئو
322	السكرتير الخصوصي	تأليف : ت. س. إليوت
323	قصص برازيلية	تأليف : مجموعة من القاصين البرازيليين
324	شذرات من خطاب في العشق	تأليف : رولان بارت
325	نون الماء	تأليف : جيمز ماكبرايد
326	وجهان لحواء	تأليف : أمريتا بريتام
327	الغزل ذو الشرفات السبع	تأليف : اليخاندرو كاسونا
328	من الأدب الباكستاني الحديث	تأليف : مجموعة من القاصين الباكستانيين
329	مختارات من القصة التركية المعاصرة	تأليف : مجموعة من القاصين الأتراك
330	مسرحية محكمة العدل في بلخ	تأليف : بهرام بيضاني
331	مطبخ - خيالات ضوء القمر	تأليف : بنانا يوشيموتو
332	الطباخون الأشرا - الهجرة المكسورة	تأليف : جونتر جراس
333	شمل تشابه ضائع	تأليف : هاينرش فون كلايست
334	حكايات الهنود الأمريكيين وأساطيرهم	تأليف : أندريه شديد
335	زهرة السيف	تأليف : فلاديمير هلباتش
336	طام - طام زنجي	تأليف : مجموعة من القاصين اليابانيين
337	اليبروح	تأليف : ليوبولد سيدار سنغور
338	منزل النور	تأليف : نيكولو ماكيافلي
339	كثبان التمل في السافانا	تأليف : جوهر مراد
340	أناقول وجنون العظمة	تأليف : تشنوا أشيبي
341	غرام ميتيا	تأليف : أرتور شنيتسلر
342	أرتجندن والهارس الليلي	تأليف : إيفان بونين
343	ورقة في الرياح القارسة	تأليف : فيمي أوسوفيسان
344	مدرسة الدكتاتور	تأليف : تنغ - هسغ يي
345	رسائل عيد الميلاد	تأليف : إيريش كستمر - تيد هيوز
346	حكايات وخرافات أفريقية (1) - الطفل الملك	تأليف : سليمان جيفو ديوب
347	مسرحية عذراء أورليان	تأليف : فريدريش شيلر

348	حكايات وخرافات أفريقية (2)	تأليف: سليمان جيفو ديوب
349	الأدغال والسهول العشبية تحكي القصة القصيرة الإسبانية الأمريكية	تأليف: مجموعة من القاصين المتحدثين بالأسبانية
350	في القرن العشرين مسرحيات: 1- محنة الأخ جيرو 2- تحول الأخ جيرو	تأليف: وول سوينكا
351	روض الأدب (مختارات قصصية)	تأليف: أو. هنري
352	مسرحية «أنتيجون»	تأليف: ب. بريشت
353	أجمل حكايات الزن يتبعها فن الهايكو	تأليف: هنري برونل
354	مسرحية «المقهى»	تأليف: لاوشه
355	مسرحيات: 1- صناعة تاريخ 2- ترجمات	تأليف: بريان فرييل
356	رواية «الشباب»	تأليف: ج. م. كويتنزي
357	مختارات من الشعر المجري المعاصر (شعراء السبعينيات)	تأليف: مجموعة من الشعراء المجريين
358	مسرحيات: 1- تلاميذ الخوف 2- الفرقة	تأليف: إيجون وولف
359	اسمي آرام (مجموعة قصصية)	تأليف: وليام سارويان
360	حامل الإكليل (قصص مختارة)	تأليف: مجموعة من القاصين المتحدثين بالألمانية
361	الصورة (مسرحية)	تأليف: سيلا فومير مروجيك
362	الأيام الخمسة الأخيرة لرسول (رواية)	تأليف: تحسين يوجل
363	سبع مسرحيات ذات فصل واحد (من بولند)	تأليف: إيرينيوش إيريدينسكي أندجي ماليسكا
364	سبع نساء... سبع قصص	ستانسلاف تيم (ستاليسواف)
365	زمن الضحك (ملهاة خفيفة من ثلاثة فصول)	سوافومير مروجيك
366	بالأبيض على الأسود (رواية)	تأليف: مجموعة من القاصات الفارسيات
367	مسرحيات: 1- سهرة في المقهى 2- موت ممثل مشهور	تأليف: نويل كاورد
368	امرأة وحيدة «فروغ فرخزاد وأشعارها» سيرة حياة	تأليف: تيان هان
369	«الملاح» (مسرحية من الأدب البولندي)	تأليف: مايكل هلمان
		تأليف: ييجي شانياهوسكي

370	ليلة التنبؤ (رواية)	تأليف: بول أوتر
371	هذا الجيل المحفوظ (مسرحية)	تأليف: نويل كاورد
372	لا وجود لخصومات صغيرة	تأليف: أمادو همباطي با
373	الليلة التي أمضاها دوروفي السجن (مسرحية)	تأليف: جيروم لورنس وروبرت إي. لي
374	مختارات من الشعر الإيراني الحديث	تأليف: مجموعة من الشعراء الإيرانيين
375	العقرب وقصص أخرى (الجزء الأول)	تأليف: بول بولز
376	العقرب وقصص أخرى (الجزء الثاني)	تأليف: بول بولز
377	الأسيرة، (مختارات من ديوان شعر)	تأليف: فروغ فرخزاد
378	شارع بريك لين (الجزء الأول)	تأليف: مونیکا علي
379	شارع بريك لين (الجزء الثاني)	تأليف: مونیکا علي
380	الطريق (رواية)	تأليف: كورماك مكارثي
381	مختارات من القصص القصيرة الأوزبكية	تأليف: مجموعة من الأدباء الأوزبك
382	عشيق الصين الشمالية (رواية)	تأليف: مارغريت دوراس
383	المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي (الجزء الأول)	تأليف: إرنست همنغواي
384	المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي (الجزء الثاني)	تأليف: إرنست همنغواي
385	المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي (الجزء الثالث)	تأليف: إرنست همنغواي
386	النمر الأبيض (رواية)	تأليف: آرافيند أديفا
387	موطن الألم (رواية)	تأليف: دويرافكا أوجاريسك
388	فيلا أماليا (رواية)	تأليف: باسكال كينيارد
389	الإحساس بالنهاية (رواية)	تأليف: جوليان بارنز
390	ياسمينة (وقصص أخرى)	تأليف: إيزابيل إبرهاردت
391	الفاصرة الفاضة (رواية)	تأليف: شيخ حامد كان
392	الرجال الذين يحدونني (رواية)	تأليف: آناندا ديفي
393	أنطولوجيا القصة الإيرانية الحديثة	تأليف: مجموعة من الأدباء الإيرانيين
394	حكايات حكماء أفريقيا وأسطورة نجدو ديوال	تأليف: أمادو همباطي با
395	خراطة (رواية)	تأليف: نور الدين فرح
396	إله الصدفة (رواية)	تأليف: كريستن توروب
397	أزهار عباد الشمس العمياء (رواية)	تأليف: ألبرتو مينديس
398	الأبدية بعيدة جدا (وقصص أخرى)	تأليف: تيه نينغ

399	اذهب حيث يقودك قلبك (رواية)	تأليف: سوزانا تامارو
400	المضارة أمة (رواية)	تأليف: إدريس الشرايبي
401	فنان الاختفاء (ثلاث روايات قصيرة)	تأليف: أنيتا ديساي
402	عينها (رواية)	تأليف: بزرك علوي
403	السياسة إلى المنزل (رواية)	تأليف: ديبورا ليفي
404	الرقعة (رواية)	تأليف: دافيد فونتينوس
405	على قيد الحياة (رواية)	تأليف: يوهوا
406	الأب (رواية)	تأليف: جورج أكلين
407	إنني أتعافى (رواية)	تأليف: دافيد فونتينوس
408	الوردة الزرقاء (رواية)	تأليف: بيتلوبي فيتزجيرالد
409	إبداعات نصائية (مجموعة قصصية)	تأليف: مجموعة من الكاتبات التركيات
410	الإياب (ديوان شعر)	تأليف: هايغريش هاينه
411	سبع حكايات تعود من بعيد	تأليف: جان كريستوف روهان

البيان	إيرادات مالية		مطالبة الاشتراكات المالية		مطالبة عام الاشتراك		مطالبة عام المرفقة		مطالبة المرفق		المرجع المالي	
	دك	دولار	دك	دولار	دك	دولار	دك	دولار	دك	دولار	دك	دولار
المؤسسات داخل الكويت	20	-	12	-	12	-	25	-	20	-	20	-
الأفراد داخل الكويت	10	-	6	-	6	-	15	-	10	-	10	-
المؤسسات في دول الخليج العربي	24	-	16	-	16	-	30	-	24	-	24	-
الأفراد في دول الخليج العربي	12	-	8	-	8	-	17	-	12	-	12	-
المؤسسات في الدول العربية الأخرى	-	50	-	30	-	20	-	50	-	50	-	50
الأفراد في الدول العربية الأخرى	-	25	-	15	-	10	-	25	-	25	-	25
المؤسسات خارج الوطن العربي	-	100	-	50	-	40	-	100	-	100	-	100
الأفراد خارج الوطن العربي	-	50	-	25	-	20	-	50	-	50	-	50

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في تسجيل اشتراك

تجهيز الاشتراك

الاسم	
العنوان	
اسم المرفوعة	مدة الاشتراك
البلغ المرسل	نقد / شيك رقم
التوقيع	التاريخ / / ٢٠١٠م

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة ملاحظة
عمولة البنك المحول عليه البالغ في الكويت.
وترسل على العنوان التالي،

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ج 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147

دولة الكويت





توف جانسون

- كاتبة فنلندية من أصل سويدي وتكتب باللغة السويدية.
- ولدت في العاصمة الفنلندية هلسنكي في 9 أغسطس 1914 وتوفيت فيها في 22 يونيو 2001.
- نشأت في عائلة فنية، إذ كان والدها نحاساً ووالدتها مصممة جرافيك ورسامة.
- درست الفنون الجميلة بأنواعها المختلفة في إستوكهولم وهلسنكي وباريس.
- اشتهرت في بداياتها ككاتبة ورسامة للأطفال في الفترة من 1945 إلى 1970.
- حازت جائزة هانز كريستشين أندرسون الفنلندية في العام 1966 عن آخر عمل لها في أدب الطفل.
- حازت فيما بعد (1994) جائزة الأكاديمية السويدية.
- بدأت رحلتها في الكتابة للكبار عام 1968 في كتابها «ابنة النحات»، تلاه خمس روايات إحداها «المخادع الحقيقي» 1982.
- ترجم هذه الرواية من السويدية إلى الإنجليزية توماس نيل، وحازت جائزة أفضل كتاب مترجم في العام 2011.

المخادع الحقيقي

نقدم للقارئ الكريم، في هذا العدد، رواية مميزة بعنوان «المخادع الحقيقي»، للكاتبة توف جانسون، وهي كاتبة فنلندية من أصل سويدي وتكتب باللغة السويدية. للوهلة الأولى، يظن القارئ أنه في حضرة رواية بوليسية مثيرة، ولكن سرعان ما يكتشف أن لهذا العمل وجهة أخرى، وجهة تركز على التوتر الذي ينتاب العلاقات الإنسانية أثناء مناقشة أمور أساسية دون الوصول إلى العنف أو إراقة الدماء، وهو ما يجعل الرواية تفعل فعل المغناطيس عند اقترابه من المعدن.

تدور أحداث الرواية في جُلّها حول شخصيتين رئيسيتين هما كاتري كلينغ وأنا إميلين، تجمعهما العزلة وتفرقهما المكانة الاجتماعية والنظرة إلى الحياة. والسؤال الذي يبقى حاضراً في ذهن القارئ هو: مَنْ يخدع مَنْ في هذه الرواية؟

إن الإجابة على هذا السؤال في غاية الصعوبة، إذ إنها تتلمس أطرافاً مختلفة، فظاهرياً ثمة أناس يمارسون الخداع بعضهم على بعض سعياً وراء مصالحهم الخاصة، سواء مادية كانت أم نفسية، ولكن قراءة متعمقة تكشف عن حقيقة أن الخداع الذي يمارسه الإنسان في جُلّه موجه نحو الذات.